

زهري البستان في دولة بني زيان

لمؤلف غير معروف

تحقيق وتقديم
بوزيانى الدراحي

الجزء الثاني



بوزيانى
تحقيق وتقديم

زهري البستان في دولة بني زيان

الجزء الثاني



جميع الحقوق محفوظة

<https://www.facebook.com/pages/Livreuniverselpourtous/148725225302229>

زهر البستان فلي دولخ بنلي زيان

لمؤلف غير معروف

تقيق و تقدير
بوزيانلي الدرالي

الجزء الثاني



مؤسسة بوزيانجي والنشر والتوزيع

شارع بلخونجي يوسف السكاولي (16305) الجزائر

هاتف: 0559308889

وفاكس: 0 21 35 78 29

جميع الحقوق محفوظة

الإيداع القانوني: 1231 – 2013

رقم الكتاب: 9-4-9863-9961-978-ISBN



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء وتقريظ

فَهَذَا كِتَابٌ يَفُوحُ يَنْشُرُ
وَعِطْرَ الْجُدُودِ بِهِ فَائِحَاتُ
كِتَابٌ ثَرِيٌّ يَأْخُبَارِهِ
وَيُذْنِي زَمَاناً تَنَاءَى وَفَاتُ
أَقْدَمُهُ لِشَبَابِ يَلَادِي
كَخَيْرِ الْهَدَايَا وَأَحْلَى الْهَيَاتُ
تَيُّهُ زُهْواً بَسَاتِينَهُ
يَأْزَهَارِهَا فِي النَّهْيِ رَائِعَاتُ
فَمِنْكَ تِلْمَسَانُ جَاءَ كِتَابٌ
سُطُورُهُ ثَرِيٌّ جَمِيعَ اللُّغَاتُ
تِلْمَسَانُ أَنْتِ الْجَمَالُ تَجَلَّى
فَمِنْكَ الرُّوَائِعُ يَا لَفَنِّ جَاتُ
بوزياني الدراجي

الجزائر في: 2007/06/25م

مقدمة التحقيق

بهذا العمل المائل أمام القارئ الكريم يكون كتاب زهر البستان في دولة بني زيان؛ الذي بقي في الأدرج بين المخطوطات المهملة، ولم يتسنى له الظهور والنشر بثوب يليق به؛ إلا في هذه اللحظة؛ مع أنه مهم جداً؛ وبذلك يكون قد بُعث إلى الحياة؛ بعد سكون طويل في الرفوف المظلمة، وخرج إلى عالم النور والأضواء. فأضحى الآن في متناول القراء والباحثين؛ دون عناء وابتلاء بالنبش البطيء، والسبر في عتمة الأعماق المظلمة.

وكتاب زهر البستان في دولة بني زيان هذا؛ يؤرخ لدولة الجزائر في أزهى عصورها؛ تلك الدولة التي رسمت حدود المغرب الأوسط آنئذ. ومؤلف هذا الكتاب مجهول الهوية؛ وواضح أنه كان من بين الذين خدموا في بلاط السلطان أبي حمو الثاني؛ على غرار كُتاب آخرين مثل: يحيى بن خلدون وغيره. ويستدل على هذا من عمق اطلاعه، ودقة وصفه لما يجري في ذلك البلاط من أحداث وآثار.

كما يستشف من خلال سرد صاحب زهر البستان للأحداث؛ أنه سبق يحيى بن خلدون في التواجد ببلاط أبي حمو؛ لأنه أورد في كتابه خبرَ قدوم يحيى بن خلدون إلى تلمسان؛ بصفته سفيراً لأمير بجاية أبي عبد الله الحفصي. وقد حدث هذا - بالطبع - قبل أن يلتحق يحيى بالبلاط الزياني. ولكنه - فيما يبدو - لم يكن في منزلة يحيى بن خلدون العلمية.

فقد كان محدود الحصيعة، وشحيح الذخيرة؛ كما أن أسلوبه يميل إلى أساليب الرواة في عرض الأحداث.

أما ناسخ هذه النسخة من مخطوط زهر البستان؛ فَيُدْعَى: الحبيب بن يخلف بن جلول بن العيد الفرادي؛ المولود في غريس؛ بنواحي معسكر الحالية. قال إنه فرغ من انتساخه صبيحة يوم الجمعة؛ الخامس عشر من شهر المحرم، في غرة عام 1235 هـ؛ لصالح مسلم بن عبد القادر خوجة؛ ثم لمن شاء الله - بعده - هبة أو شراء. وهكذا؛ فإن أجزاء كتاب زهر البستان في دولة بني زيان الأخرى ضاعت؛ كما ضاعت كتب أخرى تعالج الموضوع نفسه. ولعل تتبع آثار الناسخ المذكور، ومن نسخ له؛ يأتي بفائدة.

وكتاب زهر البستان في تاريخ بني زيان - كما يبدو من محتواه حتى الآن - يكون صاحبه قد ألفه في أجزاء ثلاثة؛ وما وجد منها حتى الآن هو الجزء الثاني؛ الذي يؤرخ لمرحلة هامة من عهد السلطان موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان؛ المدعو بأبي حمو الثاني. وقد أشار مؤلف الكتاب في بديهة الجزء الثاني إلى الجزء الأول؛ كما أشار في آخر الجزء الثاني ذاته إلى الجزء الثالث. وعليه؛ يمكن الأخذ بهذا؛ حتى ظهور الجزء الثالث الذي قد يشير إلى نهاية الكتاب، أو يحيل القراء إلى جزء رابع إن وجد.

المهم أن هذا الكتاب - حتى وإن فقدت أجزاءه الأخرى - فقد احتوى على شواهد ونصوص أدبية وشعرية هامة؛ بل ثمة نصوص

كثيرة لم يذكرها صاحب بغية الرواد. بالإضافة إلى أنه اهتم بالتفصيل الصغيرة؛ التي تجاهلها يحيى بن خلدون. وجملة القول؛ فهذا الكتاب مهم للغاية؛ أولاً: بسبب ما يحتويه من معلومات تاريخية وآثار أدبية وفكرية، وثانياً بسبب ندرته وعدم وجود نسخ له في مكتبات أخرى. ويعالج الجزء الثاني من زهر البستان الفترة الزمنية المحصورة بين سنتي: 1358/هـ - 1363/هـ. كما يشتمل على أخبار الدولة الزيانية بالخصوص، والدول المتواجدة في بلاد المغرب والأندلس في ذلك الوقت عرضاً؛ بالإضافة إلى أخبار القبائل المنتشرة في تلك الديار. كما يشتمل أيضاً على عينات نادرة من النصوص الأدبية: النثرية والشعرية. ويتولى الكتاب أيضاً وصف الاحتفالات الجارية في بلاط السلطان أبي حمو موسى الثاني.

وتوجد النسخة الأصلية من هذا المخطوط بمكتبة مانشستر بالملكة المتحدة البريطانية. THE JOHN RYLANDS UNIVERSITY LIBRARY OF MANCHESTER؛ تحت رقم (796) ARRABIC M^e 283؛ وهي نسخة نادرة؛ إذ لا مثل لها في مكتبات أخرى.

وقد تفضل صهري الدكتور حدادي مليك بمساعدتنا في جلب نسخة منه؛ صورت على ميكرو فيلم؛ وذلك من المكتبة البريطانية المذكورة؛ وعملنا على تحقيقه وعرضه للنشر. ولكن واجهتنا صعوبات كبيرة؛ كبلت الأيدي بعض الوقت، وعطلت سير التحقيق بالسرعة المطلوبة. ومع ذلك؛ فقد انتصرت الإرادة على الموبقات الماثلة في الخط

الردىء للغاية، والأخطاء الإملائية الكثيرة، وحال النسخة البالية. كما أن فقدان نسخ أخرى للمخطوط بكبل يد من يتصدى لتحقيقه. وعليه؛ فقد اقتضى الحال؛ الاعتماد على مصادر أخرى تتناول المواضيع نفسها؛ ليتسنى مقارنتها ومقابلتها بما ورد في زهر البستان؛ وذلك أضعف الإيمان.

وقبل الختام؛ نفيد القراء الكرام؛ أن الكتابة المغربية الظاهرة في هذا المخطوط؛ تميل إلى تليين الهمزة؛ فتحيلها إلى ياء؛ لذا فقد تعترضكم كلمات مثل: شانه؛ عوض شأنه، والقصيد؛ عوض القصائد، ووسايط؛ عوض وسائط. هكذا تمت الكتابة على هذا المنوال؛ فتم تعديل ما أمكن، وترك الباقي لكثرتهم. كما نفيد القارئ الكريم أيضاً؛ أن كل ما ورد بين الحاصرتين: [...]؛ هو بقلم محقق المخطوط؛ ولا علاقة له بالنص الأصلي الذي كتبه المؤلف أو الناسخ.

وهنا؛ وجب التنبيه أيضاً؛ إلى أن هذا المخطوط يشتمل على أخطاء إملائية؛ تمت الإشارة إلى بعضها في الهوامش؛ حينما تكون قليلة؛ ولكن المحقق تجاوز ما كثر وتكرر. وذلك مثل اسم أبي حمو؛ الذي أضاف إليه الناسخ الألف؛ فأضحى: ((حموا))؛ اعتقاداً منه؛ أنها بمثابة ألف الجماعة. ومن بين الأخطاء التي تكررت كثيراً - خاصة في القصائد الشعرية - هي؛ أن الناسخ أسقط ياء المتكلم، أو ياء النسب في روي الأبيات. كما أن أخطاء عديدة في رسم الكلمات؛ تم إصلاحها؛

دون الإشارة إليها؛ بسبب كثرة الأمثلة؛ من ذلك على سبيل المثال؛
الخلط بين التاء المربوطة والمفتوحة؛ والألف المقصورة والممدودة.
ولا يفوتني - هنا - تقديم شكري وامتناني لابن عمي بوزياني
الطاهر بن يونس؛ على مساعدته لي في فك طلاسم خط هذا المخطوط.

بوزياني الدراجي

الجزائر في: 2007/05/10م

1ظ/ بسم اللّٰه الرّحمن الرّحيم
وصلّى اللّٰه على سيّدنا محمد وآلّه وصحبّه
وسلم تسليمًا.

ذكر رجوع الخلافة الزيانية بعد دثورها وطلوع شمسها بعد
الأفول، وتجديد نورها على يد مولانا السلطان الماجد، الناجد،
المعظم، الباسل، العلم، الكامل، المهاب، المنصور، الإمام، الباذل،
وحيد العصر، ودراية الفخر، صقر بني زيان، نجل الملوك الأجلة
الأعيان؛ أبي حمو¹ موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن
يغمراسن بن زيان. أبقاه الله، واليمن حليف منبره، والإسعاد تلقاء
منظره بمنّه.

¹ في الأصل: ((حموا)) بالألف؛ وهو خطأ بيّن.

اعلم: أنه تقدم لنا في السفر الأول¹ وفاة المولى أبي سعيد². وبعد ما شاء الله من الوعيد. ولما توفي أبو سعيد؛ خرجت بنو عبد الواد³ فراراً؛ آخذة بكل ناحية، طالبة للبلاد القاصية؛ بعد أن أخذ من شيوخهم ووجوههم؛ ما نيف على سبعمائة. فتنة⁴ عظيمة يا لها من فتنة⁵. ثقفهم أبو عنان⁶ بفاس⁷ ثقاف من أذاقوه شدة البأس. فجازت فرقة منهم للبلاد الإفريقية، وفرقة للبلاد الأندلسية، وفرقة للجريد والزّاب⁸، وفرقة بين ظهور زناتة¹ والأعراب. وأبو عنان -

¹ يشير هنا إلى جزء قبل هذا مفقود؛ وهو الجزء الأول منه؛ وبهذه الحال يكون هذا الجزء هو الثاني. كما سيشير فيما بعد إلى جزء ثالث للكتاب مفقود هو الآخر.

² أبو سعيد هو السلطان عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان؛ عم أبي حمو موسى الثاني. وقد تولى الحكم في دولة بني زيان - بمشاركة أخيه أبي ثابت الزعيم - بعد استعادتها من أيدي المرينيين وإخراجهم من تلمسان عاصمة الدولة. تولى أبو سعيد الحكم من عام 749هـ/1348م إلى سنة 755هـ/1352م. عند سقوط الدولة مرة أخرى، ووفاته مع أخيه.

³ عرف يحيى بن خلدون بني عبد الواد بقوله: ((وهم فخذان: أحدهما بنو عبد الواد وبهذا الاسم عرف الجميع؛ تغليباً. وأصله عابد الوادي؛ رهبانية عرف بها جدهم من ولد سجيح بن واسين بن يصلتين بن مسري بن زكيا بن ورسيع بن مادغيس الأبتري)... ثم يواصل تعداد الأباء إلى معد بن عدنان. وعندها يكمل قوله: ((والفخذ الثاني هم بنو القاسم؛ من ولد إدريس بن إدريس... فكان القاسم هذا ممن أصحر [بعد سقوط دولة الأدارسة] وانضاف إلى قبيل بني عبد الواد؛ فأكرموا نزله ومثواه... فتزوج فيهم ونسل بينهم ذرية كثيرين)). أنظر بغية الرواد، ج: 1، ص ص: 186 - 190.

⁴ في الأصل: ((فتية))؛ وهو تحريف.

⁵ في الأصل فتية.

⁶ هو فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق؛ يكنى أبا عنان. حكم دولة بني مرين من 749هـ/1348م إلى 759هـ/1358م.

⁷ مدينة عظيمة الشأن. عاصمة المغرب الأقصى منذ الأدارسة. قد يكون أول من شيد قسمها الواقع على الضفة اليمنى الشرقية للنهر؛ هو إدريس بن عبد الله؛ بعد سنة 172هـ/789م بعدة أشهر. أما قسمها الثاني الواقع على الضفة اليسرى فيناه ابنه إدريس الثاني سنة 182هـ/808م. ثم اتخذها عاصمة لدولته بالمغرب الأقصى. ولما سقطت الدولة الإدريسية؛ تنافس عليها بنو يفرن ومغراوة. ويقام الدولة المرينية أضحت فاس عاصمة لها.

⁸ الأندلس: نسبة إلى الفندال أو الوندال (وندلس أو فندلس)؛ أطلق هذا الاسم على جنوب إسبانيا بالتحديد، وظهر ذلك منذ الفتح الإسلامي لتلك الديار سنة 92هـ/710م. وبعد سقوط الدولة الأموية في المشرق لجأ إلى الأندلس عبد الرحمن الداخل الملقب بصقر قريش؛ حيث أسس بها الدولة الأموية الثانية سنة 133هـ/750م. والجريد هي منطقة في الجنوب التونسي اشتهرت بزراعة النخيل؛ وهي شبيهة بمنطقة الزاب في الجزائر. وأما الزّاب: فهي منطقة فلاحية واسعة؛ تمتد من

لَمَّا لقي من بأسهم - في إرجاف؛ طالباً عليهم طلبه المخاف؛ يبحث عليهم في جميع الأقطار، ويبعث النقباء - في طلبهم - للأمصار، ويطلبهم في الشاسع والداني من البلاد، ويرتادهم ارتياد الماء للوارد. وكان - في ذلك - على علم من رجوع خلافتهم، وتجديد سلطانهم، وأنافتهم؛ وأنهم سينتقمون من قبيله، ويسعون في خرابه وتنكيله. ولم يزل الطلب على ملوكهم، وأبناء أشرافهم، ووسايط سلوكهم. وأكثر البحث على السلطان المقيم² /2و/ دولة بني زيان. ولذلك كان احتناقه عليهم شديداً، وطلبه عليهم طلباً وكيداً. ومع ذلك؛ لم يقع على أحد منهم؛ مع كثرة سؤاله عنهم. فكان المستوطن تونس³؛ من أبناء ملوكهم، وواسطة سلوكها⁴؛ مولانا الخليفة، الإمام، المهاب، المنصور، الضرغام؛ أبو

جبال أولاد نايل غرباً وحتى السفوح الشرقية لجبل أوراس. وينقسم الزاب حالياً إلى: زاب شرقي وقاعدته مدينة سيدي عقبة، وزاب غربي وقاعدته مدينة طولقة. وعاصمة الإثنيتين هي مدينة بسكرة. وقد ذكر أبو حمو اسم الزاب مرات عديدة في قصائده؛ منها قصيدة ((جرت أدمعي))؛ حين قال: ((وجنت لأرض الزاب تذرف أدمعي))، ثم قال: ((أنا الملك الزابي ولست بزابي)).

¹ زناتة؛ قبيلة بترية أمازيغية عظيمة، يرى بعض المؤرخين أنهم ينحدرون عن شخص يسمى (زانا أو جانا أو شانا). وتتفرع زناتة إلى فروع كثيرة لا تحصى؛ بحيث أضحى كل فرع منها يعادل قبيلة أو أكثر. وحتى عبد الرحمن بن خلدون فإنه يضع زناتة في مرتبة جيل؛ أي أكثر من مرتبة قبيلة بكثير. ومواطن زناتة منتشرة عبر بلدان المغرب كلها؛ إلا أنها اختصت بالمغرب الأوسط. وأهم ما تميزت به زناتة هي روح البداوة، وحب الحرية، والانطلاق في البراري؛ مثلها مثل قبائل الأعراب.
² أي الذي سيقم...

³ تونس؛ مدينة قديمة؛ ربما عادت نواتها الأولى إلى الفينيقيين؛ كما يعتقد حسن حسني عيد الوهاب؛ الذي يقول أنها كانت تسمى لديهم **Thunes**. غير أن الثابت من النصوص أن **Tunusa** أو **Tuniza** هو الاسم القديم لمدينة القالة الجزائرية. أما الوزان فيرى أنها كانت تسمى أيام الرومان تونيوتوم، ولما قدم حسان بن النعمان سنة 69هـ/688م؛ في جيش الفاتحين المسلمين؛ اتخذ من موقع تونس قاعدة عسكرية مجاورة لقرطاج. وأصبحت - مع الوقت - من أهم حواضر المغرب؛ خاصة إفريقية.

⁴ يشير - بإيحاء - إلى كتاب "واسطة السلوك في سياسة الملوك"؛ الذي ألفه أبو حمو موسى الثاني.

¹ **حمو**؛ إمام دهرنا، ووحيد عصرنا. أقام بها خمسة أعوام متوالية؛ إلى أن أراد الله أن تظهر رؤيته العالية، وأن تحمد به نار الفتنة الحامية.

قال الراوي: سمعت من تحدث بظهور مولانا السلطان، وما يكون له من الرفعة والشأن. قال اتفق أن بتونس علماء بالحدثان²، وآخرين يتحدثون بالجفران³. أما أصحاب الجفرانات فأجمعوا على رجوع الدولة لبني عبد الواد؛ وأما الحدثانيون فيقولون: في ذلك الزمن؛ فرق الوقت أو كاد. فيروى أن المولى أبو حمو⁴؛ مرّ بالحدثاني المذكور؛ فجعل يتوسمه ومن معه من الجمهور؛ ثم سأل: من هؤلاء الفرسان؟ فأجيب: بنو عبد الواد الشجعان. وقال لمسئله⁵: هذا ملك هذه العصابة، وصاحب المغرب الأوسط⁶ من غير إرابة⁷؛ فانتقل الحديث من الخاص إلى العام؛ وتفرع على ذلك كثير الكلام. ثم أن الحدثاني طلب - على حقيقة علمه - وما يقع به من معرفة حكمه. فأتاه يوماً، وجالسه، وأخذ بالتلطف معه، وأنسه، وتلطف له في السؤال

¹ في الأصل: ((أبوا حمو))؛ وهو خطأ.

² الحدثان: جمع حدث؛ والحدثان هي حوادث الدهر. وقد اصطلح على إطلاق هذه الكلمة على كل عمل أو خبر له علاقة باستكشاف حوادث الغيب؛ من أعمال: الزيارة وخط الرمل والتنجيم وغيره. وللتوسع في فهم عمل الحدثان يستحسن الرجوع إلى مقدمة عبد الرحمن بن خلدون: (فصل في حدثان الدول والأمم وفيه الكلام على الملاحم والكشف عن مسمى الجفر). ج: 2، ص 929 - 950.

³ الجفر: ضرب من التنجيم؛ يسمى أيضاً علم الحروف. ويدّعي أصحابه أنهم يعلمون الغيب.

⁴ في الأصل: ((حموا))؛ وهو خطأ.

⁵ أي: للذي كان يسأله.

⁶ قسم العرب المسلمون البلاد التي تقع غرب مصر إلى ثلاثة أجزاء: المغرب الأدنى أو إفريقية، والمغرب الأوسط الذي يليه؛ وهو موقع الجزائر الحالية، ثم المغرب الأقصى؛ الذي ينتهي بالمحيط الأطلسي.

⁷ أي بدون ريب. يقولون: راب ريباً، وأراب إرابة؛ أوقعه في الريب.

عن اسمه؛ ليخبره بما ظهر له في علمه. وكان المولى أبو حمو¹ - مع غربته - مهاباً؛ جعل الناموس² ديداناً³، واتخذ صواباً. فقال له الحدثاني الحدثاني المذكور: ما اسمك؟ قال: موسى؛ فكبر ثلاثاً. وقال: ستكون ملكاً رئيساً؛ ثم قال: ما كنيته؟ قال: أبو حمو⁴؛ فقال: أنت الملك الذي بالمغرب يسمو. ثم سأله؛ هل له من ولد؟ قال: نعم؛ واحد من العدد؛ اسمه عبد الرحمن؛ فقال: يملك المغرب، وتسود به /2ظ/ بنو زيان⁵. فاستغرب الحدثاني من شأنه، وأشاع بما يكون من سلطانه. فاتصل الخبر بالجفراني؛ فقصد لحينه الحدثاني. وقال له: سمعت منك كيت وكيت. قال: نعم؛ هو أغرب ما رأيت...!! فقال الجفراني له: إن توفرت شروطه المذكورة؛ فله تكون الخلافة المشهورة. ثم قال: حقق نظرك في أمره؛ لعلك تقع على بعض سره. فقال الحدثاني: والله إنه لهو؛ عيناً واسماً؛ وقد قطعت بذلك حكماً وعلماً. فقال الجفراني لمجالسيه من جماعته؛ حين اتضح له الأمر بنصاعته: ومجرى الماء في العيون؛ العالم بما تختلج به ضمائر الظنون: أنه - بحق - مثل ما أنكم

¹ في الأصل: ((حموا)).

² الناموس: صفة في كل من يجعل الاحتيال والمكر والخداع دأبه وعادته.

³ الدَّيْتَن والدَّيْدَان: الدأب و العادة.

⁴ في الأصل: ((حموا))؛ وواضح أن الناسخ واطب على كتابة هذه الكلمة بالألف؛ اعتقاداً منه أن واو ((حمو))؛ هي واو جماعة؛ فكتب الألف بجانبها؛ وهذا خطأ؛ وسيقل التنبيه إلى ذلك فيما سيأتي.

⁵ بنو زيان: نسبة إلى زيان بن ثابت بن محمد بن سدوكسن بن أطاع الله بن علي بن يمل بن يزجن (يزكن أو يزجن أو يزقن) بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن إدريس الثاني. وبذلك ينسبهم النسابة إلى الفرع الثاني من بني عبد الواد؛ المنتسبين إلى القاسم. أنظر بغية الرواد، ج: 1، ص: 190.

تنطقون. فشاع الخبر بقولهم عند أهل التوحيد¹، واتصل الخبر بالقرب والبعيد. ثم اتفقا على واحدة بعد الأمارات؛ إن كانت فهي خاتمة العلامات. وهو أنه يخرج من الزاب؛ في جماعته من الأعراب. وما أشبه هذه الكيفية الناشئة؛ بمسألة عبد الرحمن بن معاوية². فسبحان من دبر أمر المخلوقين من غير تدبير. فقال كن للحظة، وكن لأجل وتقدير؛ الإله الخالق والامر؛ تبارك الله رب العالمين؛ يورث أرضه من يشاء من عباده الصالحين.³

¹ وهم بنو حفص؛ ورتة الموحدين.
² وهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان؛ عرف بالداخل؛ لدخوله الأندلس، وعرف أيضاً بصقر قريش. ويقال أن هذا اللقب أطلقه عليه خصمه وعدوه أبو جعفر المنصور العباسي؛ بسبب حزمه وقوة إرادته؛ إذ هرب - أمام العباسيين - من المشرق إلى بلاد المغرب؛ أين أسس دولة الأمويين الثانية في تلك الديار. فشبّه الكاتب أبا حمو به.
³ تأتي - بعد هذا - حكاية طويلة تخص عبد الرحمن بن معاوية بن هشام. ولما كانت هذه الرواية خارجة عن صلب الموضوع؛ وفيها استطراد عريض لا ضرورة له؛ قد يشتت ذهن القارئ، لذا فقد تم نقل هذا الفصل إلى آخر الكتاب؛ كملحق يحمل رقم: 1. وذلك من أجل المحافظة التسلسل المنطقي لخبر أبي حمو؛ وحتى يتسنى للقارئ الكريم أن يتابع موضوع دولة بني زيان بانسجام وتركيز؛ ودون انقطاع.

ذكر خروج¹ من البلاد منفرداً مثل سلف² وإتيان³ بعد تطواف⁴ في البلاد

قد تقدم - في السفر الأول - دخول الجزائر³ على أهلها عنوة، وما لقي أهلها من روعة السطوة وذلها؛ وأن بني عبد الواد؛⁴ أخذ كل أحد في البلاد طريقه، وترك أهله وصديقه. فكان المولى أبو حمو في جملة من خرج، وعابن المشقة والخرج⁵. فدخل تونس؛ في السادس شوال من عام ثلاثة وخمسين بعد سبعمائة⁶. أقام بها خمسة أعوام؛

¹ خروج أبي حمو موسى بن يوسف.

² أي عبد الرحمن بن معاوية. أنظر ملحق 1؛ في آخر الكتاب.

³ الجزائر؛ مدينة أزلية كانت عبارة عن محطة تجارية ساحلية للفينيقيين اسمها إيكوسيم؛ ثم أعاد الرومان بناءها، وسموها بدورهم **Icosium**. ثم أعاد بلكين بن زيري بناء المدينة؛ حيث عرفت منذئذ بـ: جزائر بني مزغنة. نسبة إلى قبيلة من صنهاجة تسمى بهذا الاسم.

⁴ يشير هنا إلى الموقعة التي حدثت بنواحي الشلف في آخر ربيع الثاني من عام 753هـ/1352م؛ أين انكسر جيش بني عبد الواد؛ فانهزم قائدهم السلطان أبو ثابت بن عبد الرحمن إلى الجزائر؛ ثم خرج منها هارباً نحو شرق البلاد؛ فسقط أسيراً بين يدي أنصار المرينيين، وهذا الخبر موجود في بغية الرواد، ج: 1، ص: 246 - 247. وفي العبر، مج: 7، ص: 253. 599 - 600.

⁵ ثمة خلاف حول تفاصيل الكيفية التي وصل بها أبو حمو إلى تونس؛ فبينما يكتفي عبد الرحمن بن خلدون بالقول: ((لما قبض على أبي ثابت بوطن بجاية؛ أغفل أمر أبي حمو من بينهم، وتبت عنه العيون؛ فنجأ إلى تونس)). (العبر، مج: 7، ص: 255). يكون صاحب زهر البستان (في الجزء الثاني منه) قد اكتفى بالانتقال مباشرة إلى وجوده في تونس؛ دون توضيح الطريقة التي وصل بها إلى هذه الديار؛ وفي المقابل؛ يتضح أن يحيى بن خلدون تكفل بسرد قصة مفادها أن أبا حمو كان رفقة عمه السلطان أبي ثابت؛ حين انهزم من الجزائر؛ ولما قبض عليه؛ ادعى أنه هو السلطان؛ كي يفدي عمه؛ ولكن المرينيين اكتشفوا الحقيقة بعد حين؛ فأطلقوا سراح أبي حمو، وقتلوا عمه؛ فلما سرحوه توجه إلى تونس، أنظر هذه الحكاية التي يكون قد انفرد بها يحيى بن خلدون؛ هذا؛ في حالة ما إذا لم يكن صاحب زهر البستان قد ذكرها في الجزء الأول المفقود، أنظر بغية الرواد، ج:

2، ص: 50 - 51.

⁶ 1352م

يتحدث في ظهور الأيام، ويبتظر وقوع الحدثان المذكور في ابتداء الكلام؛ إلى أن قرب الزمان، وحن ذلك الأوان؛ تجمعت عليه الأفلال¹ من عشيرته، والآحاد من قبيلته. ثم جعل يتلطف بالتجسس على بلاده، ويسأل عن حال أبي عنان في سيره واقتصاده. ولم يزل عن قبيله سائلاً؛ ولما أصابهم: ثكلاً وإجلاء؛ إلى أن أراد الله إظهار خلافته العلية، وارتفاع الرؤية الربانية السنية؛ التي أبرز /5ظ/ الله لها النصر؛ من مكنون غيبه، وسنى لها الفتح المبين وأيدها؛ برعيه على يد الملك السعيد، الهمام، الأحد المجيد أبي حمو؛ وذلك في أوائل رجب الفرد؛ من عام ثمانية وخمسين [وسبعمائة]²؛ الضابط للتاريخ المبين. خرج من تونس في التاريخ المذكور، وأقام بظاهرها شهراً؛ فحاول إثر³ الظهور؛ ثم عاد إلى تونس، ونزل بالصعترية من ظاهر البلد؛ أقام بها خمسة عشر يوماً من العدد؛ ثم ارتحل قاصداً للقيروان؛ ومنها إلى قفصة⁴؛ وما يليها من البلدان؛ ومنها عاملاً على على توزر؛ إلى نفطة⁵. قد اعتد لها، وتيسر. عمل بمن معه على

الْقَلَّ جَمَعَةٌ وَقَوْلُ وَفَالِةٌ مَا نَدَرَ عَنِ الشَّيْءِ، وَالْفَالِةُ الْجَمَاعَةُ، وَالْمَنْهَزْمُونَ.

² 1356م

³ هكذا.

⁴ القيروان: أول مدينة إسلامية في بلاد المغرب. شيدها عقبة بن نافع الفهري في منتصف القرن الأول للهجرة. أما قفصة فهي مدينة أزرية من أيام الرومان؛ ويبدو أنها وجدت قبلهم بكثير في شكل تجمع سكاني أمازيغي.

⁵ توزر مدينة أزرية من أيام الرومان؛ إذ سموها أنذ توزورس؛ تقع في منطقة الجريد بإفريقية. جنوب القطر التونسي، وهي الآن تابعة لولاية قفصة. وتتميز بكثرة نخيلها. أما نفطة فقديمة أيضاً؛ إذ سماها الرومان نبتة؛ وتقع في الجنوب التونسي؛ وهي كثيرة المياه.

قتالها¹، وتحدث مع أولاد أبي الليل² في حربها ونزالها. فلما حلّ بجهااتها؛ أرجف أهلها، وشتت شملها؛ قاتلها قتالاً شديداً؛ فأذاق أهلها وبالاً وتنكيلاً. أخذها عنوة؛ فأظهر في فتحها سطوة؛ فأخذ البلد؛ ومنعت قصبته وتعذرت؛ لامتناعها. طلبها³؛ فشدّ عليها بالقتال؛ فصالحوه على شيء من المال؛ فكانت أول فتوحاته، وباكورة ما وهب الله له من ممنوحاته⁴.

ولما سمعت الأعراب ورياح⁵ ما فعله المولى أبو حمو بنفطة، وهذا الفتح المتاح؛ تآقت نفوسهم لخدمته، وطلبوا الدخول في طاعته وحرمته؛ فبعثوا له ليقدم عليهم، وأن يسير - بمن معه - إليهم؛ ليدخلوا تحت طاعته، وينتظموا في سلك جماعته؛ فأسعفهم بما طلبوه منه⁶؛

¹ المقصود هنا هي نفطة.

² وهم من عرب بني سليم منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان؛ وهي قبيلة عربية كبيرة؛ لها تفرعات وعشائر كثيرة. كانت منازلهم بنجد. انتقلت بعض عشائرهم إلى بلاد المغرب - مع بني هلال بن عامر بن صعصعة - حيث قاسموهم البلاد وراحموهم في النفوذ والسلطان؛ غير أن معظمهم بقي في برقة وإفريقية.

³ في الأصل: ((طلبته))؛ وهو تحريف.

⁴ هذه أقوال صاحب: زهر البستان؛ أما يحيى بن خلدون وأخوه عبد الرحمن؛ فقلا أن أبا حمو ذهب إلى قفصة وتوزر ونفطة؛ وبلدان بإفريقية أخرى رفقة السلطان الحفصي أبي إسحاق؛ إثر غزو جيش أبي عنان تونس. أنظر بغية الرواد، ج: 2، ص: 55 - 56. والعبر، مج: 7، ص: 626.

⁵ في الأصل: ((الأعراب رباح))؛ بدون واو العطف. أما رباح؛ فهم قبيلة من بني هلال؛ وفيهم يقول يقول صاحب العبر: ((هذا القبيل من أعزّ قبائل هلال وأكثرهم جمعاً عند دخولهم إفريقية؛ وهم - فيما ذكر الكلبي - رباح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر... والرئاسة على رباح في هذه البطون كلها لمرداس، وكانت عند دخولهم إفريقية في صدّ بُر منهم، ثم صارت للدواودة أبناء داود بن مرداس بن رباح... وامتاز الدواودة بملك ضواحي قسنطينة وبجاية - من التلول - ومجالات الزّاب وريغ وواركلا وما وراءها - من القفار - في بلاد القبلة)). مج: 6، ص: 69 - 72.

⁶ في الأصل: ((منهم))؛ وهو تحريف.

ووفد عليهم؛ فبادروه لما سمعوا عنه. فتوجه إلى بلاد رياح¹؛ لما في ذلك من الخير والنجاح. فعندما حلّ ببلادهم؛ أعطوه صفقة أيديهم؛ على حمايته، وإنجادهم؛ ثم ارتحل معهم إلى تبسا²، ثم إلى مسكيانة³؛ وبها سما وترتب به ذروة المكانة. في هذا العام؛ استعمل أبو عنان الحركة للبلاد الشرقية، وأظهر فيها قوة عزته القوية؛ فكانت له حركة شهيرة؛ إلا أنها كانت الأخيرة. أعد لها الأعداد، وحشد لها الأحشاد، واحتفل /6و/ بالرماة والأغزاز⁴؛ ولم يترك أحداً بالمغرب؛ ولا بهذه الأحواز⁵؛ عاملاً على البلاد الإفريقية؛ ليزيل منها آثار أهل التوحيد⁶، وأن يصيرها في⁷ بنيه إلى يوم الوعيد. فلم يزل - من حين ارتحاله - عاملاً بالمحال⁸، حاشداً في جرتة الحشود والأبطال؛ إلى أن حلّ

¹ تنتقل قبيلة رياح الهلالية في الربوع الممتدة بين القيروان والجريد؛ إلى بلاد الزاب وورقلة ثم قسنطينة وبجاية والمسيلة.

² تبسة: مدينة أزرية قريبة من نهر مجردة؛ كانت عبارة عن تجمع سكاني لأهل البلاد الأصليين؛ ثم بناها الرومان بشكل أضحت تضاهي فيه قرطاج؛ وسموها **Theveste**. ويقول عنها الوزان: ((مدينة عتيقة حصينة بناها الرومان في تخوم نومبيديا على بعد مائتي ميل جنوب البحر المتوسط؛ تحيط بها أسوار عالية، متينة، سميكة، مشيدة بحجر ضخم منحوت؛ شبيه بحجر الكوليزي في روما ولم أر أسواراً من هذا الشكل؛ لا في إفريقيا كلها، ولا في أوروبا)). وصف إفريقيا، ج: 2، ص: 63.

³ مسكيانة: مدينة صغيرة قريبة من تبسة؛ قال عنها البكري: ((قرية مسكيانة وهي على نهر)). وذلك النهر - كما هو معروف الآن - هو واد ملاق. أنظر المغرب، ص: 50. وفي مسكيانة هذه جرت المعركة الأولى بين الفاتحين المسلمين - بقيادة حسان بن نعمان - والكاهنة؛ وهي المعركة التي انتصرت فيها هذه الأخيرة في بدء الأمر.

⁴ الغز: هم فئة من الترك؛ اشتهروا بدقة الرماية.

⁵ الحوز: الموضوع إذا حدد بشيء ما. والحوزة: الناحية؛ وهو ما يقصده هنا. وفي المغرب الأقصى توجد ناحية تسمى الحوز؛ تابعة لمراكش.

⁶ بنو أبي حفص.

⁷ في الأصل: ((من)).

⁸ المحال؛ مفردها المحلّة: اسم يطلق في بلاد المغرب على المعسكر المؤقت.

بالجهات القسطنطينية¹؛ فنزلها؛ ولم يقتصر على حصار البلد؛ ورأى الفرصة فانتهزها وفضلها؛ فأضرم عليها ناراً بجدته، وأظهر غاية قوته. فاتفق أن غدر أهلها بسلطانهم؛ فعاقبهم الله بخذلانهم. فعندما أيقن صاحبها بغدر أهل بلاده؛ خدم على رأسه، وعلى أهله وولده؛ وأسلم أهل البلاد إلى السبا² والجلاء؛ ولقوا من العدو أليم البلاء. وارتحل³ يريد تونس؛ والأعراب بين يديه جافلة؛ وهو على حنق؛ في طلبها؛ وراجياً أن يأخذ بثأر أبيه⁴ في عربها. فلما قرب من تبسا؛ البلد المذكور؛ وتعرضت له الأعراب؛ بما حشدت من الحشد الموفور. فعندها؛ علم بنو مرين⁵؛ أن الأعراب عولت عليهم، والإمداد قد تسيرت إليهم. رجفت قلوبهم رعباً، وخافوا أن تكون أموالهم للأعراب نهباً. فعندما ارتحل⁶ يريد القدوم على البلد تبسا؛ نكص جيشه على عقبه؛ كأنه لم يكن به؛ تياساً⁷. وصاحوا بصوت واحد: الرجوع

¹ أي ناحية قسنطينة، وقسنطينة: مدينة أرلية بناها قدماء المغاربة في العصر الفينيقي؛ وكانت تسمى **Cirta** سيرتا، وأضحت - بعد تشييدها - عاصمة لمملكة الإغليد ماسينيسا، وفي العصر الروماني، دمرها الثوار المغاربة؛ ولكن الأمبراطور الروماني قسطنطين أعاد بناءها - في بداية القرن الرابع للميلاد - ومنحها اسمه.

² السبي والسبأ: الأسر.

³ أبو عنان.

⁴ أبو الحسن.

⁵ بنو مرين: قبيلة زناتية؛ وهم إخوة من جهة؛ وأعداء من جهة أخرى؛ لبني عبد الواد وجددهم مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن جديج بن فاتن بن بدر؛ ويصل تسلسل أبائهم إلى زحيك بن واسين؛ الجد المشترك مع بني عبد الواد.

⁶ أبو عنان.

⁷ أي التشبه بالنيس في الفحولة، يقولون: ((في فلان نيسية أو نيسية)).

للبلاد وللإخوان؛ ولا حاجة لنا بهذه الأوطان.¹ فكان يتقدم
بعلامته² مستظرفاً متعجباً؛ وساقاته³ يلوي⁴ عنه تنكباً؛⁵ إلى أن تركوه
تركوه فريداً، وخلفوه تحت العلامات وحيداً. وعندما عاين الخلاف
الذي لا بد منه؛ علم أن السعود فرت عنه. فعاد نكصاً على عقبه؛
طاوي الأحشاء على أمسه؛ يسوم نفسه في كل مسألة، ويتنظر الموت في
كل مجهلة؛⁶ فعاد تبعاً؛ بعد أن كان متبوعاً؛ وبالنسبة وضيعاً؛ بعد أن
كان ربيعاً.⁷

¹ سرد عبد الرحمن قصة عصيان جيش أبي عنان، وانفضاضه عنه، فقال: ((وضاق ذرع العساكر
بشأن النفقات، والإبعاد في المذاهب، وارتكاب الخطر في دخول إفريقية؛ فتمشت رجالاتهم في
الانفضاض عن السلطان، وداخلوا الوزير فارس بن ميمون؛ فوافقهم عليه؛ وأذن المشيخة والنقباء
لمن تحت أيديهم من القبائل في اللحاق بالمغرب؛ حتى تفرّدا. ونمى الخبر إلى السلطان؛ أنهم
توأمروا في قتله، ونصب إدريس بن عثمان بن أبي العلاء للأمر؛ فأسرّها بنفسه، ولم يبدها لهم.
ورأى قلة العساكر، وعلم بانفضاضهم؛ فكرّ راجعاً إلى المغرب)). العبر، مج: 7، ص: 619.

² أي بأعلامه.

³ الساقّة: هي مؤخرة الجيش، جمعها بقوله ((ساقاته)).

⁴ هكذا، وألوي: معناها: خالف به عن جهته.

⁵ نكب عن الطريق: عدل عنها وتحنى.

⁶ المجهل والمجهلة: جمعها مجاهل: المغارة الخطرة.

⁷ العبارات السابقة غامضة؛ لذا أضع بين أيدي القارئ الفكرة كما كتبها عبد الرحمن بن خلدون:
((اعتزم [أبو عنان] على الحركة إلى إفريقية، واضطرب معسكره بساحة البلد الجديد؛ وبعث في
الحشد إلى مراكش، وأوعز إلى بني مرين؛ فأخذ الأهبة للسفر... سنة ثمان [وخمسين وسبعمئة].
ثم ارتحل من فاس، وسرح في مقدمته وزيره فارس بن ميمون في العساكر؛ وسار في الساقّة على
التعبية.... ولما أطلت راياته، وماجت الأرض بعساكره؛ دعر أهل البلد، وألقوا بأيديهم إلى
الإذعان... ونظر السلطان بعد ذلك في أحوال الوطن؛ وقبض أيدي العرب من رياح عن الإتاوة -
التي يسمونها الخفارة - فارتابوا؛ وطالبهم بالرهن؛ فأجمعوا على الخلاف، وأرهب لهم حده....
وضاق ذرع العساكر بشأن النفقات، والإبعاد في المذاهب، وارتكاب الخطر في دخول إفريقية؛
فتمشت رجالاتهم في الانفضاض عن السلطان.... ورأى قلة العساكر، وعلم بانفضاضهم؛ فكرّ
راجعاً إلى المغرب)). العبر، مج: 7، ص: 617 - 619.

هذا؛ والمولى أبو حمو - في عزته - منه على مسيرة نصف يوم؛
يجوم على الوثوب على بلاده في جوم¹؛ /6ظ/ فكان ذلك اليوم - على
المولى أبي حمو - يوم فتح، وعلى أبي عنان؛ يوم شؤم ونوح. وعندما
أخبر المولى أبي حمو برجوعه، والسبب الذي آل به؛ من فساد
جموعه؛ اقتفاه؛ تابعاً أثره، راجياً أن ينال وطره؛ لكنه لم يقظ له
بخلافه في ذلك العام، ولا حكمت الأقدار أن يدور بينهما كاس حمام.
ثم إن المولى أبو حمو؛ لم يزل في آثاره إلى ميعة²؛ يطلب التوصل إليه
بقوة، أو حيلة. ولما لم يلتحق به؛ أقام على ميعة؛ عاملاً على
حصارها؛ طالباً أن يفتك بحماتها³ وأنصارها. فنزلها وشد عليها
بالقتال، وذوق من فيها أليم النكال؛ ثم دخلها عنوة⁴، وأظهر في أهلها
أهلها سطوة. أخذ من وجد فيها من بني مريم. وتمكن من البلد أتم
تمكين؛ دخلها على ابن عم بن خلوف الياباني⁵؛ فأخذه غرة من
من غير توان⁶؛ ثم حمل حصتها في حكم الإرسال.⁷ ثم ترحل إلى

¹ حام حوماً على الشيء؛ دار به، وجام جوماً طلب شيئاً خيراً أو شراً.

² ميعة؛ مدينة أزرية كانت تسمى أيام الرومان Milev. تبعد عن قسنطينة بـ 50 كيلومتر تقريباً. ما زال بها السور الذي بناه الإمبراطور الروماني جيسنتيان سنة 548م تقريباً. وفي ميعة - هذه - تزوج أبو حمو بأولاده؛ المنتصر، وأبو زيان محمد، وعمر الملقب بعمير.

³ في الأصل: ((حماتها))؛ وهو تحريف.

⁴ جاء في بغية الرواد أنه فتحها في آخر شوال من عام 758هـ/1356م.

⁵ يسميه عبد الرحمن بن خلدون: مخلوف الياباني، (أنظر العبر، مج: 7، ص: 618). وعليه؛ فهو ابن عم الحاج منصور بن مخلوف الياباني؛ أحد شيوخ بني مريم ومن أهل الشورى في دولتهم؛ ولاء أبو عنان على قسنطينة. أما يحيى بن خلدون فسماه: ((منصور بن الخلوف الياباني)). أنظر

بغية الرواد؛ ج: 2، ص: 183.

⁶ في الأصل: ((تواني)).

⁷ هكذا.

جبل بني ثابت¹؛ حتى نزل بقربه - وقلبه جذلان - بالمساء. وفي هذا الموضوع طلبته بنو كعب² في الوداع؛ لما رأوه إلى المغرب شديد الانتزاع؛ فودعهم، ورجعوا إلى بلادهم. وبقي مع رياح؛ على ما هم عليه من اجتهادهم. ثم أرسل سرية إلى الجبل؛ فقاتلوا، وشدوا على أهله؛ وعاجلوه؛ فأخذوه عنوة؛ وأظهروا فيه النجدة، والسطوة؛ فوجدوا فيه ثمانين فارساً من بني مرين؛ فأتوا بهم إلى المولى أبي حمو؛ فألحقهم بالآخرين. ثم بعث بسرية إلى بني ورا³؛ يطلب بمن فيها - من بني مرين - بالثأر. ذكر له أن بها الوزجوني؛ قائداً؛ يدعي أنه بطلاً مجالداً؛ فلم تقتصر السرية؛ أن نزلت عليه، وتبادرت - من حينها - إليه؛ فما لبث المذكور؛ أن برز إليهم، وقتلهم، وتعرضهم، وجابهم؛ فاقتلوا قتالاً شديداً؛ فأذاقوه وبالاً وتنكيداً؛ فانهزم الوزجوني المذكور، وفر بمن معه، ولقيه الفتور؛ فقتل من التحق به قتلاً ذريعاً؛ وقسموهم نصفين: أسيراً 7/و/ وصريعاً. ودخل البلد بالسيف؛ فمات من قدر الله عليه بالحتف؛⁴ ثم حرقوا بني ورا؛ وتركوها - بعد العمارة - جمرة

¹ جبل بني ثابت؛ هو الجبل المطل على القل. وسكانه من قبيلة كتامة. وفيهم يقول عبد الرحمن بن خلدون: ((ومن بطون كتامة وقبائلهم أهل الجبل المطل على القل - ما بينه وبين قسنطينة - المعروف برئاسة أولاد ثابت بن حسن بن أبي بكر؛ من تليلان)). العبر، مج: 6، ص: 306.

² هم بنو كعب أو (الكعوب) من بني سليم؛ وبالتحديد من عوف بن بهثة بن سليم.

³ في بغية الرواد، والعبر: "بنو ورا". وهم قبيلة من زناتة عموماً؛ وربما مغراوة على الخصوص؛ يتواجدون في أنحاء متعددة من بلاد المغرب. وبذلك ينتسب أهل هذه القرية الواقعة بين قسنطينة وبجاية إلى بني ورا هؤلاء. أنظر العبر، مج: 7، ص: 100 - 101.

⁴ الحنف جمعه حتوف: الموت.

نار. وفي هذا الموضع؛ وصل إليه إرسال بني عامر¹؛ يطلبونه في المسير إليهم، ويرغبون منه الوفود عليهم، ويحضونه على الالتحاق ببلاده، وبالنصرة على أعدائه وحساده، وأن يبلغونه غاية مطلبه ومراده؛ فتوعدهم أن يكون لقاءه لهم في أطراف البلاد، وإسعافهم بنيل المراد؛ وبعدما فعلت سراياه هذه الفعال، وأدرك في أعدائه الآمال. فقفل على طريقه عابداً، وبما عقد به مع بني عامر لاهجاً². وهجست³ نفسه بالحلول ببني عامر، والإشخاص⁴ معهم؛ إذ هم في جملة قبيله المشاهير⁵، وهم عرب بلاده، وخدمة آبائه وأجداده. فكان لحاقه بهم بباريكا⁶؛ من البلاد. فشد الله عضده بحمايتهم أي اشتداد. وكان - يومئذ - شيخ بني عامر؛ أبو صالح سغير⁷ بن عامر؛ أميراً من الأمراء،

¹ بنو عامر: قبيلة عربية تنتمي إلى بني هلال؛ وبالتحديد إلى قبيلة زغبة منهم، مواطنهم الأولى كانت مجاورة لإخوتهم بني يزيد جنوب وطن حمزة (لبويرة حالياً). ويقول عبد الرحمن بن خلدون: أن يغمراسن بن زيان هو الذي نقلهم إلى موطنهم الجديد؛ جنوب تلمسان: ((نقلهم يغمراسن إلى مواطنهم هذه لمحاذاة تلمسان؛ ليكونوا حجزاً بين المعقل [وهم قبائل عربية أيضاً دخلوا المغرب مع بني هلال] وبين وطنها. استقروا هنالك يتقبلون في قفارها في المشاتي، ويظهرون إلى التلول في المرايع والمصائف. وكان فيهم ثلاثة بطون: بنو يعقوب بن عامر، وبنو حميد بن عامر، وبنو شافع بن عامر)). العبر، مج: 6، ص ص: 105 - 106.

² في مثابراً.

³ هجس هجساً الشيء في صدره: خطر بباله.

⁴ الإشخاص: الذهاب.

⁵ في الأصل: ((المشاهير)).

⁶ باريكا؛ وحديثاً؛ بريكة: الآن مدينة تابعة لولاية باتنة، وهي قرية من مقرة وجبل عياض. عرفت منطقة بريكة بطابعها الفلاحي منذ العهد الروماني. وهذا ما تشهد به المطامير المخصصة لتخزين الحبوب، ومعاصر الزيت لعصر الزيتون المكتشفة في المنطقة، الملفت للنظر؛ أن صاحب زهر البستان ربما انفرد بذكر بريكة؛ بين المؤرخين والجغرافيين القدامى.

⁷ هكذا رسمه؛ بالسین المهملة، وسماه صاحب نظم الدر سغير بالفاء الموحدة الفوقية. أما صاحب صاحب العبر فسماه: صغير بن عامر؛ بينما يسميه يحيى بن خلدون شيقر؛ بالقاف المثناة الفوقية.

الأمراء، ومن الحماة المشاهير. وسغير بن عامر؛ هذا؛ ممن تضرب بغاراته الأمثال، ويعتد بمثله للقتال والنزال؛ تهابه جميع القبائل والأبطال، وتخشى غاراته في التلال والرمال. فبايعه سغير في الموضع المذكور¹؛ وتلاه على البيعة كافة بني عامر، وكل بطل مشهور. أعطوه صفقة أيديهم؛ على الوفاء بالعهود، والحماية من المكروه، والعضد؛ وذلك في منتصف شوال؛ من عام تسعة وخمسين [وسبعمائة]². وتمت الإرادة به عام الستين [وسبعمائة]³. وعندما اتصل ببلاده تأججت نار الشوق بفؤاده؛ نظم قصيدة؛ يعبر بها عن شرح الحال، وما لقيه من الشوق للأهل، والوالد، والولد، والمال؛ بعث بها إلى أبيه وهو بفاس؛ ليؤنسه بها أي إنياس، ويعرفه ويندب⁴ فيها رسوم الأطلال، ويذكر فراق أحبته، وما آلت إليه الحال. وفيها إشارات إلى حلوله ببلاده؛ وأن الخلافة التي هو طالبها؛ **7ظ/** جرت على وفق مراده. وهذه القصيدة المذكورة⁵:

¹ أي في بركة.

² 1357م

³ 1358م

⁴ في الأصل: ((يندب))؛ بدون واو العطف.

⁵ نظمها أبو حمو في بحر الكامل (متفاعلن متفاعلن متفاعلن)؛ ويجوز في متفاعلن = مستفعلن. ويجوز في الأعراب متفاعلن أو فَعْلُن. أما الأضرب فيجوز فيها: متفاعلن، فَعْلَاتن، مفعولن، فَعْلُن، فَعْلِن.

حان الفراق¹

حان الفراق فكنت منه بمنزل
ودنا الرحيل فكنت فيه بأوّل
وتحكم البين المشتت والنوى
فينا بفتكة سيفه المتكلّل²
وبدا غراب البين في عرصاتها³
يرثي عليها منزلاً في منزل
والوصل ولى راحلاً في إثره
قاضي الفراق على كتيب محجل⁴
خلت المعالم والطلول دوارس
وذوى الرياض وكل ربع مزبل⁵
والدار أمست بلقعاً من أهلها
يرثي عليها كل طير أليل⁶

¹ لم ترد هذه القصيدة إلا في كتاب زهر البستان هذا، وقد أثبتتها حديثاً الدكتور حاجيات في كتابه ((أبو حمو موسى الزباني حياته وأثاره))، ص: 295.

² المتكلّل: غير قاطع.

³ عرصات؛ مفردتها عرصة؛ ساحة الدار.

⁴ الكتيب من الفرس؛ ما هو عالي الظهر، ومجلى: الفرس الذي في قوائمه تحجيل؛ أي بياض.

⁵ ذَوَى: الغصن؛ ذبل، ومزبل: مسمد؛ أي الخصب بالسماذ.

⁶ المعنى فيه غموض، لعل الذي يقصده هنا هو جو التشاؤم والتطير؛ فعبارة طير أليل؛ توحى بالتشاؤم؛ كما سبق للأعشى أن قال: ((لَهُمْ طَيْرٌ النُّحُوسُ يَأْشَأَمُ)). الطائر عند العرب: الحظ، أما كلمة أليل فتعني شدة الظلمة والطول.

والورق¹ نائحة على أغصانها
نوح الشجي المدنف المتعلل
فسمعت هاتفة على أفنانها
تشكو بصوت يّينٍ لم يجهل
فنشدتها عن حالها فترنمت
وبكت وأبكت صم صخر الجندل
قالت وأشواق النوى لعبت بنا:
عن غير حالي يا ابن آدم فاسأل
أوما رأيت الروض أمسى مقفرا
لعبت به ريح الصبَا والشَّمَالِ
هاذي دياركم وهاذي أرضكم
بالأمس قد كانوا بهذا المنزل
دعني أنوح عليهم طول المدى
أبكي عليهم جدولا في جدول
حتى أموت صباية من أجلهم
أو يرجع الوصل القديم من أول²

¹ كتبت في الأصل: ((والارق)). وسبق لحاجيات أن صحح ذلك؛ باختياره كلمة "الورق" وهو أسلم؛ لأن الشاعر ذكر كلمة: "ورقاء" فيما بعد
² سقط هذا البيت في كتاب حاجيات: ((أبو حمو موسى الزياتي)).

فشفت لما أن علمت حديثها
والجفن يغرق بالدموع الهطل
ناديتها والجسم مني قد فنى
وعلى فؤادي غمرة لم تنجل
لوذقت يا ورقاء ما قد ذقته
لحرقت أغصان الأراك الميل
كم حرقه كم زفرة كم لوعة
يحلو لديها كل صعب مذهل
وشواهدى هم هؤلاء كما ترى
بانوا وكل ميين لم يجهل
دمعي يسيح وزفرتي لا تنقضي
والسهر أنحلني وعذل العذل
لو ذاق قاسي القلب ما قد ذقته
لغدوا سكارى في محل مهمل
أو حل ما بي بالجبال تدكدت
دكاً وأمست مثل كحل المحل

8/ والحال تُنبي والكواكب تشهد

أني أراقبها ولم أتخيل¹
حالي يطول ومحتي لا تنقضي
كم لي بميدان الوغى من محفل
لا بد من سوق النجوع مغرباً
حتى تكل متونها بالأحمل
وترى الفوارس دائرات بالعدى
تسقي لواردها نقيع الحنظل
وأمامها قطب الوفا بحر الندى
عطالها يوم الوغى بالعيطل²
صَدَّامُهَا رَدَّأُهَا³ حَكَّامُهَا
شرادها ورادها بالفیصل
موسى الهمام ابن السراة ذوي العلى
من قد رقي في العز أعلى معقل

¹ كتب في الأصل ((وأنبي لراقبها))؛ فاختار حاجيات ((أنبي أراقبها)) في كتاب (أبو حمو موسى الزباني)، وهذا أفضل.

² يقصد بالعيطل: الرمح، تشبيهاً بالحسنة ذات العنق الطويل.

³ رَدَّخ: كسر. يقولون: رَدَّخ رأسه، أو شَدَّخ رأسه: أي كسره.

لا بد من سوق السُّرَى لبلادهم¹
من فوق صَهَّالٍ أغرٍّ محجَّلٍ
وأسيرٍ في إعلائه متبخترًا
متوشحًا متقلدًا في جحفل
وقبيل عبد الوادٍ محدقة بنا
من كل ليث ضارب بالمنصل
ولها عوال كالشهب إذا بدت
قد عدلت للحرب أي تعدل
والخيل تعثر² في الأعنة ضميرًا
من أشقر أو أدهم ومحجل
يا نجل عامر سِرُّ بنا واطوِ السُّرَى
ليلاً لعل الدهر يدني منزلي
يا نجل عامر سر غرست النخل في
أوطانها تُجنى كطعم السلسل³

¹ جمع المؤلف السرية بـ السُّرَى؛ والصحيح هو سرايا، غير أن حاجيات صحح العبارة بوضع كلمة "طِي السُّرَى" بدلاً من "سوق السرى". ويبدو أن الشاعر استعمل عبارته؛ للدلالة على أنه يقود جحافل بالسير ليلاً.

² في الأصل ((تعترى))؛ وهذا يخل بالوزن، فاختار حاجيات كلمة ((تعثر))؛ وهو أسلم.

³ يبدو أن كلمة السلسل؛ زج بها في هذا البيت، وربما يقصد سلس، مثل قولهم: شراب سلس؛ أي لين الانحدار، أو تكون اختصاراً لكلمة ((سلسيل)).

يا نجل عامر طال قولي إنني
أحمي الحمى يوم الوغى بالمنصل
يا نجل عامر دارنا مع داركم
قد عمرت من بعدنا بالحنظل
وأسير من شد السرى متميلاً
فوق الأغر ومقلتي لم تقفل
يا سر ما عندي إذا لاحت لنا
يوماً على تلك الرسوم المحل
ويعود دهر قد مضى بسبيله
ويعود حسن الروض بعد تدبيل
فابلغ سلامي يا نسيمة الصبا
نحو الشقيق الوالد المتفضل
أعني أبا يعقوب مولانا الذي
نرجو رضاه وهو غاية من يلي
من آل زيان الكرام نتاجه
ياقوتة في وسط سلك مجتل
من نجله موسى الذي هو لم يزل
بين الخلائق كالسماك الأعزل

8/ظ/ ثم الصلاة على النبي المصطفى

ما دام سلطان القديم الأول

عندما بعث بهذه القصيدة إلى أبيه ؛ أخذَ في أمر الخلافة أخذَ الحازمِ النبيه. ولعمري ؛ لقد أجاد في نظمها الرائق، ويُنَّ فيها عن حاله بحسن البيان الفائق. نزل على طلاوة الخلافة، وظهور العزِّ والأناقة.

عاد الخبر: فبينما المولى أبو حمو يروم الدخول لبلاده، ويلم عليها أعرابه، وجملة أحشاده، ويجمع أفلال بني عبد الواد، ويستعد لذلك أتم الاستعداد؛ ليشيع الخبر به في إقليمه، ويعلم الناس بإتيانه وقدمه، وأن يستقبل بلاد أسلافه وآبائه ؛ بطلب الثأر في أعدائه ؛ إذ أتاه آت ؛ أخبره أن سليمان بن داوود الميرني¹ استنهضه أبو عنان؛ لتغريم الجهات القسطنطينية، وتلك الأوطان. فعندما تحقق المولى أبو حمو إتيانه لتلك الجهات ؛ انتهض له من باريكا ؛ ليشتهه أتم الشتات، واتسع له ليتوغل في الفلاة؛ ليثب عليه وثبة الآساد. فبينما سليمان المذكور مشغلاً بالغرامات، ومسروراً بنمو الجبايات ؛ إذ أتاه من قبل العرب نذير؛ يخبره بالمولى أبي حمو؛ أنه عليه سيغير، وأنه في القرب منه في تلك البلاد، وأنه في أمم من الأعراب، والأحشاد، وشرذمة وافرة من

¹ هو سليمان بن داوود بن أعراب العسكري، ولاة أبو عنان على جبل الفتح بالأندلس؛ ثم استدعاه وكلفه بخطة الوزارة؛ وسرجه سنة 759هـ/1357م إلى المغرب الأوسط وإفريقية؛ لتمهيد تلك المناطق والوقوف في وجه الأعراب المخالفين.

بني عبد الواد. فانسحب سليمان - المذكور - في جيشه مرغماً، وخاف الاستيلاء¹ على محلته؛ سبياً ونهباً؛ فطوى المراحل للمغرب؛ وهو من أمر بني عبد الواد كالمغرب. وعندما سمع المولى أبو حمو بفراره؛ ترحّل إلى مقرة²؛ دارجاً على آثاره؛ فلم يجد له أثراً، ولا تعرف له خبراً. فأقام بمقرة أياماً يتلوم؛ هل يتأخر، أو يتقدم. ثم ارتحل إلى الزاب³؛ وقد اجتمعت عليه الأعراب. ثم اقتضى نظره أن يرتحل إلى ريغ⁴؛ ليتسع في السّبي البليغ، ويتفرغ إلى الغارات أيّما تفرغ⁵. ثم من ريغ عاملاً على وارجلاء⁶؛ طالباً منها أين /9و/ يكون التقاؤه بالأعداء. فافتحم - في ركوب الصحراء - مركباً عظيماً؛ قل ما يلقي راكبه سليماً؛ قذف نفسه في المهمة⁷ التي يترك فيها الوالد ولده، ويقول الجلد ليت

¹ في الأصل: ((الاستيلاء))؛ وهو تحريف.

² مقرة لا تبعد كثيراً عن بريكة، اشتهرت بالفلاحة؛ فلاحه الزيتون بصفة خاصة. قال فيها البكري: ((ومن طينة [عاصمة الزاب سابقاً؛ وتقع في الجنوب الشرقي من بريكة] إلى مدينة مقرة؛ وهو بلد كبير؛ ذو ثمار وأنهار ومزارع)). المغرب، ص: 51. وإلى مقرة هذه تنتسب أسرة المقرّي - في أصولها الأولى - من بينها؛ أحمد بن محمد المقرّي التلمساني صاحب كتاب نفع الطيب (986هـ - 1578م - 1041هـ/1631م).

³ وفي هذا يقول أبو حمو: ((وجئت لأرض الزاب ففاضت مدامعي تذكرت أطلال الرسوم الطواسم))

⁴ ريغ أو وادي ريغ: نسبة إلى بني ريغة من مغراوة الزناتية؛ وهم حي من قبيلة مغراوة الزناتية؛ سكنوا هذه المنطقة الفلاحية الممتدة من جنوب بسكرة إلى شمال ورقلة. وتشتمل هذه المنطقة الصحراوية الخصبة على مدن عديدة متقاربة؛ يطلق عليها اسم الواحات؛ وهي - في الحقيقة - ليست بواحات؛ بل هي تجمعات عمرانية متلاصقة تقريباً؛ خاصة في بساتينها ذات النخيل الكثيف، والمياه الغزيرة المتدفقة. ذكرها أبو حمو في قصيدة ((جرت أدمعي))، إذ قال: ((جزت بأرض ريغ...)).

⁵ في الأصل: ((تفرغ)).

⁶ وركلا أو ورجلا أو ورقلاء: تسمى الآن ورقلة وهي مدينة كبيرة مستبحرة؛ لها تاريخ حافل بالأحداث؛ بحكم موقعها المتميز؛ الذي يربط بين مدن شمال المغرب الأوسط ببلاد السودان. أما الآن فهي عاصمة اقتصادية كبرى للجزائر؛ بحكم أنها مقر ولاية بتروولية هامة.

⁷ المهمة: المغارة البعيدة.

أمي لم تلدني، ولم أشهد هذا القفر الذي هم لي أن أشهده؛ وذلك لمفاوزها المؤدية بالإدهاش، ذات الثمانية الأيام العطاش؛ مراحل بغير مياه؛ لم تلف بها طيراً ولا تراه؛ سوى شجر العضات¹. فمن ريغ إلى وارجلا؛ خمسة أيام؛ تجف فيها الرّوايا²، وتقتل من شدة الأوام³. ومن وارجلا؛ ترحل إلى مصاب⁴. وهذه الثمانية مشبهة بصحراء عذاب. ثم من مصاب إلى زرقون⁵؛ كلها مهامه تعزف فيها الجنون، ويعرض على السالك فيها المنون. ولما حل بهذا المنزل المعروف المذكور، وتخلص من مشقة القفر المشهور؛ علم أنه حلّ بأوائل بلاده، وأنه على رؤية من طلب مراده. فبينما هو بهذا الموضع؛ الذي رجا أن يبلغ منه الآمال؛ إذ أتاه الخبر؛ أن أولاد عريف⁶ بملال⁷؛ وأنهم

¹ العض؛ جمعه أعضاض؛ ما صغر من شجر الشوك.

² الرّوايا؛ الجلود المعبأة بالماء.

³ الأوام؛ العطش.

⁴ مصاب أو وادي مصاب؛ منطقة صحراوية؛ ولكنها جبلية التضاريس حجرية التربة. تقع شمال غرب مدينة ورقلة، وجنوب مدينة لغواط ومما قاله صاحب العبر عن مصاب: ((ومن بني واسين - هؤلاء - بقصور مصاب؛ على خمس مراحل من جبل تيطري - في القبلة بما دون الرمال - وعلى ثلاث مراحل من قصور بني ريغة في الغرب. وهذا الاسم [يقصد مصاب] اسم للقوم الذين اختطوها ونزلوها من شعوب بني بادين - حسيما ذكرناهم الآن - ووضعها في أرض حرّة على أكام.... وسكانها - لهذا العهد - شعوب بني بادين؛ من بني عبد الواد وبني توجين ومصاب وبني زردال؛ فيمن يضاف إليهم من شعوب زناتة؛ وإن كانت شهرتها مختصة بمصاب)). مج: 7، 123. وقد أشار أبو حمو إلى ورجلا ومصاب في قصيدة ((جرت أدمعي))؛ حين قال: ((وجنت لوارجلا وجزت مصابها)).

⁵ يقع هذا الوادي في الجهة الجنوبية الغربية من لغواط وقد ذكر أبو حمو وادي زرقون في قصيدة قصيدة ((جرت أدمعي))؛ حين قال: ((لي أن بدا لي وادي زرقون أزرقاً)).

⁶ أولاد عريف؛ هم أحد أحياء قبيلة سويد بن عامر بن مالك بن زغبة الهلاليين. ومن أشهر رؤسائهم ونزمار بن عريف. كانوا في البداية من حلفاء بني عبد الواد؛ ثم تحولوا عنهم إلى بني مرين.

⁷ ملال؛ بهذا الاسم - أيضاً - سماه يحيى بن خلدون في بغية الرواد، وكذلك السلطان أبو حمو في قصيدة ((جرت أدمعي)). وقد يكون المقصود به؛ واد ملول؛ الذي يقع جنوب تلمسان؛ وهو الذي أشار إليه عبد الرحمن بن خلدون - دون أن يسميه - وذلك حينما حدد مكان الوقعة بأولاد عريف؛ فقال أنها حدثت جنوب تلمسان. (العبر، مج: 7، ص: 627). وبالمقابل نجد أن الوزان يصف نهراً

رايعون¹ بالأهل والمال. فأخذ في شأن الإجلاب² عليهم. فجهز سرية من - حينه إليهم - وقصد حيث هم مستقرون؛ وصَبَّحهم صباحاً وهم لا يشعرون؛ فاستولى عليهم، وأذلهم، وسبى نساءهم، واستاق إبلهم، وأسر جملة من سويد³ وقتلهم. واستولت بنو عامر على ناجعة سويد، وصادوهم على غفلة أيّ صيد؛ فمات في هذه الكاينة عثمان ابن ونزمار⁴، وصاح بهم بنو عامر صيحة الثأر؛ وأخذ أبو بكر بن عريف وأخوه عبد الرحمن؛ فأبقى عليهما، وسرحهما بذلك المكان، وامتنَّ عليهما بذلك امتناناً، وعفا عنهما تكهما وإحساناً. وبعد هذه الفعلة الشنيعة⁵، والمقتلة الفظيعة. ترحل من ملال؛ بعز الذخائر؛ وقد رفت بالظفر من حسه الأسارير⁶. وفي هذا الفوز بلغه موت أبي عنان، وأنه صار رهين التُّرب والأكفان؛ فسبحان ذي العزة والسلطان. فكان وصول الخبر بموته؛ في سابع شهر المحرم فاتح عام الستين [وسبعمائة]⁷. وفيه /9ظ/ كان مبدأ الفتح المبين. فكان وصول هذا الخبر من أعظم

يسمى مَلُول - وهو أحد روافد نهر ملوية - فقال: ((مَلُول نهر نابع من الأطلس في تخوم مدينتي: تازا ودبدو؛ لكنه إلى دبدو أقرب، ويسيل في سهول تيريست [أي بالأمازيغية الأرض البيضاء الشبيهة بالصلصال] وتقرّاطة الوعرة اليابسة، ثم يصب بعد ذلك في ملوية)). وصف إفريقيّا، ج: 2، ص: 250.

¹ أي ينتجعون ويرعون.

² في الأصل: ((الإيجاب))؛ وهو تحريف.

³ هم من بني مالك بن زغبة الهلاليين.

⁴ وهو ابن ونزمار شيخ قبيلة سويد من زغبة الهلالية.

⁵ هكذا.

⁶ يرى يحيى بن خلدون أن أبا حمو أراح ظهر جيشه في هذا الموضع لمدة أيام؛ بعد الوقعة ببني عريف؛ لِمَا يتميز به من وفرة المرعى؛ ويقوا على ذلك إلى فاتح سنة 760هـ/1358م. وفي ذلك الموضع - وخلال راحتهم - وصلهم خبر وفاة أبي عنان. أنظر بغية الرواد، ج: 2، ص: 65.

⁷ 1358م

الفتوحات، وأسمى الذخائر الممنوحات؛ انهده بموته ركن من العداة شديد، وأبدله جانباً ما حاله يسر.¹ وقد كان عازماً على أن يجوس خلال بلاده، ويقاتله بجشده وأفراده، وأن يضرم عليه البلاد ناراً، ويرجفها غارة وشناراً²، وأن يضرم البلاد السجلماسية³؛ بعد أخذ البلاد البلاد التلمسانية؛⁴ وأن يحشد عليه كافة زناتة والأعراب، ويخرب بلاده بلاده أي خراب. إلا أن سبحانه كفاه أمر القتال، ومنحه الفتح الذي كان له غاية الآمال؛ وتلك علامة السعادة، وآية النصر مع الريادة. ومن كلام الحكماء⁵: "من كفى مئونة عدوه فقد نصّر عليه، وارتقى إلى إلى سموه". وهذه أثر من النصر العزيز، وآية تدل على الظهور والتبريز.

¹ وهنا - كما ذكر صاحب بغية الرواد - قررت بعض أحياء رياح - الذين رافقوا أبا حمو - العودة إلى ديارهم ويبدو أنهم تجنبوا دخول التل في الشتاء؛ خوفاً على مالهم. وقد لمح إلى ذلك يحيى بن خلدون حين تكلم عن بقي مع أبي حمو من العرب؛ فقال: ((ويماء تيسيرين [اسم مكان]؛ تلج العرب، ومن عادتهم تحامي التلول في إبانته؛ فما هلغوا للقاته، ولا مساقطه، ولا جزعوا لرؤوس أموالهم من مصابه)). (بغية الرواد، ج: 2، ص: 68). ومع هذا فقد بقي مع أبي حمو شيخان من رياح هما: شبل بن ملوك بن عثمان بن سباع، ودغار بن عيسى بن رحاب السعيدى. إذ اختار هذان الشيخان البقاء في خدمة السلطان أبي حمو؛ حتى يحقق أهدافه المنشودة. أنظر بغية الرواد، ج: 2، ص: 66.

² الشنار: العار وما قبح من العيب.

³ سجلماسة: مدينة صحراوية تربط بين شمال المغرب وجنوب الصحراء - في الطريق التجاري نحو إفريقيا السوداء - بناها المكناسيون سنة 140 هـ/757م؛ عندما أسسوا دولتهم الصغرية؛ التي عرفت باسم دولة بني واسول أو بني مدرار. وهي مندثرة حالياً. أما موقعها الآن فيتواجد في منطقة تافيلالت المغربية.

⁴ تلمسان: هي من أعظم مدن بلاد المغرب الأوسط. بناها أول مرة الرومان؛ إذ كانت تسمى عندهم (بوماريا)؛ ثم أعاد بناءها أبو قرّة اليفرنى، واتخذها حاضرة لملكه. ثم انتقل أمرها إلى المغراويين؛ الذين اتخذوها عاصمة لدولتهم. ولما وفد سليمان بن عبد الله الكامل؛ أسس بها دولته العلوية التي تشمل المغرب الأوسط. كما أصبحت في أيام بني عبد الواد عاصمة لدولتهم طوال حكمهم للمغرب الأوسط؛ إلى أن سقطت نهائياً في العهد العثماني.

⁵ في الأصل: ((الحكما))؛ بدون الهمزة.

وعندما تحقق المولى أبو حمو موت أبي عنان؛ أخذ في الانتهاض لتلمسان؛ وتأخر ما أراده من: الإيخاف والإرجاف،¹ وتشتيت تلك الأوطان بالمخاف. ورأى أن دار خلافته أحق بالمبادرة، وأجمع له بخيرَي: الدنيا والآخرة. فارتحل من ملال؛ إلى كبود² وأحواله مقترنة بسعدى السعود؛ ومنه راحلاً إلى درج³؛ عاملاً على فرتون⁴؛ وقد ظهرت علامات النصر على لوائه الميمون. وفيه أته القبائل للمبايعة؛ وبادرت للخلافة الزيانية الجامعة. ثم انتقل إلى عين الحجر⁵؛ وقلبه جذلان بنيل الوطر. ثم ارتحل إلى يسر⁶؛ وأحواله في كل يوم تيسر، والناس تأتي لطاعته أفواجا، وتدخل تحت رايته العالية أفراداً وأزواجاً. ومن يسر⁷ هذا اعتد لقتال تلمسان، وتيسر لها بما جمعه من الإمداد وفرسان؛ عاملاً على أن يشن عليها الغارات، ويطلب في بني مريم

¹ رَجَفَ القومُ: تهيأوا للحرب، حسب رأي صاحب زهر البستان؛ فقد كان هدف أبي حمو في أول الأمر؛ شن غارات استنزاف ضد المرينيين؛ ولم يكن هدفه فتح تلمسان.
² كبود: سماها يحيى بن خلدون مرة ((خضراء كبود))، ومرة أخرى ((سيخة كبود))؛ بينما يسميها أبو حمو في قصيدة ((جرت أدمعي)) بالاسم الأول؛ حينما قال: ((وخضراء كبود تبتد هضابها)).
³ درج: فيما هو شائع؛ موضع موجود في إفريقية (المغرب الأدنى)؛ ويبدو أن هذا الاسم أطلق أيضاً على موضع آخر بالمغرب الأوسط؛ ولكن نعذر علينا معرفته، ومما يعزز هذا الرأي؛ أن السلطان أبا حمو ذكر اسم ((درج)) في قصيدته: ((جرت أدمعي))؛ على أنه موضع قريب من تلمسان؛ إذ قال: ((درجنا إلى درج ولاحت بشائر)).
⁴ فرتون: يسميه يحيى بن خلدون؛ ثنية فرتون، وهي غير معروفة؛ مع أنها حسب ما يفهم تقع جنوب تلمسان؛ على حافة الصحراء، وقد ذكرها أبو حمو في قصيدة ((جرت أدمعي))؛ حين قال: ((ولاح لنا فرتون)).
⁵ حدد صاحب بغية موضع عين الحجر؛ في الجهة الشرقية من وادي يسر. ومع هذا بقي الغموض الغموض يكتنفها. ولا أدري إن كان لعين الحجر هذه علاقة بحمام بو حجر المتواجد هو أيضاً شمال تلمسان.
⁶ يسر: هو أحد روافد وادي تافنة؛ يبعد عن تلمسان - في جانبها الشرقي - بحوالي 40 كيلومتر.
⁷ ذكره أبو حمو بهذا الاسم في قصيدته ((جرت أدمعي))؛ فقال: ((وعجنا وعرجنا على وادي يسر)).
⁷ أي من وادي يسر.

الذين بها الثارات. ومن يسر هذا قاتل تلمسان، ودخلها على ولد أبي
عنان في الآن؛ وقد نظم في رحلته هذه قصيدة فريدة؛ ضمنها جملة ما
قلناه؛ بين فيها شرح وحركاته السعيدة، ومبدأ الحال ومنتهاه، /10و/
وأشار إلى ما قاله أهل الجفرانات، وتحدث به أهل الحدثن من
الكيانات. وقد رأيت إثباتها في هذا الموضوع للمناسبة؛ ولتتفق القصة
نظماً ونثراً؛ اتفاق المصاحبة؛ وهي هذه القصيدة الفريدة المعمرة الرابعة
المباركة السعيدة:¹

جرت أدمعي بين الرسوم الطواسم²
لما شحطتها³ من هبوب الرواكم
وقفت بها مستخبراً لخطابها⁴
وأي خطاب للصلاة الصلادم⁵

¹ وردت هذه القصيدة - بالإضافة إلى زهر البستان - في بغية الرواد، وواسطة السلوك، وواضح أنها في زهر البستان كانت مليئة بالأخطاء، وهي في بحر الطويل (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن)؛ يجوز في فعولن = فعول، وفي مفاعيلن = مفاعلن. وفي الأعاريض: مفاعلن. وفي الأضراب: مفاعلن، وفعولن.

² الرسم جمع رسوم وأرسوم؛ ما كان لاصقاً بالأرض من آثار الدار، وطسم طسماً الشيء؛ طمسه وأخفاه.

³ الشَّحَطَ وللشَّحَطِ: البعد.

⁴ كتبت في بغية الرواد: ((بخطابها))، أما كلمة ((مستخبراً)) فكتبت في بغية الرواد وواسطة السلوك: ((مستفهماً))، والراجح هذا هو الصحيح.

⁵ في أصل زهر البستان: ((للغصاب الصلادم))، حَوَجَرَ صَدَلَدٌ: صَدَلَبَ أَمَلَسَ. ويقولون: ((جيين صَدَلَدٌ))، (ورأس صِلَدٌ صِلَادِمٌ)؛ الذي لا يثبت فيه الشعر.

وسرت على جون أقب مضمراً¹
كلمعة برق أو كلمحة صارم
وجلت بطرف الطُّرف في عرصاتها
كجولة واه أو كوقفة هائم
وصفقت ما بين الطلول خوامسي
وسالت² سواقي الدمع مثل الأرقام
وقلت لصحبي تَمَلُّوا من السرى³
ولا يزدريكم في السرى لوم لائم⁴
وسل سامرات الحي⁵ أين تحملوا
فقد عيل صبري بين تلك المعالم
ديار عهدناها بها الشمل جامع
مع الغانجات الأنسات النواعم⁶

¹ في أصل زهر البستان: ((بشحبها))؛ والشحب هو: الهزال والتغير. أما في واسطة السلوك (مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية)؛ فكتب: ((وسرت على جون أقب مشحب)). الجون: يقصد به الحصان الأسود اليمومي، والأسود المشرب حمرة، والقَبُّ والقَبُّ: دقة الخصر وضهور البطن، والخيلُ القَبُّ؛ الصَّوامِرُ. قال هذا البيت في وصف حصانه.

² في بغية الرواد: ((وفاضت)).

³ هكذا في بغية الرواد، وواسطة السلوك؛ بينما كتب في الأصل بزهر البستان: ((وقلت لصاحبي لا تمل من السرى)). وبذلك يختل وزن الشطر.

⁴ السرى: المروءة والسخاء، وجاء عجز هذا البيت في بغية الرواد هكذا ((ولا تزدريك اليوم لومة لائم)).

⁵ كتبت في بغية الرواد: ((سلوا ساكنات الحي)). أما في واسطة السلوك (مط) فكتبت كلمة ((جملات)) بدلاً من ((ساكنات)).

⁶ هكذا في بغية الرواد، وواسطة السلوك. بينما كتب في الأصل بزهر البستان: ((مع الغانجات بين الأنسات النواعم)). وبهذا يختل الوزن.

وكم ليلة بات السرور مساعدي
بسعدى وسلمى والمنى أم سالم
فعادت رسوم الدار بعد أنيسها
هشيمًا ولا تخفى بقايا الرواسم¹
وكم نسجتها من جنوب وشمال
وكم سجعته² من لغات الحمائم
كأني بهم والله يوم تحملوا
وحادي النوى يحدو بذات المباسم³
قطعنا الفيافي بالقلاص⁴ وإنما
تجاب الفلا بالخف أو بالمناسم⁵
وقد خلتها بين الرياح زوابعاً⁶
تسابق في البيدا ظليم النعائم⁷

¹ في بغية الرواد، وواسطة السلوك: ((المراسم)).

² في و . س (مخ) ((شجعته)) وهو تحريف،

³ جاء في و . س (مط) ((يحدو هوادي الرواسم)). أما في (مخ) فكتبت: ((وحادي النوى يحدو بذات المباسم)).

⁴ في بغية الرواد، وواسطة السلوك: ((قطعت الفيافي)). القلوص من الإبل؛ جمعها قلائص وقلاص؛ الطويلة القوائم.

⁵ هكذا في بغية الرواد، وواسطة السلوك؛ بينما كتب في الأصل بزهر البستان: ((بالخف أو المناسم))؛ وهذا يخل بالوزن؛ المَنَسِمُ جمعُه مَناسِمٌ للإبل والنعام؛ هو طرف الخف، وشبيهه بظفر الإنسان.

⁶ هكذا في البغية والواسطة، أما في الأصل بزهر البستان: ((زوابعها))؛ وهذا يخل بالوزن.

⁷ الظليم: ذكر النعام؛ وقد اشتهر بالسرعة.

مكحلة الأحداق فيها هشاشة

مهملجة الأطراف سود المباسم¹

ومعها أسود الحرب تطوي بها السرى²

يرون المنايا بعض تلك المغانم³

وخضت الفيافي فدفداً بعد فدفد⁴

لطلب⁵ العلى والصبر إذ ذاك لازمي

وكم ليلة بتنا على الجذب والطوى⁶

نراقب نجم الصبح في ليل عاتم

على متن صهّال أغرّ محجل⁷

مديد الخطا لم يخش صعب الصلادم

تسربلت كردوسين من آل عامر

ومن آل إدريس الشريف ابن قاسم

¹الهَمْ لَجَةٌ والهَمْ لَاجٌ: حسن سير الدابة في سرعة.

² في بغيّة الرواد، وواسطة السلوك: ((الغلا)).

³ هكذا في البغيّة والواسطة؛ بينما سقطت كلمة: ((تلك)) في الأصل بزهر البستان؛ وهذا يخل بالوزن.

⁴الْفَدَوْدُ: الفلاة الخالية والمرتفعة التي تتصف بالخشونة والصلابة.

⁵ في البغيّة، والواسطة المطبوعة: ((لنيل العلى)).، أما في مخطوط الواسطة فكتب: ((لقصد)).

⁶ الطوى: الجوع.

⁷ صهال أغرّ محجل: كلها صفات للخيل، الصّهيل: صوت الخيل، والأغرّ: صفة للبياض الذي يعلو

جبين الحصان أو الفرس، والمحجل: الحصان الذي يعلو البياض قوائمه الأربع.

10/ظ/رجال إذا هاج الوطيس تراهم¹
أسود الوغى من كل ليث ضبارم²
وجبت الفيافي بلدة بعد بلدة
وطوعت فيها كل باغ وباغم³
وجئت لأرض الزاب فاضت مدامعي⁴
تذكرت أطلال الرسوم الطواسم⁵
وشبكت عشري⁶ فوق رأسي فلم أجد
بها مخبراً غير الربى والمعالم⁷
وجاوزتها ما بين هوج هجائن⁸
رقاق العوالي⁹ عاليات القوائم

¹ في البغية، والواسطة: ((رجال إذا جاش))، الوطيس: المعركة، يقولون: (حمي الوطيس)؛ أي اشتدت الحرب.
² أسدَّ بَارْم: الشديد الخلق، والضبارم: الجريء على الأعداء.
³ بَعَمَ الرجلُ صاحبه: لم يفصح عما يقوله.
⁴ في البغية والواسطة: ((وجئت لأرض الزاب تذرف أدمعي))، وأرض الزاب: سبقت الإشارة إليها؛ وهي المنطقة الفلاحية الواسعة المحيطة ببسكرة.
⁵ وفي واسطة السلوك (مط) كتب: ((لتذكّر أطلال الرسوم الطواسم))، أما بغية الرواد: ((لتذكّر أطلال الربوع الطواسم))، الطواسم)).
⁶ في الأصل بزهر البستان: ((وشبكت شعري))؛ بينما كتب في: البغية والواسطة: ((وشبكت عشري))، ويبدو أن ما جاء فيهما أصح وأسلم؛ لأن تشبيك الأصابع العشر فوق الرأس؛ حركة يعبر بها عن الحيرة.
⁷ وهنا؛ يقول أبو حمو: أنه لما وصل إلى أرض الزاب تذكر أطلال الديار والمنازل المنطمسة المنذرة، فشبك فشيك أصابعه فوق رأسه من الحيرة؛ إذ لم يجد دليلاً يخبره سوى تلك الربى والمعالم الباهتة، بدلا من ((ربوع)).
⁸ في واسطة السلوك (مخ): ((هوج هواجن)).
⁹ في بغية الرواد: ((الهوادي))، والهوادي هنا أصح؛ ومعناها: ذوات الأعناق الطوال؛ وفي الحديث: ((طلعت هوادي الخيل))؛ إذا بدت أعناقها.

وجزت بأرض الريح راغت بأهلها¹
ببلقعةٍ قفراً قفاها² عزائمي
سألت ربوع الدار يوماً فلم أجد³
بها معلماً يأتي إليّ بعالم
شدت عُرى للنجع من كل جانب
وصيرتها مثل الرياح الرواكم
تخيلتها مثل القطا في ميسرها
وفوق ذراها كل شهم وحازم
وحفت بها⁴ الأبطال من كل جانب
تذكرها عند الهوى⁵ بالصماصم⁶
وجئت لوارجلاً وجزت مصابها
ولا مخبر⁷ غير الصلاد الأعاجم

¹ في مخطوط واسطة السلوك: ((وجزت بلاد الريح)). وفي بغية الرواد: ((وجزت بأرض ريغ)).
راغت: حادت ومالت، يقولون: (راغ الرجل عن الطريق: حاد عنه؛ مكرراً وخديعة).
² في البغية: ((ببلقعة قفر قفتها)). وفي الواسطة: ((ببلقعة قفراً قفتها)). البلقع والبلقعة؛ جمعها بلاقع: الأرض القفر.
القفر.
³ في البغية والواسطة: ((سألت ربوع الدار فيها فلم أجد)).
⁴ في بغية الرواد وواسطة السلوك: ((وحفت بنا)).
⁵ في بغية الرواد: ((يذكرها عهد الهوى...)) وفي واسطة السلوك:
((تذكرها عهد الهوى...)).
⁶ سيف صمصام؛ قاطع لا يثني، والسيوف صمصام.
⁷ في و . س (مخ و مط): ((ولا مخبراً))

ومازلت أطوي سيرها بأكامها¹
وأخطبها² بين الربى والهضائم³
قطعت الحمادى⁴ والسراب غدورها
على هيكل عبل الذراعين هاضم⁵
بكرليوم الحرب لا يشتكى الونى⁶
بفر⁷ إذا طالت عظام الهزائم
إلى أن بدالي وادي زرقون أزرقا
وبانت عليه شاحبات الغياهم⁸
طرقت برأسي واستفزيت⁹ بالكرى
وكم من ليال بُتُّها غير نائم
وجددت في طلب¹⁰ السرايا مسربلاً
بسير حثيث أو سُرى متداوم

¹ في بغية الرواد وواسطة السلوك: ((وما زلت أطوي سهلها وأكامها)). وفي واسطة السلوك: ((سهلها بأكامها)).
² في بغية الرواد: ((وأخطمها)).
³ الهَضْمُ والهَضْمُ: المَطْمئن من الأرض، وثمة من رأى أنه أسفل الوادي، والهضم جمعه أهضام؛ ولكن أبا حمو جمعه بـ"هضائم" للضرورة.
⁴ الحمادى: اصطلاح في بلدان المغرب على تسمية الصحراء الحجرية المنبسطة بالحمادى.
⁵ في بغية الرواد: ((هاجم)). يقولون: ((رجل عبل الذراعين) أي ضخمهما).
⁶ في بغية الرواد وواسطة السلوك: ((مكر بيوم الحرب)) وَوَيْيَ وَوَيْيَ وَوَيْيَ: ضعف وكلّ وأعياء.
⁷ في بغية الرواد وواسطة السلوك: ((مفر)).
⁸ في و. و. س (مخ): ((الغمام)). الغَيْهَمُ: الظلمة، والغياهم: الظلمات.
⁹ استنفر بالكرى: استنخف بالنعاس.
¹⁰ في و. و. س (مخ): ((في طي))، وفي و. و. س (مط): ((في قصد)).

وكم من فيافي¹ قد قطعت أكامها
وكم نسمة جادت عليها نسائي
ويين ضلوعي زفرة مستكنة
يصعده فيض الدموع في غيبه الدجي²
وكم زفرة تعلق من القلب صاعداً
جواها وكم دمع على الخد ساجم³
وبتنا نسوق النجع في غيبه الدجي
وخرصاننا فيها كشهب عواتم
إلى ملل⁴ ملنا وما ملت السرى
سرايا ركاب كالقسي السواهم
ولما بدا لي غيبه القوم ظاهراً⁵
وحيهم بين الظلال الغياهم⁶

¹ في بغية الرواد: ((وكم من بلاد)). أما واسطة السلوك فكتبت: ((وكم من فيافي)).
² لم يرد هذا البيت هكذا في زهر البستان. بينما جاء في بغية الرواد وواسطة السلوك في مكان البيت الموالي الذي يبدأ بـ ((وكم زفرة تعلق...)). كما أن الروي به عيب: الإجازة.
³ سجمت العين الدمع: سألت بالدمع. والعيون سواجم بالدمع تسيل به.
⁴ أي وادي ملال.
⁵ في بغية الرواد: ((ولما بدا لي منزل القوم ظاهراً)). وغيبه: هو شدة سواد الليل أو الشيء؛ يقولون: (جمل غيبه).
⁶ في الواسطة: ((بين الظلال الغياهم)). الغيهم وجمعها غياهم: الظلمة.

جذبنا مجايذا وجدت جيادها¹
 وجات كما العقبان بين السقاهم²
 وضممر عناجيج على صهواتها³
 كرام يجودوا⁴ بالنفوس الكرائم
 11/و/نطاردها فيها الخيل بالخيل مثلها
 فكان على الأعداء كرّ الهزائم
 شددنا عليهم شدة مضرية⁵
 فولوا شراداً مثل جفل النعائم
 فولت⁶ سويد ثم خلت مجيرها
 وشيخ حماها في لجوج المصادم⁷

¹ في واسطة السلوك (مخ + مط) كتب: ((جيدنا مجايذاً وجدت جياندا)). جيدنا؛ جذبنا؛ يصح القول: يَجِدُّ جَابُوا جَدَّبَ يَجْدِبُ جَدَّبًا.
² في و . س (مخ + مط): ((السقاهم)). وفي بغية الرواد ((القشاعم)). والقشعم جمعه قشاعم؛ الضخم المسن من كل شيء، والقشعم أيضاً: المسن من الرجال أو التُّسور والرخم لطول عمره.
³ العناجيج مفرد العنجوج؛ الرائع من الخيل، والصهوة من الفرس؛ موضع اللبْد من ظهره.
⁴ في واسطة السلوك (مخ): ((كرام تجود بالنفوس))، وبغية الرواد ((كرام سماح بالنفوس)). أما في و . س (مط) فهو مثل بغية الرواد؛ والوزن فيه أسلم.
⁵ هكذا أيضاً في مخطوط واسطة السلوك؛ بينما كتب في بغية الرواد وواسطة السلوك المطبوع: ((حملنا عليهم حملة مضرية)).
⁶ في بغية الرواد ((وولت)).
⁷ جاء عجز البيت في بغية الرواد كالتالي: ((وشيخ حماها في الثرى أي جاتم)). وترتيب هذا البيت في بغية الرواد مخالف لزهر البستان.

وكم خلفوا ما بين بكر وبكرة
وكم¹ غادة ملتفة في الهدائم²
وكم قبة طاحت وطاح أميرها
على الأرض ما بين الصفا والرثائم³
وجالت⁴ خيول للحجاز⁵ كأنها
عقاب تمطى بين فرق الحمائم⁶
فحاز الثنا فيها سغير بن عامر
كما حاز من قبل ذياب بن غانم⁷
وطاحت هياشيم على الأرض طعمة
بوادي ملال للنسور القشاعم⁸
فكانوا إلى الطير الغبشم فرائساً⁹
وكانت على الأعداء شؤم الذمائم

¹ في بغية الرواد: ((ومن)).
² جاء هذا البيت في بغية الرواد على غير هذا الترتيب.
³ سقط هذا البيت في بغية الرواد، بينما ورد هكذا أيضاً في واسطة السلوك، ولكن حاجيات غير مفردة: ((الرثائم))؛ وكتبها: ((الوثائم))؛ لأنها أسلم،
⁴ في واسطة السلوك: ((وجالت)).
⁵ في الأصل بزهر البستان: ((للحجازي))؛ بالياء؛ وهذا تحريف يخل بالوزن.
⁶ سقط هذا البيت في بغية الرواد.
⁷ هذا البيت والبيتان السابقان سقطت في بغية الرواد.
⁸ كتب هذا البيت في بغية الرواد، وواسطة السلوك هكذا:
وطاحت على وادي ملال هشائم من القوم صرعى للنسور القشاعم
⁹ وتغيش؛ تخدعه وظلمهز والغابش؛ الخادع الظالم، وفي بغية الرواد: ((كانت إلى الطير القشيم فرائساً)).
والقشيم؛ الموت، وفي واسطة السلوك: ((الغشيم))؛ ولو كتب ((عشوم))؛ لكان أفضل؛ وهو؛ الظالم الغاصب.

وهبت رياح النصر من كل جانب
وكانت¹ إلينا مبهجات الغنائم
ولما قضينا² الأمر في الحرب منهم
رحلنا بعون الله نحو المعالم³
وخضراء⁴ كبود تبدت هضابها⁵
وهبت رياح عاطرات النواسم
درجنا إلى درج ولاحت بشائر
بهلك الأعادي التاعسين الأشائم⁶
ألا أيها الناعي البشير الذي نعى
أمير مرين حزت أسنى المقاسم
لقد قرب الله البعيد بهلكه
فبشراك بالخيرات يا خير قادم⁷

¹ في بغية الرواد وواسطة السلوك: ((وجاءت)).
² في واسطة السلوك: (((ولما قضيت ...))).
³ لم يرد هذا البيت في بغية الرواد؛ وورد في المطبوع من واسطة السلوك.
⁴ هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب في الأصل بزهر البستان، وواسطة السلوك: ((وخضرا كبود))؛
⁵ كبود))؛ بدون الهمزة؛ وهذا يخل بالوزن.
⁶ جاء هذا الشطر في واسطة السلوك هكذا: ((وخضرا كبود قد تبدت هضابها)). وبذلك يختل وزن
الشطر بسبب حذف الهمزة، وإضافة قد؛ معاً.
⁷ يقصد وصول خبر موت أبي عنان؛ سلطان بني مرين.
هذا البيت والبيت الذي سبقه موجودان في و. س (مخ + مط)، وزهر البستان؛ بينما سقطا في الأصل ببغية الرواد.

ولاح¹ لنا فرتون فافترت² المنى
إلينا ابتساما بالثغور³ البواسم²
وصارت أسود الغاب تأتي مطيعة
وعادت لنا الأيام مثل المواسم
قطعنا الثنايا والخميس مسربل
صلاصله مثل الرياح القواصم
وعجنا وعرجنا على واد يسر
وجزنا المخاض³ كالليوث الضراغم
وفي يسر آمالنا يسرت لنا
وجددت⁴ للأوطان فيها عزائمي⁵
وبتنا وبات النوم غير مساعدي
وإني على جد السري جد عازم
وسرنا⁶ ضحى والنصر يهفو أمامنا
برايات سعد فوقنا كالغمائم

¹ في و . س (مخ + مط): ((ولاحت)).

² في ويغية الرواد: ((لثغور البواسم)).

³ في و . س (مط): ((المخاضي)).

⁴ في يغية الرواد: ((وجددت)). وفي و . س: ((وجدت)).

⁵ نفسه: ((فيه عزائمي)).

⁶ في و . س (مخ): ((وصرنا ضحى)).

قدمنا وكان الفتح يرجو قدومنا
وكان على الأعداء شرّ المقادم
11/وظ/وصفواصفوفائهم صفت صفوفنا
1 وخط بها الخطي بين الحلاقم
وجالت ليوث الحرب بين صفوفها
2 وخط بها الخطي بين الحلاقم
ولاح شعاع الهند بين صفوفنا
3 كبرق تبدى بين درج الأراقم
سمونا إلى اسطفطيف⁴ واشتد بيننا
حروب تشيب الرأس قبل الفطائم
كررنا عليهم كرة بعد كرة
5 وقد سمرت⁵ للحرب نيران جاحم⁶

¹ جاء عجز هذا البيت في و . س (مخ) وبغية الرواد هكذا:

((وسالت دموع القوم مثل العناعم)).

² هذا البيت سقط في زهر البستان؛ وهو موجود في البغية، والواسطة.

³ الدَّرَجُ جمعهُ أدراج ودراج: الطريق، الأراقم: من أحيث الحيات؛ لونها مرقطة بالأبيض والأسود وجاء هذا البيت في و . س (مخ): ((ولاح شعاع الهند بين صفوفنا كيدر تبدى بين درج الأراقم)).

أما في بغية الرواد فكتبت: ((بين خميسها)) بدلاً من ((صفوفنا)).

⁴ في و . س (مخ): ((سمونا إلى الصفصيف)). وفي بغية الرواد

((علونا على الصفصيف)). والصفصيف وأحياناً اسطفطيف: اسم الوادي الصغير المجاور لتلمسان حالياً.

⁵ في بغية الرواد ((شعلت)).

⁶ جَدَمَ جَدَمًا النار: أوقدها، والجاحم: الجمر حينما يشتعل بشدة، وجاحم الحرب: ضيقها وشدتها.

والجاحم من الحرب: معظمها وشدّة القتل في معاركها.

بضرب يزيل الهام¹ عن مستقره
 وطعن مضى بين الكلى والحيازم²
 فهذا أسير صفته يد الوغى
 وهذا قتيل في عجاج المصادم³
 فطوبى لعبد الواد عند ازدحامهم
 لقد جدلوا في الحرب كل مزاحم
 وجالت خيول العامرية فوقها
 أسود الشرى في بجرها⁴ المتلاطم⁵
 وعاد شعاع الشمس في الجو أصفرا
 وجال ذباب السيف بين الغلاصم⁶
 جعلنا كراديساً على كل ربوة
 وطالت رقاب الأسد تحت العمائم
 شددنا عليهم شدة بعد شدة
 فولوا فرارا والتجوا للمعاصم⁷

¹ مفرد الهام الهامة: رأس كل شيء.
 كلى وكليات مفردها كلبية: وهي إحدى الغدتين في الإنسان والحيوان؛ وضيقتها تصفية البول وإفرازه
 من الإحيازم وذيازيم مفردها ديزوم؛ وسط الصدر. وفي حال الكناية عن الصبر يقولون شدد الحيازم.
 الصدم: ضرب شيء صلب بمثيله والتصادم: التزاحم، والجيشان يتصادمان: يتضاربان، والمصادم: مواضع التصادم.
⁴ في واسطة السلوك: ((في موجهها)).
⁵ ورد هذا البيت في بغية الرواد هكذا:
 ((وجالت خيول العامرية عندها كاسد الشرى في موجهها المتلاطم)).
 الغلاصم مفردها الغلاصمة رأس الحلقوم.
⁷ سقط هذا البيت في زهر البستان، بينما ورد في البغية والواسطة.

وداروا بأسوار المدينة كلها
كدور سوار فوق حسن المعاصم¹
وقد برزت من خذرها كل غادة
درجن على الأسطح درج الحمائم
وقد عاد ذاك الجمع منهم مكسرا
بجمع لنا بين الكتائب سالم
فراحت مريم الصلح بعد فرارها
وقد ظلموا عمداً ولست بظالم
فلا صلح حتى تضرم الحرب نارها
وتساقط الأبدان تحت الجماجم
وتُخلا من الأعداء دار عهدتها
مع الغانجات الناعمات الكرائم²
وجئت³ تلمسان التي كنت أرتجي
كما ذكروه⁴ في الجفر أهل الملاحم

¹ هكذا في زهر البستان، ومخطوط واسطة السلوك؛ بينما كتب في مخطوط واسطة السلوك، ويغية الرواد ((فوق أبهى المعاصم)). ويبدو أن بيت زهر البستان أسلم؛ وذلك بسبب عيب الإيطاء في يغية الرواد وواسطة السلوك؛ وذلك بتكرار كلمة: ((المعاصم))؛ على التوالي بعد البيت السابق..
² في يغية الرواد، وواسطة السلوك: ((مع الأنسات الناعمات الكرائم)).
³ في واسطة السلوك، ويغية الرواد: ((دخلت)).
⁴ في يغية الرواد: ((كما ذكروا))، وفي واسطة السلوك: ((كما ذكرت)). وما جاء فيهما أفضل مما ورد في زهر البستان

وخلصت¹ من غصابها دار ملكنا
وطهرتها من كل باغ وظالم²
لقد أسلموها عنوة دون عدة
وقد³ طلقوها بالقنى والصوارم
ولم يغنهم ما شيدوا من معاقل
ولم يجدهم ما حصنوا من معاصم
ولا كثرة الجيش اللهام مدرعاً ولا الطبى⁴
ولا ما أعدوا من قسي سواهم⁵
إذا لم يكن للمرء سعد مساعد
فما تغني تعداد⁶ الجيوش الخضارم⁷
نظمتا شتيت الملك بعد افتراقه
وكم بات نهياً شمله دون ناظم⁸
12/و/شددنا له أزراً وشدنا بناءه
بأوثق أركان وأقوى دعائم

¹ في بغية الرواد، ومخطوط واسطة السلوك: ((فخلصت)).
² هكذا أيضاً في مخطوط واسطة السلوك؛ بينما كتب في النسخة المطبوعة وبغية الرواد: ((باغ وجارم)).
³ في بغية الرواد: ((لقد)).
⁴ نفسه: ((ولا الجيش اللهام ولا الطبى)).
⁵ في الأصل بزهر البستان: ((قس سواهم))؛ ولكن جاء في بغية الرواد، وواسطة السلوك: ((قسي))؛ وهو أفضل.
⁶ في بغية الرواد: ((فما تغنه عد)). وفي و. س (مط) كتب: ((فما يغني إعداد الجيوش)).
⁷ الخَضْرَمُ خَضَارِمٌ: الكثير من كل شيء.
⁸ في واسطة السلوك (مط): ((غير ناظم)).

فَعَادَت¹ مَلُوكَ الْأَرْضِ تَأْتِي مَطِيْعَةً
إِلَى بَابِنَا تَبْغِي التَّمَّاسَ الْمَكَارِمَ
وَجَاءَت لَنَا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَوَجْهَةٍ
تَبَايَعْنَا طَوْعاً وَفُودَ الْعَمَائِمِ
أَنَا الْمَلِكُ الزَّابِي وَلَسْتُ بِزَابِي²
وَلَكِنِّي مَفْنِي الطَّغَاةِ الْأَعَاظِمِ³
إِذَا مَا أَتَتْ مِنْ بَعْدِ سِتِينَ سَبْعَةً⁴
نَبِيدَ مَرِيناً كُلَّ طَاغٍ وَجَارِمِ⁵
وَإِنِّي لَمَفْنِيهِمْ وَمَفْنِي جَمُوعِهِمْ
وَهَادِمِ مَا قَدْ شِيدُوا مِنْ مَعَالِمِ
سَطِيحٍ وَشَقَّ أَخْبَرُوا فِي جَفُورِهِمْ⁶
بِذَلِكَ حَقًّا تَحْتَ حَسَنِ التَّرَاجِمِ

¹ في بغيّة الرواد وواسطة السلوك: ((فصارت)).
² كتبت هذه الأخيرة في واسطة السلوك (مط) ((زابن))، وزابني الأولى: نسبة إلى منطقة الزاب الممتدة حول بسكرة، أما زابني الثانية: فتعني الهروب والانسلال متخفياً؛ لذا فهو ينفي عنه تلك الصفة، ومعنى البيت هنا هو: أنه يقول: أنا الملك المنتسب لمنطقة الزاب؛ ولكنني مع هذا لست من الذين يهربون وينسلون في الخفاء.
³ في بغيّة الرواد: ((الطغاة الطمامم))، أما كلمة طمامم: فمعناها العجم.
⁴ المقصود هنا: سنة 760 هجرية.
⁵ هذا البيت؛ والبيتان المواليان مباشرة سقطت في البغيّة والواسطة.
⁶ الجفّر: ضرب من التنجيم؛ سبق الحديث عنه، أما سطيح: فاسمه ربيع بن ربيعة (توفي حوالي 572م) وهو كاهن؛ اشتهر بالتنجيم مع صنوه شق؛ وتقول الأساطير أنه كان دوماً منسطحاً على الأرض؛ لا يستطيع القيام؛ ولا حتى الجلوس، وقد عمر مدة طويلة، أما شق: فقد توفي (في حدود سنة 583م)، ويُعدّ - مع سطيح - من أشهر الكهان أيام الجاهلية، وتقول الأساطير: أن شقاً كان يبد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة؛ وقد عمر هو الآخر طويلاً.

فقمنا بأمر الله في نصر دينه
وفي فك¹ ما قد أحدثوا من مظالم
فله منا الحمد والشكر دائماً
وصلى على المختار من آل هاشم

أنظر إلى براعة هذا السلطان المنصور؛ ووفرة مادة فكرته المؤذنة بالظهور؛ وكيف نزعت همته الشريفة، الكريمة إلى نظم هذه القصيدة الفريدة، اليتيمة؛ لم يشغله عن الفصاحة؛ الطبيعة، وعناء السفر، ولا مقارعة الأعراب؛ أهل سويد. وهذا دليل على ربط الجأش السليم، والشباب الذي لا يشوبه تخيل، ولا يعامل بالتوسم. وتلك غريزة مدّة الله بها؛ مع الشجاعة الفائقة، والفتنة السليمة الرائقة. ومتى نظرت إلى جميع أحواله، وكفاءة خصاله؛ دلتك على التأيد، وأرتك سير الملوك الصناديد. أنظر كيف خرج من بلاده؛ فريداً، مطلوباً في نفسه، شريداً؟ فجمع عليه عتاة العرب، واستمالهم ومدّ لهم بالأطماع، وزين لهم أعمالهم؛ فانقادوا إليه؛ على عتوهم، ونفورهم؛ واقتحموا معه متاهة الحرب باختيارهم؛ ألف كلمتهم بعد الاختلاف، وقصد بهم مدينة تلمسان؛ للحروب والإيخاف؛ وبها الجيوش الوافرة، والأعداد المتكاثرة؛ وتلك من سياسة الصانعة الحسنة، والكفاية التي لا يقدر

¹ في بغية الرواد، وواسطة السلوك: (وفي كف).

عليها إلا الكيس من الرؤساء. وفي أخذه تلمسان، ودخوله
12ظ/للقتلة¹ والبحث على فاعل هذه الفعلة²؛ فسارت الجواسيس إلى
جهة كبود، ودرج؛ ليعلموا من أين انقطع معظم هذا الهرج؛ فأنت
الجواسيس من تلك الجهات، وعرفت لمرسلها المريني³ بما عاينت من
بني عبد الواد الحماة؛ وأخبرته بشأن سلطانهم، ومن هو من أبناء
ملوكهم وأعيانهم؛ وأنه لا بد من إتيانه إليهم، وعمله عليهم. ولما
سمع بذكر بني عبد الواد؛ وأنهم قاصدون بسلطانهم للبلاد؛ جرد
حصّة من خمس مائة فارس؛ وصرفها لكبود؛ لقطع جادة هؤلاء؛
العسكر؛ فوصلوا لنصف الطريق؛ ولم يتجاسروا؛ وقلوا راجعين؛
ولم يأتوا بعلم ما عليه تظاهروا؛ وعادوا لمرسلهم بغير علم، وباتوا
على حرد؛ بعد أن كانوا في سلم. والقائد المريني⁴ من ذلك في قلق،
وتحت لهيب من الخوف وأرق. ثم بعث حصّة أخرى، وحضهم على أن
يباشروا العدو؛ فهو أحق وأحرى؛ وحذرهم أن يرجعوا بغير علم
كالأولين، وأن لا يقتصروا على الملاقاة بهم؛ أين ما وجدوهم
مستقرين. فسارت الحصّة إلى أن كادت تقاربهم؛ إشرافاً عليهم؛
ورجعت لتلمسان؛ ولم تصل إليهم. فلم يقف المريني المذكور من

¹ يبدو أن سياق الكلام انقطع هنا؛ وربما قفز الناسخ من سياق الحديث عن أبي حمو إلى الحديث عن المرينيين المتواجدين بتلمسان.

² المقصود هنا؛ هي الموقعة التي قُتِل فيها بنو عريف بوادي ملال.

³ هو يغمراسن بن عثمان الورسفاني؛ وكافل الأمير محمد المهدي بن أبي عنان. أنظر بغية الرواد، ص: 71.

⁴ سماه هكذا؛ لأنه كافل الأمير محمد المهدي بن أبي عنان؛ ومتولي تربيته. وسماه عبد الرحمن بن خلدون؛ ((سعيد بن موسى العجيسي؛ من صنائع السلطان)). العبر، مج: 7، ص: 627. ويقصد السلطان أبي عنان.

علمهم على يقين؛ ولولا أكلة سويد¹؛ لكذبت بنو مرين. ولما لم يعرف لهم خبر، ولا تحقق لهم أثراً؛ تحير بين تصديق، وتكذيب، وتبعيد، وتقريب. إلى أن ذكر له المولى أبو حمويينهم؛ وأنه يسر له كل ما تعسر. فاضطربت بنو مرين بتلمسان، وهمت بالفرار قبل الضراب والطعان. وأخذ أهل المغرب في القال والقال، وداخلهم الرعب، وعظم التخيل؛ فطائفة تقول بترك تلمسان، والتسليم بالكلية في هذه الأوطان، وطائفة تكذب بوجود هذا السلطان. وعندما عاين المرابي شدة اضطرابهم، وإساءتهم في خطابهم، وقلة صوابهم؛ أشغلهم بالميز، وإحصاء العدد، وبتقيد المرتب، وإعطاء العدة. وجعل يتسبب في غمهم من الغفلة، ويحذرهم من التبلد والمهلة. فإن المرابي كان من أحسن **13/** و/فرسانهم، وحامية حربهم وطغيانهم. ثم عطف عليهم في سيرهم المذكور؛ حين اجتمعوا بعددهم الموفور؛ وقال: يا بني مرين؛ مما داخلكم الفشل، وأصابكم العجز والكسل؛ أخوفاً من بني عبد الواد، أم من البرابر أهل هذه البلاد؟ فإن كان الخوف من بني عبد الواد في التقدير؛ فقد بلغني أنهم في نفر يسير؛ ولو علمت أين مقرهم لنهضت بنفسي إليهم؛ ولضربت بحصة عليهم؛ وقد أتاني العلم بهم، وبغاية أمرهم ومطلبهم. ثم قال: وما عسى يبلغ عددهم القليل؛ فلا يقلقكم هذا التخيل؛ وإن كانوا فما هم إلا كعشركم؛ فأين فلهم من كثرتم؟

¹ أي: ولولا مقتلة سويد... وكلمة ((أكل)) سيستعملها كثيراً صاحب زهر البستان؛ بمعنى القتل، والاستلحام، والاكتساح.

أفلال في البلاد؛ ولنا البلاد؛ والأعواد¹ لنا من قسطنطينة إلى السوس الأقصى؛ وجيوشنا لا تحصى ولا تعد. فذعنوا لمقاله، واغثروا بزخرف محاله. ثم نظروا إلى ما هم فيه من العدد؛ فسكنت نفوسهم للجلد. ثم إن الوزير يغمراسن؛ استحضرهم أيضاً على بكرة أبيهم؛ لينظر حالتهم في انقيادهم. أو ما بهم. وقال لهم: ما رأيكم - يا بني مرين - في شأن هذا الرجل، وأعرابه المنفردين؟ فإنه لا بلد له يرجع إليه، ولا عظيم قبيل يركن إليه ويعول عليه؛ ولو كان له بعض الحصون التي بأيدينا؛ لكان بذلك وصله إلي نادبا، ولو كان مزوداً بالرماة، ومعضداً بالحماة؛ لاتقينا شره، وتخوفنا أمره؛ لكنه رجل منفرد في أعراب، غير صبور للطعن والضراب. ومن المعلوم أن العرب لا تستطيع أخذ البلاد؛ ولو اجتمعت بملء الأرض من الأعداد. يا بني مرين تكلموا، ولا تقتصروا، وانظروا في مقالي هذا، واختبروا، واعملوا ما يشكر لكم ليوم القيام، ولا تسلموا بلدكم سلم اللثام. فأجابوه بلسان واحد: ليس إلا الخروج لقتاله، والعمل على ملاقاته وجداله؛ ثم قالوا: ليس إلا القتال على ابن ملكنا؛ وهو الواجب لما حولنا وملكنا. ثم إن الخبر أتاهم؛ أن المولى أبو حمو عبر لهم من يسر؛ فاعتد كل منهم لقتاله وتشمر؛ ثم اتصل بهم؛ أن القبائل أتته هارعة، وإلى بيعته سامعة، طائعة؛ فاشتد خوفهم لهذا /13ظ/ المقال، وأصيبوا بالرعب والانفصال². ثم أن المولى أبا حمو

¹ أي منابر الدعاء في المساجد
² فش فشلا: ضعف وتراخي. إنفشل: ذعر. والقصود هو: أصيبوا بالفشل.

أتاهم بما معه من الأحشاد، ونشر رايته المقرونة بالنصر والاعتضاد، وأقبل نحو تلمسان؛ إقبال الأسهم¹؛ واحتفل به وجوه بني عبد الواد الكرام. ولم يزل يزاحم، ويقترب، ويقتحم؛ ولا يلتفت؛ إلى أن وقف بتيط، وشقوف (شقوف)². وصَفَّ بها المراكب، واستظهر بالصفوف؛ وعندما عاينه بنو مرين؛ خرجوا إلى قتاله مسرعين. فقاتلهم قتالاً شديداً، ولقوا منه ألماً مبيداً؛ فوقفت الحرب على ساق، وشدت بنو عبد الواد في الإرهاق، وصاحت بالثارات القديمة، وأظهرت شجاعتها الصميمة؛ ثم دفعوا بجملتهم دفعة واحدة؛ فهزموهم هزيمة شنيعة غامرة؛ فأعطوا رقابهم فراراً إلى البلد؛ ولم يغنهم كثرة ذلك العدد. وعندما ولوا على أعقابهم منهزمين؛ وقع القتل في كبار بني مرين؛ فمات في ذلك اليوم الونجاسي؛ علي بن مسعود³؛ كبير من حماتهم الأسود؛ ومات معه جملة من الفرسان؛ ولم تنزل الهزيمة إلى باب تلمسان.

ثم أن المولى أبا حمو؛ عاد بمن معه إلى محلته، جذلان القلب بهزيمة العدو وخداعته⁴؛ فبات ليلته تلك إلى الصباح؛ وفي الغد صبح

¹ هكذا.

² تيط: موقع قريب من تلمسان ورد ذكره أيضاً في بغية الرواد؛ ولكنه الآن غير معروف؛ وكل ما في الأمر؛ أن هذا الاسم شائع في بلاد المغرب كلها؛ فثمة مدينة مندثرة في دكالة بالمغرب الأقصى كانت تسمى تيط؛ وبالقرب من تمرناست توجد الآن قرية تسمى تيت. وتيط بالأمازيغية؛ هي العين الجارية. وشقوف أيضاً مكان بالقرب من تلمسان؛ كما ذكره صاحب بغية الرواد؛ ولكن تعذر تحديده الآن. وشقوف كذلك اسم لبعض الأمكنة في بلاد المغرب.

³ ورد اسمه بهذه الصفة في بغية الرواد.

⁴ هكذا.

على قنطرة وهران¹؛ عاملاً على الكفاح؛ فعند ذلك خرج إليه أهل تلمسان بالرّماة، والأجناد، والأغزاز²، والفرسان؛ وتأهبوا لقتاله، واعتدّوا، وعلموا ما لقوه بالأمس، واشتدّوا، ووقع القتال، وتطاعنت أسود الحرب والرجال، وصالت الفرسان، وتمادى الحرب والطعن. ثم أن بني عبد الواد عادت³ إلى شدتها المعروفة، وإلى طلب ثاراتها الموصوفة؛ فانصرعت أبطال الجلاّد، وعملت المرهفات الحداد، واشتعلت النيران، وشدت أسود الحرب الطعان. فعندما عين بنو مريّن ثبات بني عبد الواد، وانفشال أصحابهم بعد الجلاّد؛ ولّوا⁴ على أعقابهم منهزمين، وتمادت الهزيمة على بني مريّن، واستأصلوهم بالقتل الذريع، وأوقعوا بهم أعظم توقيع؛ وذلك من القنطرة إلى الزلاّقة⁵؛ فيا لها /14و/ من هزيمة، ومن صدمة. ثم دخلت بنو مريّن إلى البلد، ووقف المولى أبو حمو بما معه - بالزلاّقة - من العدد؛ فبات ليلته بالزلاّقة المذكورة. وفي غد أصبح للقتال بعصابته المشهورة؛ فسدّ أهل تلمسان الأبواب، واعتصموا بالسور نعم المهاد. فتقدم المولى أبو حمو لقتال الأسوار؛ عاملاً على الحصار. فأمر وزيره ابن برغوّث⁶ بقتال

¹ يبدو أنها تقع قبل قنطرة وادي الصفصيف؛ وهي في الجهة الشرقية من تلمسان.

² أي الغز؛ وهم فئة من الترك.

³ في الأصل ((عاد)).

⁴ في الأصل: ((ولو))؛ بدون الألف.

⁵ يبدو أن الزلاّقة هذه تقع على أطراف تلمسان؛ سميت بذلك تيمناً بمعركة الزلاّقة الكبرى في الأندلس. أما القنطرة فهي قنطرة وهران المذكورة سابقاً.

⁶ هو موسى بن علي بن برغوّث؛ أحد وزراء أبي حمو.

باب العقبة¹. وسار المولى أبو حمو إلى باب كشوطة²؛ لما ظهر له من الظفر والغلبة. فكان المري المذكور بأجادير³؛ فدخل عليه عنوة كما حكمت المقادير. ولما دخل ابن برغوث أجادير عنوة؛ عين بنو مريم الهلاك والسطوة؛ أعطوا صفقة أيديهم على أخذهم على الأمان التام. فعاملهم معاملة من ثاب بعد الحرب إلى الاستسلام. ثم فتحوا باب كشوطة على الأثر؛ ودخل المولى أبو حمو بما جاء به من الزُمر. ولما دخل تلمسان، وحل بحضرة أسلافه الكرام؛ بادرت بنو مريم بالمبايعة بذلك المقام؛ تقدمهم المكتفي ولد أبي عنان، وتلاه المري، ويغمراسن ابن عثمان؛ ثم استمرت مبايعة جميعهم؛ حتى لم يبق أحد؛ لا من رفيعهم، ولا من وضعهم؛ ثم أمرهم بالمسير؛ وأن لا يبقى بتلمسان منهم أحد؛ لا من كبير، ولا من صغير؛ ثم انتزع خيولهم؛ وركب قبيله؛ وبلغه الله فيهم مأموله. فكان دخوله إليها في غرة ربيع الأول المبارك من عام الستين⁴؛ الذي هو عام الفتح المين. ولما تمهدت البلاد للمولى أبي حمو، وتأثل سلطانه، وثبت في مقر أسلافه الكرام، وعظم شأنه؛ أتاه أهل الوطن، وبايعوه البيعة الكبرى؛ وكان أحق بها وأحرى. وفي أثناء هذه المبايعة؛ وافاه مولد النبي صلى الله عليه

¹ يقع هذا الباب في الجهة الشرقية لتلمسان. ومنها إلى تلمسان القديمة المعروفة بأجادير.
² تسمى باب كشوطة؛ أي باب الأكشاك؛ وتقع في الجهة الجنوبية الغربية لتلمسان؛ أين بناها يغمراسن سنة 668هـ/1269م؛ مدعمة بأبراج وأسوار.
³ أو أكادير؛ ومعناها - على الأرجح - مخازن الحبوب. وهو اسم المدينة الأمازيغية الأزلية لتلمسان.
⁴ أي 760هـ/1358م.

وسلم؛ فكان أول موسم وافاه وهو إمام؛ فصنع ليلة باهرة؛ عن كل خير سافرة؛ أنفق فيها غاية الإنفاق، وأوسع توسيع الاحتراف؛ وباتت الشعراء - بالقصائد - يذكرون ما له من المواقف، والمشاهد؛ فعمل على نظامهم، وثاب - بنخوته - إلى إكرامهم، وأظهر محبته للشعر؛ وأنه يدين بالنظم والنثر؛ ثم أحسن /14ظ/ لهم الجوائز وأجزلها، وبادر بإعطائها وكملها؛ فكانت ليلة عظيمة سامية؛ صحايف الآثار فيها سامية؛ سلك فيها أحسن المسالك، وظهر له الطبع الفاضل بذلك. وسأذكر - الآن - من قصائد هذا المولد السعيد المبرور؛ ما تخير؛ على وجه التبرك بالمولد السعيد والظهور. فمن ذلك ما قاله الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد الحسني¹ المعروف بابن يعلى؛ عفا الله عنه² :
أشهر³ بالأمالي والأمانى أنال العالمين ذوي الأمانى

¹ ليس هو الفقيه العالم محمد بن أحمد بن علي الشريف الحسني صهر أبي حمو؛ والمدرس بالمدرسة التي خصصها له السلطان أبو حمو. إنما هو - كما جاء في الترجمة 615 بكتاب درة الحجال - (محمد بن يعلى الشريف الحسني أبو عبد الله، أخذ عن منديل بن أبي أجروم [مؤلف الأجرومية] وغيره. له شرح على المقدمة الجرومية [الأجرومية]؛ سماه "الدرة النحوية في شرح معاني الجرومية").
² نظمت هذه القصيدة في بحر الوافر (مفاعلتن مفاعلتن فعولن)، ويجوز في مفاعلتن = مفاعيلن، وفي فعولن = فعول. وفي الأعراب: فعولن، وفي الأضراب: فعولن. ولم ترد إلا في زهر البستان؛ وهي متواضعة شكلاً ومضمومنا. كما أنها نسخت بشكل يصعب استخراج معانيها، ولا تفكيك كلماتها؛ بالإضافة إلى الأخطاء الإملائية؛ حيث بُنِرتْ بعض الحروف، وسقطت كلمات يكاملها؛ فاختل بذلك وزن أبياتها، واضطربت معانيها.
³ في الأصل: ((أشهر))؛ وهذا خطأ يؤدي إلى خلل في الوزن.

بمقدمك [انجلي الحق المعلا]¹ بأنوار البشائر والتهاني
ألا أهلا محياه وسهلا وأهلا بالتلاقي والتدان
وأهلا بالهدى والرشد أهلا وأهلا بالحبيب [مدى الزمان]²
محمد النبي الهاشمي شفيع الخلق في يوم الهوان
أنال العز والعليا مكانا ودانا بالتلطف والحنان
وأنقذ من لظى وحمى ونعمى³ نعم، وأحلنا دار الجنان
له بدر السماء انشق طوعا [كذاك]⁴ الشمس ردت للعيان⁵
كذاك الضبّ كلمه مجيباً كذاك الطيبي وافى للضمان⁶
كذاك الجذع حنّ له اشتياقاً [وأنّ يلوّعةً وحنانه، كواني]⁷
كذا الأشجار يدعوها فتأتي⁸ تخدّ⁹ الأرض طائعة العنان

¹ هذا الشطر مضطرب ومعظم كلماته غير مفهومة؛ فجاء هكذا: ((بمقدمك الأهلا المحلي)). هكذا بالضيظ، وعليه فقد وضعنا ما ورد أعلاه بين حاصرتين؛ لكي يتمكن القارئ من متابعة بقية الأبيات.
² كتب في الأصل: ((...الذ تران))؛ فتعذر استنتاج المقصود، وعليه فقد وضعت أعلاه عبارة بديلة؛ بين حاصرتين.
³ هكذا.
⁴ في الأصل: ((كذلك))؛ وهذا يخل بالوزن. فوجب التصويب.
⁵ يشير هنا إلى معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم؛ منها انشقاق القمر، وارتداد الشمس بعض الوقت؛ بعد أن شارفت على الغروب. حدث هذا في يوم الخندق؛ إذ دعا الرسول (ص) فردت الشمس؛ لكي يصلي العصر في وقته. بعد أن نام علي ركة علي كرم الله وجهه.
⁶ معجزة الضبّ سيأتي الحديث عنها فيما بعد. أما معجزة الطيبي؛ فتتعلق بالطيبة التي اصطادها بعضهم، وشدّوها على عمود فسطاط؛ فمرّ الرسول عليه الصلاة والسلام بهم؛ فكلمته متوسلة أن يأمرهم بإطلاقها حتى ترضع صغارها ثم تعود فطلب منهم ذلك وضمنها؛ فاستجابوا له وأطلقوها، فأوفت الطيبة بوعداها إذ عادت إليهم بعد الاطمئنان على صغارها.
⁷ نسخ هذا الشطر هكذا: ((ودرع الشتات ألبهم الرهان)). وهذا كلام غير مفهوم بالمرّة. وعليه فقد فقدنا شطرا بدلا منه؛ ووضعناه بين حاصرتين؛ لمساعدة القارئ على مواصلة القراءة دون بتر أو انقطاع.
⁸ أما معجزة الأشجار؛ فمفادها أن الأشجار تجمعت حول رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لكي تستره؛ عند قضاء حاجته في الخلاء. وبعد انتهائه عادت كما كانت إلى مواضعها المتفرقة.
⁹ خَدَّ الأرض؛ شق الأرض وجعل فيها أخدودا.

وكم للمصطفى من معجزات وآيات على مرّ الزمان
 أمولانا رسول الله شكوى مطيع طابع بالغرب عان
 تَخَلَّف¹ والركاب إليك جرّت رواحلها وساروا في أمان
 وما إن للعبيد سواك ذخراً لما يرجوه من نيل الأمان
 ورحلي قد حطت برحب ملك مطاع لا يضيع بذني هوان
 مليك حازم عدل همام سمي سيد سامي المكان
 أمولانا استعن بالنصر طولاً وثق بالله في كل الأوان
 15/و/ألا فاهناً بما ترجوا فيها وأنت مع السعادة في قران
 سمت بك همة عليا تجلت محل الحمل في أعلى امتكان²
 وتطلب أن تبلغها الليالي علوا ليس يمكن في مكان
 وقد كثرت عن الأشياء حتى مضت علواً ولم تحفل بشأن
 فما ترضى بأعظم ما ارتضته ملوك الأرض من باق وفان
 جرت جري الجموع إلى محل بعيد ما ثناها عنه ثاني
 سليل المجد قد أعطيت علماً وأنت من الصبا في عنفوان
 مليك تحت بهجته وقار كنار قد تجلت من أمان
 لقد نُصِرَتْ جنودك في الأعادي وكرؤوا من سعودك في ضمان

¹ وقع الناظم هنا في عيب التضمين؛ بسبب بدء هذا البيت بكلمة: ((تخلف)) المتعلقة بقافية البيت السابق.
² واضح من أثار التصحيح؛ أنه كتبها في البديهة: ((مكان))؛ ثم تراجع لكي لا يقع في عيب الإيطاء؛ الإيطاء؛ فجعلها: ((امتكان))؛ خاصة وأن كلمة: ((مكان)) وردت في البيت الموالي مباشرة.

قد اعتلقت أكف الناس منه بثبت القلب [صونا للعيان]¹
 إذا ما غرّة الزيغ [عنته]² غزا بالقلب واليد واللسان
 لقد أظفى أبو حمو علينا ظلال العدل في كنف الأمان
 أبو حمو بن يوسف خير ملك تلمسان بها نال الأماني
 أقام بها الشريعة فاستقامت لدين الله آثار تراني³
 يصمم في الجموع بلا افتخار ويسهم في الجزيل بلا امتنان
 فتحفل من ندى يده الثريا ويكشف في سناه البشرآن⁴
 شديد لين يُخشى ويُرجى [رحيم في ملمات خشان]⁵
 وجوه الحسن في تلك السجايا وجود الجود في لك⁶ البنان
 من القوم الذين جنوا وأجنوا ثمار النصر يانعة المجان
 بني⁷ زيان زين الملك أصلا ليوث الغاب في الحرب العوان
 لهم حسن الزمان وطاب نشراً كذا الألفاظ تحسن بالمعاني

¹ رسم الناسخ هذا الشطر هكذا: ((بثبت القلب حفلها العيان))؛ وهو غير سليم؛ فعدلت العبارة الأخيرة؛ ووضعت أعلاه بين حاصرتين.
² في الأصل: ((عنت))، كما أصيبت التفعيلة الثانية بزحاف (لكف)، وذلك بسقوط حرف ساكن في آخر التفعيلة الثانية.
³ هكذا.
⁴ هكذا.
⁵ جاء هذا الشطر في الأصل مضطرب المعنى، ومختل الوزن هكذا: ((كذا المجد استزاد في التبان))، وعليه؛ فقد نظمنا شطراً آخر وضعناه بين حاصرتين؛ لتمكين القارئ من مواصلة قراءة المنظومة دون انقطاع.
⁶ لكة؛ ضغطه.
⁷ هكذا، والصحيح: ((بنو)).

لقد أسكرت أهل الربع حتى بخمر الذعر لا خمر الدنانِ
فكم لك فيه من بطل صريع وكم من موبق في القيد عان
15/صبيت عليهم سيف انتقام إذا ذكروا¹ المنية هو ثاني
خطيب ينظم البيت انتظاماً وينثرها بهم نثر الجمان
تجرده عن القمر المحلى وتكسوه برود الأرجوان
أمولانا ابن مولانا هنيئاً بمجد لا تحيط به التهاني
فكم نظرٌ إليك بلا انتهاء أعندك منه بالسمع المتان²
إذا أعطى جنى النحل المصفى فممزوج بسم الأفعوان³
فليس أريده غير اصطباري وليس يريدني غير امتحان
وما إن خفت منه وأنت قاص فكيف أخاف منه وأنت دان
وقد عاينت إحساناً وبشرى هما قادا هواي وقلدان
وكم أثيت عنك بكل فخر ولكن اليقين مع العيان
[وهأنذا]⁴ رفعت إليك شعراً تنافسني عليه الشعريان⁵
بقيت مجرراً ثوب المعالي ودمت منظمًا سلك الأمان

¹ كتب في الأصل: ((ذكروا لمنية)). بحيث سقطت ألف؛ سواء كانت ألف الجماعة، أم الألف المشتركة مع لام التعريف، وهذا خطأ؛ وجب تصويبه.

² هكذا، ولعلها: ((المتاني)).

³ الأفعوان: ذكر الأفعى.

⁴ كتب في الأصل، وضمن النص الأساس: ((وها أنا))؛ بينما وردت: ((ذا)) في الهامش، وعليه فرسم هذه العبارة بالطريقة المذكورة؛ يخل بالوزن؛ وعليه فقد صوبت العبارة ووضعت بين حاصرتين.
⁵ الشعريان: هي العبور التي في الجوزاء، ويبدو أن الشاعر زج بهذه الكلمة زجاً هنا.

وللفقيه أبي محمد عبد المؤمن بن يوسف المديوني عفا الله عنه¹ :
مدح النبي المصطفى العدناني هو عدتي لقيامتي وكفاني²
صيرته شغلي وغاية مقصدي حتى ثوى بجوانحي وجناني³
وسعت محبته بقلبي فاكتفى وجرت مجاري الروح من جثمانني
لم لا وهو خير العباد لمرتضى⁴ وأجل من وطئ الثرى بينان⁵
الهاشمي الأوفى الكريم المجتبي [من جاءنا بالنور والبرهان]⁶
زين القيامة شافع ومشفع في مذنب أو معتد أو جان
فهو الرسول إلى الخلائق كلهم وهو الدليل لجنة الرضوان
من أجله خلق السموات العلى رب العباد مكون الأكوان
ودحى البسيطة فوق ماء جامد سبحانه من ملك ديان⁷
من أجله⁸ خلق الخلائق كلها متخالفي الأشكال والألوان
16/و/وكذا النبيون الكرام من أجله خلقوا بلا ريب ولا بهتان

¹ نظم الشاعر هذه القصيدة في بحر الكامل (متفاعلن متفاعلن متفاعلن)؛ ويجوز في متفاعلن = مستفعلن. ويجوز في الأعراب متفعلن أو فعولن. أما الأضرب فيجوز فيهلفاعلن، فعولان، مفعولن، فعولن، فعولن. أي يكفيني، ويغنييني.
² ثوى: أقام وسكن. الجوانح: الأضلاع التي تلي الصدر. والجنان - هنا - هو القلب؛ لأنه مستور تحت الأضلع.
³ هذا الشطر غير موزون؛ والخلل في التفعيلتين: الأولى والثانية. بسقوط حرف ساكن في آخر الأولى، وزيادة حرف متحرك في الثانية.
⁴ البنان: أطراف الأصابع.
⁵ كتب في الأصل: ((من جاء بالنور وبالبرهان)). وهذا يخل بالوزن. وعليه فقد صوب الشطر؛ كما ورد أعلاه بين حاصرتين.
⁶ ثمة خلل في التفعيلة الثانية؛ بسقوط حرف متحرك في أولها.
⁷ في الأصل: ((ومن أجله))؛ وهذا يخل بالوزن؛ فوجب التصحيح؛ بحذف حرف الواو في كلمة: ((ومن)). فأضحى كما ورد أعلاه بين حاصرتين.

وضعته أم¹ لم تجد في وضعه أماً كما يأتي إلى النسوان
 في ليلة أهدت لنا كل المنى بظهور خير الخلق من عدنان
 أربيع زرت زيارة محمودة² أزهارها عبت بكل مكان
 وكسوت وجه الأرض حلة سندس خضراء أجمل ما ترى العينان
 لك يا ربيع على الشهور مزية أزجيتها³ بالحسن والإحسان
 حزت المفاخر والمحاسن كلها وعلوت في العليا على الأكوان
 فيك استهل نبينا وحيينا وشفيع أهل الذنب والعصيان
 لما بدا في صورة قمرية بل دونها في حسنها القمران
 وأتى بوحي صادق من ربه ودعا إلى الإسلام والإيمان
 طارت عتات الجن في أفق السما فأصابها شهب من النيران⁴
 وتنكست أصنام قيصر كلها من حينها سقطت على الأذقان
 فكأنها قرئت عليها آية وجب السجود لها من القرآن
 والتاج عن كسرى تساقط هيبه وتفرقت أجزاءه نصفان
 وتهدم الإيوان من أركانه⁵ خوفاً فلا تسأل عن الإيوان
 والماء غاض من البحيرة وانطفت⁶ نيران فارس في أقل زمان

¹ حرفت هذه الكلمة في الأصل؛ فكتبت هكذا: ((مَنْ))، وهذا خطأ؛ فأَمَّ بالتثوين؛ لا بحرف النون كما حدث.
² لأن مولد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقع في يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول.
³ كتبت هذه الكلمة في الأصل: هكذا: ((أذجيتها))، ويبدو أنه تحريف.
⁴ دُعَتْ الشياطين من استراق السمع، وحراسة السماء بالشهب الحارقة؛ وذلك في يوم ولادته صلى الله عليه وسلم؛
⁵ الإيوان: بلاط الحكم في فارس.
⁶ جف الماء من بحيرة طبريا؛ بولادته عليه السلام.

والرَّاهِب المعلوم قال لجده¹ احذر بنيك من أذى الكهان
واحفظه من كيد اليهود ومكرهم وعداوة الأحرار والرهبان
فهو الرسول إلى الورى علم الهدى ومعيد أهل الكفر والعصيان
[فإذا]² بقيت إلى أوان ظهوره وامتد لي عمري وطال زماني
فأمن به وأبذل طاقتي³ في نصردين، أفضل الأديان
كم ذال له من معجزات جملة ظهرت وما خفيت على إنسان
منها الذراع بسمها قالت له⁴ يا أحمد المحمود يا ذا الشان
16ظ/لا تأكلن لحمي فسمي قاتل من فعل أهل الزيغ والعدوان
والجدع حن له لمحض محبة⁵ وبكى بدمع ساجم هتان
والبدر أكبر آية في شقه⁶ دلت عليه لمن له عينان

¹ قال لعمه أبا طالب وليس لجده، والراهب هنا يسمى بحيرى؛ أوصى أبا طالب؛ بأن لا يوغل
بمحمد في بلاد الشام؛ خوفاً عليه من اليهود؛ وليس من الكهان والرهبان.
² كتب في الأصل: ((فإن))؛ وهذا يخل بالوزن، ومع هذا؛ فقد حاول الناسخ استدراك الأمر؛ ولكنه
سقط في خطأ آخر. وعليه؛ فقد صوبنا الخلل بوضع كلمة: ((إذا)) بين حاصرتين؛ لكي يستقيم الوزن.
³ وقع خلل بسيط في ضرب البيت؛ إذ سقط حرف متحرك في بدايته (/).
⁴ يشير إلى ذراع الشاة التي سممتها زينب بنت الحارث، وقدمتها هدية إلى رسول الله؛ لكي تقتله؛
تقتله؛ فقال عليه السلام: ((إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم)).
⁵ ورد في بعض كتب السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب على جذع، ثم تركه؛
فأخذ الجذع يئن أئيناً يسمعه من كان بالمسجد؛ فنزل عليه السلام من حيث كان يخطب، وضمّ
الجذع إلى صدره وقال: هذا جذع، هذا جذع؛ إن أردت أن أغرسك فتعود أخضراً، يؤكل منك إلى
يوم القيامة؛ أو أدفئك فتكون رفيقي في الآخرة. فقال الجذع: بل ادفني؛ وأكون معك في الآخرة".
⁶ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "انفلق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛
فصار فلقين؛ فلقة من وراء الجبل وفلقة دونه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اشهدوا "

ثم الغمامة فوقه مهما يسر¹ هذا لعمر ك أعظم البرهان
والضب خاطبه ونادى معلنا² حيث³ يا من خُصَّ بالفرقان
أنت النبي الهاشميُّ المجتبي صلي عليك الله كل أوان
والماء حتى من أصابعه جرى فروى جميع الجيش دون توان⁴
ثم الحجارة كلمته بلا امترا⁵ من غير جارحة وغير لسان
هذا وكم ظهرت له من آية كالشمس ناشرة على البلدان
صلى عليك الله من علم هدى ما غرد القُمريُّ في الأغصان
وانصر بجاهك يا مجيب إمامنا خير الملوك وسيد الشجعان
ملك همام في الحروب غضنفر مفني العداة بمهرف وسانان
قهر الملوك بمشرق وبمغرب وسمى على الأملاك من قحطان

¹ ورد أن بحيرى الراهب - وهو في صومعته في بصرى الشام - رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركب قريش - حين أقبلوا - وغمامة تظله من بين القوم
² ورد في الأثر أن أعرابي من بني سليم كان قد صاد ضباً ليأكله، فرأى جماعة محتفين بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ فشق الأعرابي الجماعة، وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ وقال: واللات والعزى لا أمنت بك إلا أن يؤمن بك هذا الضب الميت؛ ثم خلع الضب الميت من يده وطرحه بين يدي رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام، فقال صلى الله عليه وسلم: للضب الميت أضب، فقال الضب لبيك وسعديك يا رسول رب العالمين، فقال له الرسول: ومن تعبد يا ضب، فقال الله الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عذابه، قال الرسول: ومن أنا يا ضب، قال الضب: أنت رسول رب العالمين، وخاتم المرسلين، فقال الأعرابي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.
³ في الأصل: ((حيث))؛ وهو تحريف.
⁴ في الأصل: ((توان))؛ وهو تحريف، ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قوله: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وقد حانت صلاة العصر؛ فالتمس الناس ماء الوضوء؛ فلم يجدوه؛ فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء؛ فوضع صلى الله عليه وسلم يده في ذلك الإناء؛ وأمر الناس أن يتوضأوا منه؛ فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه؛ فتوضأ الناس عن آخرهم.
⁵ يشير إلى ما جاء في السيرة؛ من أن رسول الله قال: ((ني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث)).

تاج العلى بدر الدجى سيف الفدى كهف الضعيف وملجأ اللهفان
سند لما أجنى عليه زمانه والمورد السلسال للظمآن
ملك له ملك تأثل شامخاً متوارث من جده زيان
حاز المكارم كلها بيمينه فيها هديت إلى الغنى شيئان
للمقتفي بحر الندى إن أمه [ولمن يناوي لفحة النيران]¹
هذي وحقك ما سمعت بمثلها ماء ونار كيف يجتمعان
أعجوبة قرت بكف سيمدع موسى بن يوسف حامياً الأضعان
الله فضله بها واختصه بمهابة وفصاحة وبيان
يا طلعة البدر المنير ضياؤه عش في سرور دائم وأمان
واجن الأمان فكيف² شئت فإنها حفظ الإله الواحد الرحمن
17/و/وأمر زمانك بالذي قد شئتته يفعلهُ يا مولاي دون توان

¹ كتب هذا الشطر - في الأصل - هكذا: ((ولمن يناوي نفخة النيران)). وهذا يخل بالوزن. وعليه فقد صوب؛ كما ورد أعلاه بين حاصرتين.
² كتب في الأصل: ((كيف))؛ بدون الفاء؛ وهذا يخل بالوزن؛ فصوبت الكلمة كما جاء أعلاه بين حاصرتين.

ومن شعر مولانا الخليفة المنصور، المخصوص بالتأييد والظهور؛

بذكر سيره الحميدة المشهورة، ومناقبه الحسنة المذكورة:¹

دمع يَنْهَلُ من المقل	لقبيح كان من العمل
وجوى في الصدر له حرق	فالقلب لذلك في شغل
ونهيته النفس فما ازدجرت ²	وثناء الصبر فما حيلي ³
ناس ركبوا التقوى ولقد	ركبت نفسي طرق الزلزل ⁴
أبأذني الوقر فما سمعت	والذنب تكاثر من خللي
ليلي سهر يومي فكر	دمعي دُرَّرَ بُرْئِي علي
نفسى ضجرت ⁵ لما افتكرت	هلا نظرت ما يصلح لي
أثمي كَثْرًا شيبني ظهراً	وقد اشتتها والأمر جلي
في قلب شجاً كيف المنجى	لمن الملجا حارت حيلي ⁶
من ينقذني من يسعدني	من يرحمني من يغفر لي
إِلَّا مَوْلَى يسدي الطُولَى	رَبِّي الأعلى شافي علي ⁷

¹ وردت هذه القصيدة - بالإضافة إلى زهر البستان - في واسطة السلوك، نظمها أبو حمو في وزن **فَاعِلُنَّ فِعْلُنَّ فِعْلُنَّ فِعْلُنَّ** وهو أصلاً بحر المتدارك ويسمى أيضاً المحدث (فاعلن فاعلن فاعلن) ويجو في **فِعْلُنَّ فِعْلُنَّ فِعْلُنَّ**، وفي الأعاريض: فاعلن، وفعلن، وفي الأضراب: فاعلن، وفعلن، فإذا استعمل هذه الجوازات بشكل واسع؛ سمي: خيباً.

² في واسطة السلوك: ((فما قبلت)).

³ في واسطة السلوك: ((وتولى الصبر في حيلي)).

⁴ هكذا في الواسطة (مط) وزهر البستان؛ بينما كتب في مخطوط الواسطة: ((ركبت نفسي على طرق الزلزل))؛ وهذا طبعاً يخل بالوزن.

⁵ في مخطوط واسطة السلوك: ((زجرت)).

⁶ في واسطة السلوك: ((بارت حيلي)).

⁷ نفسه: ((ربي الأعلى محيي الدول)).

منشي الرمم معطي القسم باري النسم محيي الدول
 أحيا وأعاد قبيل أبي¹ من عبد الواد[ذي]² الأسل³
 أحيها بي وبأعرابي وأنا الزابي والدولة لي⁴
 بي⁵ أحيها بي أنشأها لي أعطهاها أزل الأزل
 الله قضى والحكم مضى ولنا فرضاً⁶ فدعوا عدلي
 فله الشكر وله الأمر منه النصر لا من قبلي
 حملني الملك ومن يقوى يحمل ما فيه من الثقل؟
 إلا بمَعُونَةٍ خالقنا مولى النعماء وخير ولي
 أحمي المظلوم وأنصره وأقيم الحق على عجل⁷
17ظ/نزلت⁸ الناس منازلهم
 وأنا للطفل كوالده⁹ وأسوق الشيخ على مهل
 والرفق كذلك من شيمي¹⁰ والعدل به أعطي أملي
 وأنيل القاصد حاجته وأنيل المال بلا ملل

¹ في الأصل بزهر البستان: ((أبائي))؛ وهذا تحريف يخل بالوزن.
² في الأصل بزهر البستان: ((أولي))؛ وهذا يخل بالوزن؛ فوجب التصويب؛ كما ورد أعلاه بين حاصرتين.
³ هذا البيت، والبيت الذي سبقه؛ سقطا في واسطة السلوك.
⁴ سقط هذا البيت في مخطوط واسطة السلوك.
⁵ في واسطة السلوك: ((لي)).
⁶ في الأصل بزهر البستان: ((فرض)). وما ورد أعلاه أفضل.
⁷ في واسطة السلوك: ((وأقيم الحق بلا ميل)).
⁸ نفسه: ((أنزلت)).
⁹ نفسه: ((أحتو للطفل كوالده)).
¹⁰ في الأصل بزهر البستان: ((شيمتي))؛ وهذا يخل بالوزن.

وأنا للحرب كعنترة¹ وأنا في السلم أخو جدلِ
خيلى للخير ملجمة وكذا للحرب² ولا تسلِ
وأنا موسى وأبو حمو أصلحُ للملك ويصلح لي
سيفي إن ملت بقائمه أدنى المراق إلى الأجلِ
وكذا³ كفأى إذا انبسطت من كان مقلا عاد ملي
أهل تلمسان بدولتنا كالشمس لدى برج الحمل⁴
تفنى الدنيا ومحبتهم فينا أبداً ما أن ترحل⁵
ولقد بذلوا في خدمتنا أقصى الغايات بلا مثل⁶
فلهم منا عدل وندى ولهم منا أقصى الأمل⁷
فيفضل الله ورحمته⁸ أرشدت إلى أهدي السبلِ
وأنا أرجو من مئته⁹ أن يغفر لي يوم الخجلِ
بعناية أحمد سيدنا وهو المبعث إلى المللِ
مبدي الإسلام ومظهره علم التقوى خير الرسلِ

¹ في واسطة السلوك: ((وأنا للحرب كعنترها)).

² نفسه: ((وكذا للشر)).

³ في مخطوط واسطة السلوك: ((وكذلك))؛ وهذا يخل بالوزن.

⁴ في واسطة السلوك: ((كالشمس لدى برج الحمل)).

⁵ نفسه: ((فيينا وحياتك لم تحل)). وهذا أفضل.

⁶ نفسه: ((بلا كسل)).

⁷ نفسه: ((ولنا منهم أقصى الأمل)).

⁸ نفسه: ((فيفضل الله ومئته)).

⁹ نفسه: ((وأنا أرجو من رحمته)).

ولم تزل الأمداح قائمة، والمدوحات له على ما يوافقها ويواتيه؛ إلى أن رفعت له الدواوين من الأمداح، وانتشر عنه من الكرم والجلود من ما استمال روحانية الأرواح. ولما انقضى المولد السعيد، وتم الأسبوع على حسب ما يريد؛ أتته أهل الأوطان بالهدايا، وبادرت لطاعته الرعايا؛ فكان لهذا الفتح صيتاً عظيماً، وأمشاجاً من الله سبحانه؛ جسيماً. وبعد أربعة /18/ و/أيام؛ كان وصول أهل وجدة بيعتهم، وأهل ندرومة، وهنين¹ على بيعتهم؛ وأتت قبائل الساحل تلمسان من غير حرب ولا طعان. وفي رابع عشر ربيع الأول المبارك؛ وصل أهل تلمسان²؛ مستغانم وتمزغان³ بيعتهما، وأهل البطحاء⁴

¹ تقع مدينة وجدة في الجهة الغربية من مدينة تلمسان؛ وتبعد عنها بـ 80 كلم تقريباً. بناها زيري بن بن عطية المغراوي الزناتي في عام 384هـ/994م. وهي الآن محاذية للحدود الجزائرية، وتابعة للمملكة المغربية. أما ندرومة؛ فتقع في الشمال الغربي من تلمسان؛ وتبعد عنها بـ 60 كلم؛ وترىض في الطريق المؤدي إلى مرسى هنين. هذا؛ وقد أخذت مدينة ندرومة اسمها من فرع من فروع قبيلة كومية الأمازيغية يسمى ندرومة. ويرى الوزان أنها أزلية البناء؛ إذ شيدت في زمن الرومان؛ وبالأسلوب نفسه الذي بنيت به مدينة روما. غير أن المحققين ينفون هذا القول؛ وحدثهم هي؛ أن مدينة ندرومة خالية كلياً من أي أثر روماني. أما هنين الساحلية؛ فتطل على البحر الأبيض المتوسط؛ وهي مرسى مملكة تلمسان الأولى. ويقول الوزان أن بناتها هم من الأفارقة؛ ويقصد بذلك أهل البلاد الأصليين. وتبعد هنين عن تلمسان بـ 90 كلم تقريباً؛ كما تبعد عن ندرومة بـ 30 كلم. هكذا.

² مستغانم مدينة ساحلية؛ يقول الوزان أن الأفارقة هم بناتها؛ ويقصد بذلك السكان الأصليين للبلاد للبلاد. وتقع هذه المدينة إلى الشرق من مدينة وهران؛ كما تبعد عنها بـ 80 كلم تقريباً. أما تمزغان أو مزغان في قول؛ فهي مدينة صغيرة داخلية؛ تقع في الهضاب الغربية من مستغانم؛ كما تبعد عنها بـ 4 كلم فقط ويقول الوزان أن الأفارقة هم الذين بنوا تمزغان.

³ البطحاء؛ فهي مدينة قديمة اندثرت في الوقت الحاضر. وقد حدد الخبراء موقعها في مكان غيليزان الحالية.

كذلك، ثم تلاهم أهل هوار¹ بالبيعة؛ فنال جميعهم بالمبادرة غاية الرفعة، وأتى الفتح نسقاً، وجرت خيل السعادة طلقاً، وتأثل الملك الشريف، وعاد إلى مقره المنيف؛ فسبحان من بيده الملك والقضا؛ يعز من يشاء ويذل من يشاء. ومن الأحوال الدالة على سعاداته، والأقدار الجارية لوفيق إرادته؛ أن أبا عنان ترك هدية سنية؛ كان أنتخبها للسلطان النصري² لغرض له وأمنية؛ فعاقه الحمام عن إرسالها إلى إرجاء من ملوك الإسلام؛ من هو أحق بأمثالها. وجد الخيل العتاق، والذخائر والأعلاق، والسروج من الفضة صرفاً، والمستحسنتات من الذخائر؛ والسيوف، وكلما يباهي به الإسلام على الشرك، ويبين بقيمة الملك؛ فلا قدرة على إحصائه؛ ولا نهاية إلى استقصائه. ومن العجائب أيضاً؛ أن خراج عامين عند الولاية؛ وجده عوناً على المعضلات؛ لا يخرج قائد إلا وجده بخراجه معه، ولا يعطي والٍ صفقة يده حتى يعطي ما جمعه؛ فاتسعت يده في الأموال، وظهرت أمانة اليمن والإقبال؛ فاستعمل بأسباب الهدية المجال الوافرة، وركب بجيوش

¹ وهي قلعة هوار التي تقع غربي مستغانم بالقرب من بلال الحالية. وقد أشار إليها البكري؛ كما ذكرها اليعقوبي؛ حين تكلم عن أصحابها؛ وهم من قبيلة هوار الأمازيغية؛ وقال أنها تحت سلطة أمير هوار يسمى ابن مسالة؛ وهو الذي تصدى لأمير الدولة الرستمية؛ أبي بكر بن أفلح.
² أما يحيى بن خلدون؛ فلم يقل أن الهدية موجهة للسلطان النصري؛ بل قال: ((وأحصى ما غادرته الدولة الداهية؛ من متاع، وزرع، وسلع بحرية، وما حوته الملك المنفى [أبو عنان] إلى ملك قطلان؛ من: خيل عتيقة، وسروج مفرغة ركبها من ذوب اللجين، ولجم موشية، وأسباب مختارة...)). بغية الرواد، ج: 2، ص: 96. وفي ما يخص هذه الهدية قال عبد الرحمن بن خلدون: ((كان السلطان [أبو عنان] انتقاه وبعث بها إلى صاحب برشلونة بطره بن ألقنط وبعث إليه فيها بفرس أدهم من مقرباته؛ بمركب ولجم ذهبيين ثقيلين؛ فاتخذ أبو حمو ذلك الفرس لركوبه؛ وصرف الهدية في مصارفه ووجوه مذهبه)). العبر، مج: 7، ص: 628.

متظافرة؛ فتأثل سلطانه للحين، وشاع خبره عند مريم؛ فاهتز له
المغرب الأقصى؛ وكان من سؤاله ما لا يحصى؛ فدان له الداني
والقاصي، وانقاد له الشارد العاصي؛ فكانت سعادة حكمت بها
الأقدار، وعطية منحها له الواحد القهار.

ذكر خروج المولى أبي عمرو للملحة وما كان من حسن رأي فلاح هذه الفعلة

18/ظ/أعلم أنه لما دخل تلمسان على بني مرين؛ وكان ما كان من الفتح المبين؛ أخبر بنو مرين سلطانهم بشأن بني عبد الواد، وأنهم تمكنوا في البلاد. وكان ملك المغرب - آنذاك - أبو بكر بن أبي عنان؛ الملقب بالسعيد¹؛ ابن السلطان. وكان الحسن بن عمر²؛ يدير خلافته؛ بحكم الوزارة، ويأمر عنه وينهى؛ وله كانت - في الحقيقة - عين الإمارة. وعندما وصل للمربي؛ ومن معه بجبر بني عبد الواد؛ وأنهم أخرجوهم من تلمسان؛ وهم يتمادون على البلاد؛ جمع الحسن بن عمر كافة بني مرين، وتحدث مع الأشياخ؛ بما كان من المنهزمين. وقال ما ترون في بني عبد الواد؛ كيف أخذوا من أيدينا البلاد؛ فاضطربت - حينئذ - أحوالهم، وتبين خذلانهم وانفصالهم؛ فقوم يقولون بتسليم البلاد لأهلها، وقوم يقولون ليس إلا التمسك بها بخيرها. وتردد الكلام وطال، وأخذ المجلس حقه من القيل والقال، واستحال. ثم قال الحسن ابن عمر: كيف يا بني مرين تتركوا البلاد إقتهاراً³، وتسلموا أهاليكم

¹ نصبه الوزير الحسن بن عمر - المستبد على عرش فاس بعد مهلك أبي عنان؛ فحكم من ذي الحجة سنة 759هـ/1357م؛ إلى شعبان من سنة 760هـ/1358م.
² هو الحسن بن عمر الفودودي؛ هو الوزير المستبد بالدولة المرينية في فاس.
³ أي قهراً.

للنيران خساراً؟ فأينكم من بني (...)¹ عبد الواد؟ أفلال في البلاد؛ قاتلوا لأوطانهم، واستقلوا بها مع سلطانهم. والرأي عندي أن أصرف لهم جيشاً كبيراً؛ ينفرهم عن تلمسان تنفيراً؛ فتكون حصتكم بتلمسان عوناً على البلاد الشرقية، ووصلة لنا إلى بلادنا الغربية؛ والبلاد قائمة بدعوانا؛ لا يقدر عليها سوانا؛ وما الرأي إلا مسيركم؛ لتمهيد البلاد، وإزالة ما بدا بها من الفساد. فشرع في إخراج محلة كبيرة، وأخذ في حركة مسرعة شهيرة؛ أعد لها الأعداد، وكثّر فيها العدد والإمداد، وقدم عليها القواد، واستنهضها لتلمسان؛ لقتال بني عبد الواد. أرسل تسعة آلاف من بني مريم. فترحلت المحال على تلمسان عاملين؛ فلم تزل المحال عاملة إلى أن حلوا بأحواز/19و/وادي الزيتون²؛ وهم في ملاٍ عظيم من الحشد، والزبون. وفي هذه الفترة؛ - التي كانت بين أخذ تلمسان، ومجيء المحال؛ - كان المولى أبو حمويبعث الجواسيس، ولا يغفل عن الإرسال. فجاءته الجواسيس، واعلموا الخبر، وتواتر الأمر؛ أنهم على الأثر؛ إلى أن حلوا بالموضع المذكور بما جاءوا به من الجمهور. وعندما حلوا بأوائل البلاد؛ جمع الخاصة والعامة من بني عبد الواد، والخدام من أهل تلمسان والحضر؛ أولي المشورة والشأن. وقال: يا بني عبد الواد؛ ما رأيكم في شأن بني مريم؛ الواصلين إلينا بهذا الجيش المتين. فقالوا له: الأمر إليك؛ والمعول في كل الأمور

¹ توجد هنا كلمة في غير محله؛ ربما كانت: ((مريم)).

² ثمة أماكن كثيرة في بلاد المغرب تسمى وادي الزيتون. والمقصود هنا هو وادي الزيتون من أحواز تلمسان.

عليك ؛ فأنظر ما تريد لمثله ، وما تأمر به نفعه. فقال : الرأي الخروج إلى ملاقاتهم ، والضرب والطعن في صدور ساقاتهم. فأمر بخروج الأثاث والأثقال ، وحمل البغال والجمال ؛ وتكفل في قبيلة بالحماة الفرسان ، ونبذ خلفه مدينة تلمسان ؛ ثم اضطرب عن نفي الملاقاة ، وعاقه عن ذلك بعض العاقات¹. وقال : الخروج إلى الصحراء أفيد وأصلح ؛ والكر عليهم إذا توغلوا في البلاد أرحم ؛ والأعراب خدمة لنا. ومن هناك يبلغنا الله آمالنا. فعندما سمع الحضر كلامه ، وفهموا قصده ومرامه ؛ أخذوا في الخروج معه ؛ وأخرج كل واحد منهم أهله وتبعه. فخرج معه الأحباء الخالصاء والأولياء والخدام والنصحاء. وانتقل بمن معه إلى بني عامر الأعراب. وعمل في ذلك ما لم يكن لأحد في حساب ؛ فكان ذلك من أحسن الآراء ، ومن شهامة الملوك والأمراء. ثم سار إلى حيث منع نفسه ، ومن معه. فيا حسن ما دبره وصنعه. وفي المثل : ((رب حيلة² أنفع من قبيلة)) وقالت الفرس : ((مقابلة الأقوى بالأضعف جهل ، ومدافعة من لا تستطيع عليه بالحيلة عقل)).

وكان المولى أبو حمو - قبل إجماعه على هذا الرأي السديد - عازماً على /19ظ/ملاقاة بني مرين ؛ وإن جاءوا بالعدد الوافر المتين. وقد خرج للقائهم مبادراً وعلى قتالهم ، مثابراً ؛ إلى أن تقرب منهم ؛ بحيث سمعوا طبوله ، وشارفت خيولهم خيوله. وعندما عاينه بنو مرين ؛

¹ أي العوائق
² في الأصل؛ كلمة ((حيلة)) مكررة.

تأخروا إلى وادي الزيتون مقهقرين، وعلى الأعقاب نكصين. ثم رجع عن رأيه - كما قلناه - ونعم ما فعله وارتضاه؛ وذلك لموجب اقتضاه النظر المصيب، والذكاء الثاقب العجيب. وهو أن إمام بني مرين بهذا البلد؛ كان على حين غفلة لبني عبد الواد. ممن يعط المفاجأة من مهلة،¹ ولا تيسر لهذه الفعلة. كان الأكثر من الجيش متفرقا في البلاد، ولا مهلة لإتيانهم بالأحشاد. ولم يكن معه إلا صدور حضرته، ووجوه قبيلته وعترته؛ فلذلك اتخذ الصحراء شعاراً، والعرب حماة وأنصاراً.

وأما خبر بني مرين؛ فإنهم لما تقهقروا راجعين؛ ينتظرون ما يصدر عن بني عبد الواد، وما يكون منهم؛ من اللين، أو الاشتداد؛ إذ أتاهم الخبر بدخولهم للصحراء بجملة أعدادهم، ومن انضاف إليهم؛ من جملة خدامهم، وأهلهم، وأولادهم. استقبلوا تلمسان وبادروا إليها في الآن؛ فوجدوها خالية من الأنيس وحضرة عظيمة بلا² رئيس. فسقط - عند ذلك - في أيديهم؛ وجعلوا يرمون لمرسلهم ومهديهم. فتوحشوا من العامة العمياء، وتحققوا أنهم رموا بالداهية الدهيا؛ فاستوطنوا البلد للحين، وعادت على حكم بني مرين. فمسكت القبائل على الإتيان إليهم، وانقطعت الطرق عليهم. ثم أن المعقل حالت بينهم وبين بلادهم؛ فأيقنوا بالهلكة لأجل إنفرادهم. وعند حلول القوم بتلمسان

¹ الأسلم أن تكون العبارة هكذا: ((فلم تعط المفاجأة من مهلة)).
² في الأصل: ((من)).

وصل عامر بن ماساي¹ من وهران؛ فوجدوا² الناس قد رموا بذلك المعضل؛ فيما أصابهم من أمر المعقل. فقال أنا أكفيكم شرهم، وأزيل عنكم محتهم وغدرهم. فعقدوا /20/ وله على حصة وافرة، واستنهضوه ليفعل بالمعقل بالقوة³. فعندما لقيهم؛ كان أول قتيل؛ فحزوا رأسه وحملوه إلى المولى أبي حمو؛ الملك الجليل. فكان موته - على بني مريم - من أعظم الضراء، وعند المولى أبي حمو من أجمل السراء. فعند ذلك اشتد قلق بني مريم؛ وأيقنوا أنهم - بهذه البلاد - منقطعين؛ وأنه لا نجاة لهم، ولا حياة، ولا سبيل من هذا المخنق للفلات⁴؛ فأجمعوا رأيهم على نقض عهد السعيد، وتقديم منصور بن سليمان⁵ على حجة التسديد فبايعوه بأبي مدين⁶؛ من تلمسان؛ وعقدوا عليه البيعة من غير توان. فكانت بيعتهم له يوم الاثنين ثالث عشر جمادى الأولى؛ ورأوا أنه أحق بها وأولى؛ ثم أشاروا عليه بمصالحة بني عبد الواد؛ لما رأوا في ذلك من الصلاح والسداد. ثم كتبت عقود المصالحة بأبي مدين؛ وكان لهم ذلك من أحسن التدبير؛ فبعثوا عقود المصالحة للمولى أبي حمو السلطان، وخرجوا في حينهم من تلمسان؛ بعد أن ضربوا البريح

¹ هو عامر بن إبراهيم (عَبُو) بن ماساي؛ ابن عم القائد الوزير مسعود بن رحو بن ماساي الفودودي، والوزير الحسن بن عمر الفودودي.

² هكذا.

³ في الأصل: ((باقوة)).

⁴ هكذا، والمقصود هو للإفلات.

⁵ هو منصور بن سليمان بن أبي مالك بن يعقوب بن عبد الحق. من العائلة المالكة لبني مريم. كان ضمن الجيش الذي زحف إلى تلمسان؛ بقيادة مسعود بن رحو.

⁶ أي بمقام الولي الصالح أبي مدين شعيب.

ببقائها على ذمة بني عبد الواد؛ وأنهم لا شيء لهم في هذه البلاد. وقد كان صلحهم على من بقي في البلاد الشرقية من أناسهم؛ وخوفاً من بني عبد الواد وبأسهم. ولما حلّوا بالجهات الوجدية؛ انتهبتهم الأعراب، ووقع فيهم الاستلاب؛ ثم أن المولى أبا حمو بلغه الخبر بفرارهم، ورجوعهم لديارهم. فأقبل لتلمسان قافلاً؛ وعلى حضرته الكريمة عاملاً. فكان دخوله إليها يوم الاثنين غرة جمادى الثانية؛ قرير العين؛ بما منحه الله من العافية؛ على ما تيسر للأولياء، وبرغم الأعداء. فكانت غيبته أحد وعشرين يوماً قطعها أمناً، وسلاماً. وقد قالت الشعراء في ذلك أمداحاً؛ فوصلهم جوائز وإتحافاً. في ذلك ما قاله الطالب الأديب أبو عبد الله محمد البطوي عفا الله عنه¹:

شمس الخلافة حلت منزل الحَمَلِ

فما تحيد عن العليا ولا تحل

وأنجم السعد من عليك مشرقة

نجم السرور بمراها ولم تفل

/20ظ/مولاي طالع السعد من حين بدى²

باليمن أقبل والإقبال والجدل

¹ نظمت هذه القصيدة في بحر البسيط (مستفعلن فاعلن مستفعلن فعْلن)، ويجوز في مستفعلن = مفاعلن، وفي فاعلن = فعْلن، وفي الأعراب: فعْلن، وفي الأضراب: فعْلن فعْلن.
² هذا الشطر؛ مختل الوزن.

فالأمر طوعك إن تأمره موعدا
يقضي لأمرك ما نسيت من أمل¹
نظمت للملك عقدا لا نثار له
مجيد عليك حالٌ ليس بالعطل
كما أقمت من التقوى عماد تقي
شيدت بنيانه بالعدل والعمل
تبني تلمسان لما أن حللت بها
مولاي موسى حلول الشمس بالحمل
قد أشرقت بسنائكم هي سافرة²
عن منظر بيهاء الحسن مشتمل
وقلّدت بوشاح نَظْمُ جوهره
مفصلا بجلاكم غير منفصل
تأرجت منكم الأرجاء (و) قد فتحت³
أكمام أزهارها أجرى الجبا الهطل
من كل زاهرة في الحسن زاهية
مفترة عن ثغور الخرد الرتل

¹ ورد هذا الشطر في الأصل هكذا: ((يقضي لأمرك ما قد نسيت من أمل)). وهذا يخل بالوزن؛ فحذفت كلمة ((قد)).
² هذا الشطر غير واضح في الأصل. ويمكن قراءته كما هو ظاهر أعلاه.
³ لكي يستقيم الوزن أسقطنا الواو قبل ((قد))؛ فأضحى الشطر هكذا: ((تأرجت منكم الأرجاء قد فتحت)).

والقَضْبُ ترقص من مرّ النسيم بها¹
والأرض تضرع في أفنائها الميّل
والنهر ينساب كالسيف [الصقيل]² يرى
مع الضحى ويرى كالزرع في الأصل
أما تلمسان راقت منظرا فرقت
على البلاد وقد قرت سنا المقل
ليمّ لا وملك بني زيان عاد لها
عيدا فعادت إلى أيامها الأول
بشراكم أهلها إذ حل ساحتها
ملك حماها سيعد منه مقتيل
لكم بني عابد الواد الفخار به
فإن دولته من أشرف الدول
هذا الإمام أبو حموا أعاد لهم
ملكا جديدا وعزا غير منفصل
فتى إذا هاجت الهيجاء يصول بها
عن الأعادي بجد البيض والأسل

¹ حرف هذا الشطر؛ فكتب هكذا: ((والقطب ترقص من مرّ النسيم بها)). فاخترنا ما جاء أعلاه.
² حرفت هذه الكلمة في الأصل؛ فكتبت بالسين المهملة: ((سقيل)). والسيف الصقيل (بالصاد) هو المصقول - الحاد الأملس.

تكفي محاربه في الحرب هيبته
عن صارم سل فيها والقنا الذبل
قد بايعته جميع العرب قاطبة
من كل ندب همام فارس بطل
جاءت بنو عامر طوعا لبيعته
وقد جرى ذكره في السهل والجبل
فإنه الملك الزابي الذي ذكرت
في الكتب أخباره قدما ولم تزل
مولا الأئمة أسناهم وأرفعهم

1

إن الملوك نجوم وهو بدرهم
أربى عليهم بحسن فيه مكتمل
21/و/قد أظهر الله سر الملك فيه وقد
أعطاه نيل بلوغ القصد والأمل
بشراك بالملك مولانا فرايته
بالنصر قد نُشِرَتْ والفتح عن عجل

¹ هذا الشطر غير مفهوم بالكامل.

سللت للمجد سيفاً صارماً فيه
تدمي قلوب العدى والرهن¹ والوصل
ذلت لسلطانة الأملاك إذ خضعت
لعزكم وعراها روعة الرجل
بك الخلافة يا مولاي قد سعدت
ونزهت عن جميع النقص والخلل
أكرم بنجل أبي يعقوب من ملك
حاز المكارم عن أسلافه الأول
يعطيك ما شئته من غير مسألة
كأن كفيه صوب الوابل المهطل
فاقصد حماه وبادر نحو ساحته
تجده بحرا وليس البحر كالوشل²
فما يخيب راج من مكارمه
تلقاه مبتسماً بالبشر والجذل
مولاي منك على نظمي القبول وان
قصرت في المدح فالتقصير من قبل

¹ هكذا، ولعلها: ((والرهب)).
² الوشل: الماء القليل.

ما زان شعريَ إلا مدحك فغدى
كالدرزين به جيد المهى العطل
لكن رجوت الهى أن أنال بكم
عزا يبلغ نفسي غاية الأمل
لا زلت شمس ضحى فينا وظل ضحى
ترجى وورد ظما بالمال¹ والنَّهْل
فدم بملك سعيد غير منفصل
وأهناً بسعد جدير غير منتقل

- وله أيضاً في المعنى² :

أمولاي نصر الله جاءك والفتح
لأنك فيك الجود للخلق والنصح
هنيئاً بتأييد وملك مؤيد
وفتح ميين لا يقاس به فتح
وأنت بحمد الله في كل حالة
[مؤيداً³ رايات وفي رأيك النجاح

¹ هكذا.

² نظمت هذه القصيدة في البحر الطويل (فعلون مفاعيلن فعولن مفاعيلن). ويجوز في فعولن = فعولن، وفي مفاعيلن = مفاعلن، وفي الأعراب: مفاعلن، وفي الأضراب: مفاعيلن مفاعلن فعولن. ³ في الأصل: ((مايد))، وهذا مخل بالمعنى والوزن معاً؛ فاخترنا كلمة: ((مؤيد))؛ للتصويب.

لواؤك منصور وأنت مؤيد
وسيفك ماض في عدائك والرمح
أيا من له بين الملوك فضائل
يُقَصِّرُ عن إثبات أوصافها الشرح
لك الملك يا مولاي إرثا ومكسبا
لك الحسن والإحسان والحلم والصفح
فمن وجهك الأقمار يدركها السنا
ومن طيبك الأزهار طاب بها النفع
جلا بمحياه الخطوب عن الورى
كما قد جلا الليل البهيم لنا الصبح
21ظ/له منظر أبهى من البدر إن بدى
وكف إذا مح الغمام لها مح
هو الملك المنصور موسى بن يوسف
إمام الرضى [من دأبه]¹ الفضل والمنح
هو الملك المذكور في الكُتُبِ وصفه
سجيته العليا علامته السمع

¹ كتب في الأصل: ((من آدابه))؛ وهذا تحريف يخل بالوزن؛ فاخترنا عبارة: ((من دأبه))؛ وضعت بين حاصرتين؛ لكي يستقيم الوزن.

وحيث بدا من جانب الزاب وانتضى
مهند حزم في هجير له لفح
أعاد لعبد الواد ملكاً مجدداً
فخدمته فوز وطاعته ربح
وشيد ببيان الخلافة عزمه
ونظم عقد الملك واتصل الفتح
فدم يا أمير المؤمنين لك الرضى
هنيئاً بطول الدهر يهدي لك المدح

- وللقيه أبي محمد عبد المؤمن المديوني (؟؟؟؟):¹

وإلى السرور بحمد الله محتفلاً والسعد أقبل يا مولاي متصلًا
نصر من الله مقرون بجيشك لا ينفك عنه ولا يبغى [له] بدلاً²
والنصر يتبعه ما أن يفارقه به مثال الرضى والأمن والأمل
جاءت بشائر تتلوها نضائرها فاشكر لربك ما أولاً وما فعلاً
هذا عدوك قد ولت كتائبه وفر منهزماً إذ فارق الخطلاً

¹ حيز لكلمتين أو ثلاثة؛ مَحْيٍ ولا يظهر ما كتب فيه، وهذه القصيدة نظمت في بحر البسيط (مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن)، ويجوز في مستفعلن = مفاعلن، وفي فاعلن = فعلن. وفي الأعراب: فعلن، وفي الأضراب: فعلن فعلن.
² عجز البيت هنا مختل؛ ولا يستقيم إلا إذا أضيف إليه سبب ثقيل (//) متكون من حرفين متحركين؛ مثل: ((ه))؛ التي أصفهاها.

لا يستطيع رجوعا من مخافتكم كأنه الظبا المدعور إذ جفلا
فصارم الحزم مسلول بكفك لا ترهب فبادر به الأعناق والغللا
وعش سعيدا قرير العين في دعة ودع مناويك تبكي الدار والطللا
واجن الأماني كما تهوى فمثلك من حاز الكمال ومن بالمكرمات علا
أرى الليالي والأيام ضاحكة أتتك خاضعة مكسوة حللا
كأنها خودة¹ راقته محاسنها تهدي لعاشقها من ثغرها قبل
فاعطف عليها أيا مولاي إذ سمحت بوصلها وأتت محمّرةً خجلا
وضمها وارثشف من ريق مسمها خمراً معتقة ممزوجة عسلا
وأنلها منك وصلا غير منفصل ولا تفارقها هجرا ولا مللا
ثم اعتبر ما جئت من عشرتها وعاملتك به فيما مضى وخلا
22/و/يا أيها الملك الميمون طائره وافاك سعدك يا مولاي مقتبلا
أعطاك ربك ملكا دون ما تعب وزادك الله تدييرا به كملا
لا بد أن تملك الدنيا بأجمعها رغما على أنف من أبدا الجفا وقلا
وترتقي فوق ما قد كنت تأمله حتى تصير لكم أعدائكم خولا
يا سائلي عن ملك فيه أربعة بأس وحلم وإيثار إذا وصلا
وحسن رأي سديد هو رابعها كالعطف والنعته والتوكيد والبدلا
شاعت مكارمه في الأرض وانتشرت من شاء مصداق قولي يقتفي السلا
لا زلت أنشر ما لولاه من نعم ومدحه في فمي قد لذ لي وحلا

الْخَوْدُ؛ جمع خَوْدَات: المرأة الشابة. وقد كتبها في شعره ((خودة)) بناء التائيث.

ماذا عسى تبلغ الأمداح في ملك إن جاء سائله يرجوه إن قبلا
فالله يبقيه في أمن وفي دعة مقضيا إربا مبلغا أملا
ثم السلام عليه دائما أبدا ما حلت الشمس من أبراجها الحملا

- وما قاله الطالب الأديب أبو القاسم ابن ميمون السنوسي¹:

بزهديك لا بالعزم كان لك الظفر وبالجد لا بالجبر تمّ لك النصر
وبالكوكب الأعلى السعيد الذي أتا بطالعك الميمون ساعدك الدهر
فيميناك فيها اليمن مهما مددتها ويسراك عند العسر في بسطها اليسر
وغرتك الغراء في ما توجهت إلى حاجة بالأمن قابلها البشر
لك الفخر يا شمس الملوك ومن به علت رتبة العلياء وافتخر الفخر
أتيت لناس جانب الزاب طال ما ذكرت به قدما فشاع بك الذكر
فقابلت الأيام وجهك بالمنى ودانت بك الدنيا وساعدك الأمر
خرجت فريداً بين قوم قلايل كرام فكان الله عونك والنصر
فجاءتك أشياخ القبائل كلها تباع يا مولاي ليس لها عذر
كمثل أسود الحرب أبناء عامر إذا ذكروا، أسود الحروب والجمر
ثناهم إذا طال الجلال هو الثنا وصبرهم حيث الطعان هو الصبر
22/ظ/عليكم عباد الله بالشكر والثنا فقد نزل التيسير وارتحل العسر

¹ نظمت هذه القصيدة في البحر الطويل (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن)، ويجوز في فعولن = فعولن، وفي مفاعيلن = مفاعيلن. وفي الأعراب: مفاعيلن، وفي الأضراب: مفاعيلن مفاعيلن فعولن.

وزال العنا عنا بعودة دولة
أسود إذا راحوا سيول إذا عدوا
لهم ينسب القول الجميل وعنهم
يقاتل عشر الألف في الحرب منهم
بذكر أبي عمران موسى بن يوسف
إمام أعاد الله دولة أهله
أمولاي يا ذا العلم والحلم والحجا
على هذه النعمى التي جاد ربنا
أقمت عماد العدل في كل منزل
فبيّضَ وجهَ الدهر بعد سواده
يمينك مثل البحر والبحر دونها
وأولاد عبد الواد شهب ثواقب
فهز يمين العز سيف العلى على
لمن فرت الفرسان من كل جانب
فما فر عنك العزم والحزم والحبا
كأنهم لما برزت إليهم
كأنهم ليل سجي حين أقبلوا
أدرت عليهم كأس حرب تشعشت
فلو لم يكن منكم على القوم عفة
لأبناء عبد الواد وإنكشف الضر
لهم يرفع الشأن المعظم والقدر
يحدث فعل الخير إن ذكر الخير
بعشرة آلاف فيهزمها العُشر
إذا ذكر الأشراف يفتخر الذكر
على يده لِمَ لا يكون له الفخر
ومن قوله الحسنى ومن فعله الخير
علينا بهامولاي قد وجب الشكر
من الأرض لما كان هدّمه الجور
وأنى يُرى الليل وقد طلع الفجر
وجودك مثل القطر بل دونه القطر
ووجهك يا مولاي بينهم بدر
رقاب العدى يا من له سمح العصر
لدى الحرب حيث البيض تلمع والسمر
وما زال يبدوا فوق رايتك النصر
سحاب على الآفاق قشعها بدر
فعرّفه من بعد مذ قد سجي فجر
كما شعشت في كأس ياقوتة خمر
هناك ولطف الله فوقهم ستر

لخلفتهم في الأرض صرعى كأنهم سكارى وما بالقوم من خمرة سكر
إذا جن ليل ناح وحش عليهم وإن لاح صبح صار يندبهم طير
فلا جنة إلا ودنت أزهارها ولا سهلة إلا ومن فوقها نسر
23/و/فاعاملتهم بالصفح منك تفضلا عليهم جميعا ليس من شيمتك الغدر
إلى أن أتموا من بعد ستين ليلة مكملة شهر خلا قبله شهر
فوليت عنهم معرضا غير ناظر عليهم ولم تعبأ بهم وهم كثر
لذاك تولى الليث والليث جائع لعفة شاة وبينهما قفر
فلو لا انقلاب الدهر ما كان يُتقى وبعد امتلاء البحر قد تحدث الحصر
كأنك بدر وغبت عشرين ليلة تضاف إليها بعد عدتها عشر
فلاح إلى الأنصار وجهك بعدما جرعنا كؤوسا طعمها علقم مر
فوا عجبا عنه بهم كيف يطلبوا لقاك فلما سرت طالبهم فروا
وقالوا رأينا الصلح خير لنا عسى تصالحنا والصلح بين الورى خير
فقلت بلى لو لم يقلها لصالحت رقابهم طرا مهندة بتر
وسمّطت بالخطي فوق جسومهم خطوطاً لذي التعداد ليس لها حصر
فكان الذي قد شده الله وانفض¹ وأبرزه في اللوح عن قلم سطر
فبادر له بالخير والشكر والثنا عليه وقل حمداً له الحمد والشكر
وجاز بخير نجل يغمور إنه أقام مقام الجيش عنك ولا فخر

¹ هكذا، والمعنى هنا مبهم وغير مفهوم.

أبا يوسف يعقوب فارس عصرنا وبجر الندى العذب الذي له...¹(ر)
فكن كيف شئت الآن يا نجل يوسف هنيئاً لك الفتح الميسر والظفر
لجدك كان الملك ثم صوبته ولا شك فيه ينتهي بعدك الأمر²
فأنت وأيم الله حقاً مليكنا أتانا على رغم الأعادي بك الدهر
سأنفق عمري في امتداحك ربما تواصلني النعمى ويعدني العسر
ويتحفني مولاي بالحكمة التي عرفت بها حبي ويسعفني اليسر
فشأن الموالى إذ تقل عبيدها إذا عثرت والعبد يكتفه الحر
أمولاي ها عادت تلمسان داركم وعدتم وقد أغنى عن.....³
سنحضى بفاس بل بمراكش⁴ معاً وبالمغرب الأقصى وما رده البحر
23/ظكلامك مسموع وحكمك نافذ وأمرك في كل البلاد هو الأمر
فخذ [و] رعاك الله مني هدية⁵ من الشعر فيها الدهر جمّع والسحر
سهرت⁶ عليها الليل حتى نظمتها كما ينظم الياقوت في العقد والدر
وحئت بها حسناء في الخدر تحتلي وما هي في القرطاس ليس بها خدر

¹ هذا البيت مضطرب المعنى وغير موزون؛ كما قلب فيه الاسم لقباً؛ بل سقطت منه كلمة؛ واكتفى الناسخ بكتابة حرف ((الراء)) منها فقط؛ وهو الروي. وعليه نقترح ما يلي: [وبجر الندى العذب الذي له مدّ ذكر].

² المعنى هنا غير سليم.

³ هذا الشطر غير واضح.

⁴ يسكن الشين المثلثة الفوقية لكي يستقيم الوزن.

⁵ أضفنا حرف ((الواو)) قبل ((رعاك))؛ لكي يستقيم الوزن.

⁶ حرفت هذه الكلمة؛ فكتبت ((صهرت))؛ بالصاد المهملة.

فضها أمير المؤمنين (و) لدمجها¹ فما مسها شين كما أنها بكر
خطبتك للأمداح دعني للحياة² فمن يخطب الحسنة لم يغله المهر

¹ حذفنا ((الواو)) قبل كلمة ((لدمجها))؛ لكي يستقيم الوزن؛ مع أن المعنى فيه ضعف وإسفاف.
² هذا الشطر كتب هكذا؛ دون معنى، ودون وزن. لعل الناسخ أسقط بعض كلماته.

ذكر وصول المولى أبي يعقوب من المغرب لتلمسان مع خفيده الأمير أبي تاشفين

أعلم أن المولى أبا يعقوب؛ كان رجلاً صالحاً، وولياً لله ناصحاً؛ لم يزل منذ نشأ مثابراً على خير فعله، وإيثار يأمر به ويعمله ويسديه؛ ويزامله، ينظر في الأحوال التي تقربه من الله، ويعمل لآخرته قبل دنياه؛ مرفق بالضعفاء والمساكين، متبركاً بالفقراء والصالحين؛ أخلاقه كرم وسخاء، وعوارفه عطاء ووفاء؛ أرضعته المروءة بلبانها، ورتبته العفة بين أحضانها؛ فكان غيثاً للعفاة، وسماناً¹ للعداة؛ تضرب بعفته الأمثال، وبما حواه من شرف الخصال. هذا مع الشجاعة الفائقة، والفتنة الثابتة الرائقة؛ لا يسمع في مجلسه فحشاء، ولا تعرف منه البدع والأهواء، ولا السَّمْعَةُ² والرياء؛ بل كان على جبلته الأولى في الكرم، وعلى أصالته في احترام الذمم؛ مصمم في أحواله المتعلقة بديانته، ومتحفظاً بما قدر من أمانته؛ إذا أوعد لم يخلف وإذا أخذ لم يعنف، وإذا كان في مركبه لم يرهب، ولم يرجف. فكانت سيرته سيرة الخلفاء الراشدين، وإمارته إمارة الأمراء الصالحين. فلذلك كان عند الفريقين عظيماً؛ أوسعاه براً وتكريماً. وقره أبو عنان، وأبقى عليه في نصابه، ولم يعامله إلا بخير؛ ونهى عن امتحانه وحبسه. وقال:

¹ أي الأراضي المترية.

² يقولون: ((فعله رياء وسمعة)). وهو ((أذن سمعة)).

هذا الأمير /24و/ ببقية الناس ؛ ثم صرفه على خير، وأسكنه بفاس. فلم يزل على حالته المعروفة من: الصلاح، والعفاف، والفضل، والاعتراف؛ إلى أن أتاه نصر الله، والفتح واليسير. بعد العسر والغم. على يد ولده السلطان أبي حمو؛ المنصور، الأوحى، المشهور. كان السبب في إتيانه لتلمسان؛ قيام منصور بن سليمان. وقد تقدم أنه سافر من تلمسان. على المهادنة، والمحاسنة؛ وكف اليد المعادية، والمعاتبة؛ فوقع رأي منصور بن سليمان؛ مع أرباب دولته، وأشياخ قبيله وعترته، ووجوه خلافته وحضرته؛ أن أول شيء يوالى به المولى أبا حمو صرف والده وولده؛ إذ بهما يقع عظيم التناصر، وشده عضده. ولعمري؛ لقد فعل الفعل المختار، [ونظر نظراً يوجب الإخاء والايواء¹]. وذلك محاولة منه على بني مرين؛ الذين بالبلاد الشرقية منقطعين. ولما حلّ منصور بفاس البالي، واتصل به بقية قومه على التوالي؛ بعث إلى أبي يعقوب؛ وجالسه مجالسة المحبوب؛ وتكلم له كلاماً حسناً؛ لا يتكلم به إلا إليه. أزال به وحشاً وسجناً. وقال له يا أبا يعقوب إن الله أعطى ولدك ملكاً عظيماً، وصيتاً في الملوك عميماً. نصره وهو على حالة انفراد، واستخدم له العرب؛ فدانت بالانقياد. ومن ذلك التي² تجتمع عليه كلمة الأعراب؛ إلا من خصه الله بالملك المهاب. يا أبا يعقوب؛ الله الله في بني مرين الكائنين بالبلاد الشرقية،

¹ كتبت - في الأصل - هذه العبارة بأخطاء إملائية عديدة.
² هكذا، والأصح: ((الذي)).

المنقطعين، لا يتطرق إليهم بأذية؛ وليكونوا تحت إيالتك العلية؛ حتى يقدموا على بلادنا أمنين؛ ومن أفعالكم الحسنة شاكرين. ثم ودعه وصرفه. ولعمري؛ لقد لطفه؛ ثم أمره أن يحمل حفيده إلى أبيه؛ فإنه أحق وأولى أن يريه ويليه؛ وهذا ما يرضيه. وعندما ارتحل أبو يعقوب مسافراً ووجهه ببشائر التلاقي سافراً؛ قال /24ظ/ منصور بن سليمان: لا شيء أبقى لحرمة بني مريـن من صرف والد هذا السلطان. وذلك من منصور بن سليمان؛ حفظاً على قبيله، ورجاء لقبول مأموله، وتوفقه منه بزيارة المولى أبي يعقوب؛ ولعلمه أنه سيبلغه المرغوب. ونعم ما فعل؛ لو تم له المراد، ويا حسن ما رآه من الصلاح والسداد. ثم أقام منصور ابن سليمان يحاصر الحسن بن عمر؛ إلى أن كان ما كان.

وأما المولى أبو يعقوب فإنه لما ارتحل من البلاد الفاسية؛ عاملاً على بلاده التلمسانية؛ تقدمت الفرسان بالبشرى؛ يهتئون المولى أبا حمو؛ بهذه البهجة الكبرى؛ فلم يزل يعمل ركابه؛ إلى أن حل بظاهر تلمسان جذلان¹ بما منح الله ولده من السلطان. وعندما حل بالظاهر المذكور؛ أمر المولى أبو حمو بركوب جيشه المنصور؛ ثم أخرج الطبول والعلامات، وأمر أهل تلمسان بالزينة، والخروج للملاقة؛ فخرج الناس كالخروج للأعياد، وركب الجيش في أحسن الاستعداد؛ ولم يبق بتلمسان حاضر ولا بادي، ولا رايح ولا عاد إلا وخرج؛ يشهد هذا

¹ هكذا، والأصح: (جذلاناً)).

القدوم العظيم، وينظر هذا الملتقى الجسيم. ثم خرج المولى أبو حمو في مركبه الباهر، وجيشه المنصور الوافر؛ إلى أن حل بظاهر البلد؛ وحيث يلتقي بالوالد والولد؛ ثم صرف الجيش إلى أبيه؛ وبقي في الخاصة فهي ترضيه. ثم أقبل إلى أبيه؛ في سكينه ووقار، وخفض واستصغار؛ استشعاراً بالإبرار والأدب؛ عالماً بأن ذلك من أعظم الأرب. وعندما قاربه ترجل وبايعه، وتلاه على البيعة جيشه ومن تابعه؛ ثم أمر بالطبول أن تضرب على رأس أبيه، وبالرايات أن تنشر حسبما يرضيه؛ وأظهر للخاصة [ما]¹ له للمولى أبي يعقوب. ولذلك بلغه الله المرغوب. فكان لا يأتي طرفاً من الأرض إلا ونزل لبيعته، وتبرك /25و/ بتقبيله يديه ودعوته؛ فكان الناس يبكون عند النزول للمبايعة لأبيه، ويدعون له بإقامة الدولة، وبلوغ ما يرضيه. ولم يزل كذلك بين يديه؛ عاملاً من البرّ ما يجب عليه؛ إلى أن دخلوا لتلمسان؛ وحلّ المولى أبو يعقوب بقصر أسلافه؛ أولي الملك والسلطان، وانصرف المولى أبو حمو لقصره؛ وقضى الله له برضا أبيه ونصره؛ فكان يوم لم يشهد في إقليم، ولا يسمع بمثله في الزمن القديم؛ فاعتبروا يا أولي الأبصار؛ كيف تجري تصرفات الأقدار. خلق لسعادة قبيلته ووالده وولده، ولجميع عشائره وحده؛ فيا لها من نقية² ما أنهاها، ومن نتيجة ما أحسنها. ثم انتهت البشائر بتعظيم الأهل، واستبانة المفاخر، وذهبت

¹ أظفنا كلمة ((ما))؛ لتصويب العبارة.
² النقية: النفس، والعقل، والطبيعة، و نفاذ الرأي.

الأتراح، وأتى اليمن والانشراح. وفي ذلك يقول الطالب الأديب أبو
القاسم بن ميمون السنوسي¹:

أطلق عنانك لا تنظر إلى أحد
كفى حسودك ما يلقي من الكمد
وانظر² يمينا شمالا كيف شئت فلا
معارض لك في الدنا³ من الأبد
جواد جدك مسروج وسايسه
مهذب الرأي ما أدناه من.....⁴
أنت الخليفة بعد الله حجه
في الأرض أفضل من أوما له بيد
ما للشياه يسسن الملك واعجبا
أظهن نسين وثبة الأسد
وللعصاير في الآفاق سايحة
وفي البسيطة عقبان بلا عدد

¹ هذه القصيدة متواضعة في الشكل والمضمون، وزادها ناسخها سوءاً. وقد نظمت في بحر البسيط (مستفعلن فاعلن مستفعلن فعْلن)، ويجوز في مستفعلن = مفاعلن، وفي فاعلن = قَعْلن، والأعاريض: قَعْلن، والأضرب: قَعْلن فعْلن.
² الكلمة هنا غير واضحة؛ فوضعنا مكانها كلمة: ((وانظر)).
³ لعلها هكذا.
⁴ كلمة غير مفهومة، لعلها: ((خَد))، أو ((مَد)).

تبا لمن أمن الدنيا وصار على
متونها راكباً يسعى بلا قود
فالركب ما لم يكن فيه الدليل فما
يجوب بالحج منه غير ذي جلد
والنوق ما لم تكن تحدوا حداً بها
لم تشرذ العير في البداء أو تجهد
هو الإمام عماد القوم يا ملكا
أعداؤه أرفعوا¹ بيتاً بلا عمد
ما يُبْتَنَى البيت إلا بالعماد ولا
يرضى عماد إذا ما شد بالوتد
هيهات هيهات دعمهم جانبا فلهم
يومٌ يفرق بين الرأس والجسد
/25ظ/ لا تكثر كمداً أصلاً بهم كمداً
لأن منك هم موتى من الكمد
ويلاً لأنفسهم في فرض دولتهم
إذ كل ما مال للنقصان لم يزد
هب كان فارسهم أسنى فوارسهم
فذاك آخرهم ولى ولم يعد

¹ هكذا.

عجبت من معشر ما فيهمُ بطل
قد عاقدوا بطلا في الحرب كالأسد
يصلي بصارمه الهيجا فيضرمها
ناراً فصارمه أمضى من الزند¹
ترى الندى حيث داعي النداء ودعا
من جوده في محلٍ لم يكن بند²
يلقاك بالبشر إن وافيت مقتصداً
له وإن لم يكن له بمقتصد³
كَأَنَّ ذاك الذي بالناس كلهمُ
به من الناس بل ألقى فقل وزد⁴
حزت الفضائل يا موسى بأجمعها
لم يبق منها نصيباً ما إلى أحد
أفديك بالروح من عين الحسود ومن
عين الودود وقل بالمال والولد
تبارك الله نيران العدى خمدت
ونور وجهك يبدو غير مُنخمد

¹ الزند بفتح النون: المسن.

² هكذا.

³ كتبت: ((بمقصدًا))؛ وهو تحريف يخل بالوزن والمعنى، فوجب التصويب.

⁴ هذا البيت مضطرب في معناه.

لا أحجر الحق إن الحق يعرفه
أخو البصيرة والأعمى وذو الرمد
كم لا وكيف ومن حيث استنار لنا
وجه الزمان كفيينا نظرة الحسد
فالحمد لله هذا الشمل منتظم
أضحى بوالدك أسنى وبالولد
إن كنت بالأمس لا أهل ولا ولد
فاليوم أصبحت بين الأهل في البلد
فعش هنيئاً أمير المؤمنين على
مراتب العز معصوماً من النكد
لا تخش سطوة دهر أنت من يده
على الأكف شبيه المهدي بالولد
إن كان كابر عبر مدح غيرك في
ما قد مضى وتولى غير مجتهد
دعني أكابر فيك المجد مجتهداً
ما عشته خلق الإنسان في كبد

فلما كمل سبعة عشر يوماً؛ في دعة وأمان، وسرور ومهرجان؛
جهز له محلة وافرة متينة؛ استنهضه بها لفتح البلاد الشرقية، وفوض له

الأمر فيما يستفتح من تلك البلاد، وأطلق يده على مناباتها على وفق المراد. فخرج بطبوله وعلاماته وجيوشه الوافرة، **26و/**وساقاته؛ قاصداً لحصار البلاد على بني مرين، ولقطع دابر القبائل المفسدين. فترحل من تلمسان مشرقاً لما خرج بصدده. وقد تزلزلت البلاد خوفاً منه، ومن حشده؛ إلى أن حلّ بالجهة البطحية؛ الوسطة للجهة الشرقية؛ فأقام هناك بمن معه من الجمهور؛ وقد اهتز لأتيانه أهل تلك الثغور. فأتت القبائل بالهدايا، وهرعت لطاعته جميع الرعايا.

فبينما هو في تلك البلاد مقيم، وحاله في كل يوم يستقيم؛ إذ أتاه آت؛ أخبره أن يحيى بن علي؛ أحد قواد بني مرين؛ قد جمع عليه سويد، وطائفة من بني تجين¹، وأفلال الغربية؛ من القبائل المنقطعين؛ وأنه توقف بوانشريس؛ بما معه من الأحشاد؛ وأنه يعتد لملاقات بني عبد الواد. ومن قبل؛ قد أوقع بأهل البطحاء، وقتل شيخها، وسطاً على أهل تلك الأنحاء. ولما سمع بخروج المولى أبي يعقوب من تلمسان؛ دخل بلاد سويد، وانقطع من تلك الأوطان.

¹ تنطق في الغالب: ((توجين)) بالواو، وأحياناً ((تيجين)) بالياء. وهم من زناتة؛ ومن بني يادين بالتحديد؛ وأقرباء لبني عبد الواد؛ ولكن التنافس على الملك أبعد الشقة بينهما.

ذكر هزيم بن يحيى بن علي بن عبد الرزاق وما أحدث من الهرج والنفاق

اعلم أن يحيى بن علي هذا؛ من قواد بني مرين، ومن حماتهم المشتهرين. بعثه الحسن بن عمر قائداً على بلاد بني تميم؛ فرأت البلاد منه كل العذاب المهين. صادف في ولايته تيار الأهوال؛ فأعفت فيه سيول الفتن والقتال؛ أظهر الجلاذ، وأرجف البلاد، وسطا على الرعية، وظن أنه سيبلغ بنصحه الأمانة؛ ولا¹ يحظى عند مرسله، وينال من المكان غاية مأمله. فوافق حلوله بتلك البلاد؛ إتيان المولى أبي حمو؛ حامية عبد الواد؛ فأراد أن يذب عن مولاه؛ حتى يأتيه النصر ممن ولاه. فاحتفل في إخوته ووصفانه، وضم إليه من هو من قبل سلطانه؛ مع خلو البلاد من الفرسان؛ واشتغال بني عبد الواد بدار تلمسان؛ فصاح في القبائل بدعوة بني مرين؛ ووقف /26ظ/ معه نصر بن عمر بن عثمان؛ من بني تميم؛ وائتلفت عليه أصحاب الجنايات والصعالك؛ أهل الأذيات؛ فشن بهم الغارات، وصاح بطلب الثارات؛ وضم إليه سويد الأعراب، وأخذ في الفساد والخراب. ولم يزل يقاتل القبائل، ويخرب المداشر² والمناهل؛ لا يراقب الله في دم مسلم، ولا يفرق بين محسن ولا مجرم. فاتفق من مآثره أن أغار على

¹ هكذا، ويبدو أن كلمة ((الآن)) أصح.

² هذه الكلمة كثيرة الاستعمال في بلاد المغرب، والمداشر مفردتها دشرة وهي القرية الصغيرة.

هوارة¹، وأوقع بهم؛ فقتلوا أخوته فهرب. وكان قبل قتل إخوته يدخل على أهل البطحاء عنوة، وقتل شيخها عيسى بن أحمد سطوة؛ فعاقبه الله بهلاك إخوته. وتلك عادة الله في هادم بنيته. ثم أهلكه الله؛ بمثل فعلته؛ قتل بمثل قتلته. ثم توغل في البلاد، وحد شوكته في الفتك والفساد؛ حتى كاد أن يخلي الإقليم بطغيانه. ومع ذلك لم يأت نصر من سلطانه. وعندما سمع بإتيان المولى أبي يعقوب في طلبه؛ فرّ من البطحاء؛ إلى حيث أراد الله بعطفه؛ ولم يجد² عناية إلاّ بجبل وانشريس؛ بعد أن لبس على القبائل أتم التلبيس.

وأما خبر المولى أبي يعقوب؛ فإنه لما وصل البطحاء - كما قلناه - هرعت القبائل للقياه؛ أخذ في التمهيد والتسكين، والعفو عن الشراد والتأمين؛ إلى أن تمهدت البلاد، ودانت لبني عبد الواد. أخبر بجبر يحيى ابن علي المذكور، وما حدث منه من الفتك والفجور؛ وأنه قد استقر بوانشريس، وأن سويداً معه بنجوعها، وقبائل من بني مالك³؛ لا يحصى عدة جموعها. فارتحل المولى أبو يعقوب إلى بلد سويد عاملاً على أن يصيدهم أتم صيد، ويكيدهم بالسرايا أعظم كيد؛ فوجد الجميع بوانشريس؛ مؤتلفين؛ وعن قيادة يحيى بن علي غير مختلفين. فنزل بقربهم للملاقة، وبرز لهم بما أعد لهم من الساقات. وعندما

¹ قلعة بالقرب من مدينة يبل في نواحي غيليزان. تسمى بهذا الاسم؛ نسبة إلى قبيلة هوارة الأمازيغية.

² كلمة هنا غير مفهومة؛ فعوضت بهذه.

³ كتب ملك؛ وخطأ، ومالك هم قبيلة مالك بن زغبة الهلالية. وهم إخوة لسويد.

عائنه نزل بقربهم؛ عاملاً على حربهم؛ [امتنعوا]¹ بالجبل المنيح، وتحصنوا به خوفاً من التوقيع. فانتقل إلى سفح² جبلهم؛ ونزله، وصار حيث [27] وكانت حلتهم منزلة. ولما رأوا اقتحامه عليهم، واقتربه إليهم؛ أخذوا في مصافهم للقتال، وبرزت³ المقاتلون من: الخيل والرجال، وأظهروا نخوتهم، وبينوا حدّتهم. وكان يحيى بن علي قد اجتمع عليه من بني مرين خلق كثير، وحشد من العرب كبير. كان معه كثير من بني واطاس⁴، ومن بني يرنيان⁵؛ كثير من الناس، وأخلاق من القبائل والوصفان، وكثير ممن تقعد في الأوطان؛ ولذلك أدركه العجب، وغرّر، وطلب المقابلة، وما اعتبر. وعندما شرع الناس في القتال؛ بادر يحيى بن علي؛ [بمن]⁶ معه من الأحشاد، والخيل والرجال؛ وضايقوا المولى أبا يعقوب بسفح الجبل. وظهر له أنه الغالب في هذا العمل؛ فالتحمت الأبطال، ووقع القتال، واشتدت الحرب، وطال الطعن والضرب. وعندما رأى المولى أبو يعقوب أن شكتهم حادة، وعزمتهم في حربهم جادة؛ ضرب طبوله، ورجف وقصد مصافهم؛ وما توقف، وضم جناحي جيشه عليهم؛ ولم يثن عنانه؛ إلا بعد التوصل إليهم. فلما عينوا رايته العلية؛ أدركهم الفشل، وتأخروا

¹ الكلمة هنا أخفتها لطفة من الحبر؛ ويمكن أن تكون كما أثبتناه.

² كتبت: ((صفح))؛ بالصاد المهملة؛ وهذا خطأ إملائي.

³ هكذا، والصحيح: ((برز)).

⁴ يدعون أيضاً ((طاس)). وهم فرع من بني مرين.

⁵ وهم إخوة لبني مرين.

⁶ سقطت في الأصل كلمة ((بمن))؛ فأصغافها.

معتصمين بالجبل. جدّ عليهم بنو عبد الواد، وصاحوا بالثارات في الأعداي؛ إذ انكصوا¹ على أعقابهم منهزمين، وفرّ يحيى بن علي ومن معه من بني مريّن. ثمّ صعد معهم المولى أبو يعقوب الجبل، واستأصلهم بالسيف، وبلغ منهم الأمل؛ ثم استولى على أموال سويد وتجين، ومات من شاء الله منهم، ومن بني مريّن؛ فسلموا في البيوت والأموال، وطلبوا النجاة بأنفسهم في رؤوس الجبال. وتمادى يحيى بن علي إلى مليانة في أسوء حال، وشرّ إهانة.

ولما رجع² من إتباع بني مريّن ومن فرّ معهم من بني تجين؛ [اشتاق]³ الأموال إلى محلته، وضم غلال العرب إلى غلته. فأقام هناك أياماً؛ يمهد البلاد، ويسكن الشراد، ويولي القواد. ثم بعث إلى ولده المولى أبي حمو؛ يعلمه بهذا الفتح الجميل؛ وما منحه⁴ الله من العطايا العطايا الجزيل؛ وعرفه بفرار يحيى بن علي المذكور؛ وأنه اعتصم بمليانة؛ في بعض من كان؛ وأن يضيق عليه تلك الأوطان. فارتحل المولى أبو يعقوب /27/ مقبلاً، وطالباً على أخذ المهديّة⁵؛ ومعولاً ليزيل ما بها؛ من أمر بني مريّن، ويتمكن من عرب بني مالك أتم تمكين.



¹ في الأصل: ((نكصوا))؛ بدون الفاء.

² أي أبو يعقوب.

³ حرفت هذه الكلمة؛ فكتبت: ((اشتاق)).

⁴ لطخت الكلمة في الأصل بالحبر؛ ولكنها كتبت في الهامش.

⁵ هكذا كتبت؛ وهو تحريف؛ والصحيح: (لمدية).

ذكر أخذ لمدينة¹ علاء الأمان وإتيانهم بعد الهرج إلى الإذعان

قد تقدم ذكر يحيى بن علي ومن معه من الاستيلاء² عليه وعلى من تبعه. وأن بني مريم عند فرارهم من البلاد؛ تفرقوا للبلاد³؛ خوفاً من بني عبد الواد، وطلب ثأرهم؛ وأنهم لجئوا للبلاد التي بقيت على ذمتهم؛ لما عاينوا في المعركة عين منيتهم؛ فلجأت طائفة مع يحيى بن علي بمليانة، وطائفة إلى المدينة؛ في أسوأ إهانة، وطائفة إلى الجزائر، وطائفة في الجبال والمحاصر. فارتحل المولى أبو يعقوب عاملاً على المدينة؛ ليزيلهم منها بالكلية. وذلك بعدما مهد البلاد، وأزال ما بها من الفساد؛ وبدل وغير، وقدم وأخر. ولم يزل يعمل ركابه إلى أن نزلها. وعندما شارفها قاتلها؛ فوجد أهلها قد برزوا للقتال، واعتدوا للحصار والنزال؛ فاخرجوا له المقاتلين، وبادروه مبادرة المنافرين؛ فوقع القتال واختلفت الفرسان، والرجال؛ وتناكرت الوجوه؛ ولم يبق شيء من قوتهم إلا أظهره؛ ثم أن بني عبد الواد غضبوا لوقوف المدينة، وأخذتهم لذلك الأنفة والحمية؛ فحملوا على المقاتلين، وشدوا عليهم في الحين؛ فانهمز أهل البلد هزيمة شنيعة، ورأوا من القتل ساعة؛ كادوا أن يدخلوا عليهم البلد؛ لولا ما تابوا إليه من الرشد. وذلك أنهم لما

¹ كتب في الأصل: ((المدينة))؛ وهو تحريف.

² كتب في الأصل: ((الإستولاء)).

³ هكذا.

عائنا ما لا قدرة لهم عليه، ولا مناص لهم إلا بالاستسلام إليه؛ باتوا ليلتهم على الأسوار؛ قد دخلهم الرعب مما لقوه بالنهار؛ فاتفتت آرائهم في ليلتهم تلك؛ أن يعطوهم صفقة أيديهم؛ لما عاينوا الهلاك. فلما أصبح؛ بعثوا إلى المولى أبي يعقوب السلطان؛ يطلبون منه أن ينعم عليهم بالأمان؛ فأجابهم لما طلبوه؛ وأنالهم منه ما رغبوه؛ ففتحوا له الأبواب، وخرجوا إليه؛ فلقوا منه من البر والإكرام؛ ما لا عولوا عليه. ثم بايعوه، وكتبوا إلى المولى أبي حمو بيعتهم؛ /28/ و/فنالوا منه عوايدهم، ومنفعتهم. ثم أخرج بني مرين ومن تبعهم من الغريبة الحصين¹. وعادت المدينة إلى حكم بني عبد الواد؛ وبلغ² في فتحها غاية المراد؛ فكان دخوله إليها في غرة ذي القعدة؛ وأزال الله عن أهل المدينة كرب الحصار والشدة. ثم أقام بالمدينة؛ إلى أن³ بعث له أهل مليانة بالخدمة، وأن يرد عليهم؛ فإنه أبقى لهم للذمة. ثم كتب بفتحها إلى ولده؛ مولانا السلطان؛ ويعرفه بما وجد فيها من بني مرين الفرسان. وسيأتي خبر مليانة وفتحها، وكيف سنى الله كيفية فتحها؛ وذلك على يد الوزير المعظم عبد الله بن مسلم.

¹ يقصد: ((وحصين)) بواو العطف؛ وهم أتباع القبيلة الهلالية المسماة حصين. ومواطنهم في ضواحي تيطري.
² في الأصل: ((وبالغ))؛ وهو تحريف.
³ ((أن)) كتبت في الأصل بالهامش.

ذكر

وصول عبد اللع بن مسلم من وادي درعة وأخواز سجلماسة
وما أبدع من الشهامة والرياسة

اعلم أن عبد الله بن مسلم هذا؛ سيد بني زردال، وشهم حماهم الأبطال. استوطن المغرب؛ حين خرج بنو عبد الواد من تلمسان؛ وأقام بالمغرب إلى أن ولّاه القيادة أبو عنان. وذلك لما ظهر له من نجابته، وكفايته، وخدمته، وشهامته. ولّاه وادي درعة وأنحائه، وحكمه في ذلك الإقليم، واستحسن [توليته]¹؛ فمهد لها أتم تمهيد، وسكن عفتها، وأنس من التشريد، واستمال قبائل تلك الجهات بإحسانه، ولاطفهم حتى عادوا كإخوانه؛ فساد على غيره بذلك الوادي، وطاوعته أهل تلك البلاد؛ فكان بها كالأمير المطاع، والرئيس ذي الأتباع. فتمت² بولايته الجبايا، وصلحت بقياده الرعايا؛ فخص عند أبي عنان؛ فأقره بذلك المكان، فلم يزل به إلى أن مات³؛ فولى السعيد؛ وتمادت ولايته من بني مرين؛ كما يريد؛ إلى أن فتح الله على المولى أبي حمو البلاد، وبلغه في أعدائه مراده، واتصل علمه؛ أنه بحضرة تلمسان؛ وأنه تملك ما كان لأسلافه من الأوطان. كتب له - من تلك البلاد - يهنيه، ويعلمه أنه عبده وابن عبده؛ بما يأمره به يمضيه. فكتب له أبو حمو باستخدام

¹ في الأصل: ((استليت له))؛ وهو تحريف؛ فوجب التصويب.

² كتب في الأصل: ((فتميت))؛ وهو خطأ.

³ أبو عنان.

أهل /28ظ/ تلك البلاد ؛ واستجلابهم لدعوة بني عبد الواد ؛ وأن يجمع عليه قبيله، ويسير كثيره وقليله ؛ وأن يضم لخدمته من يعتمد عليه، ويقرب من يصف للخدمة إليه، وأن يحض الأعراب على خدمة بني زيان، وأن يقوموا على دعوته في تلك الأوطان ؛ وأنه إذا انقضى بالفتح بقية البلاد فيصرف وجهه لقبلة المغرب ؛ بما تيسر من الأحشاد. فلم تزل المراسلات بينه وبين مولانا السلطان، والأوامر الزيانية تجري على يديه في تلك الأوطان ؛ إلى أن استخدم كثيراً من أهل تلك الجهات، وطاعت له العرب، وركنت للموالاتة. فطال أمره ؛ إلى أن هم بالوثوب على سجلماسة. وذلك من الشبهات والرياسات. فبينما هو يحاول الوثوب عليها، ويحتال في التوصل بمحاولة إليها ؛ إذ أتاه آت ؛ أخبره بقدم أبي سالم ؛ وأنه أطاع له المغرب، وخدمته جميع الأقاليم¹. فنظر ؛ أن محاولته لذلك تقررت ؛ لكن تلك المقدمات قد أثرت. وسمع أن أبا سالم عزم على ملاقة بني عبد الواد ؛ فأخذته حمية الكرام الأنجاد ؛ فأخذ في شأن القدوم على مولاه ؛ وذلك ما نظره ورآه ؛ وأنه لا عزة إلا في قومه الكرام، ولا ضرب إلا أمامه² بالحسام. فجمع أمره على القدوم، وأبرم وعقد عقده بالخلاص وأحكمه ؛ فاستعمل هدية سنوية كأنها لأبي سالم³ ؛ وهو يريد بها المولى أبا حموزي⁴ المكارم. أخرق

¹ في الأصل: ((الأقالم))؛ وهو تحريف.

² أي أمام السلطان أبي حمو.

³ أي أوهم الأعين أنها سيقدمها لأبي سالم.

⁴ في الأصل: ((دو))؛ وهو خطأ.

في عملها المعتاد، ومدّ يده فيما يستحسن وزاد؛ وولف الرزق والعدد،
وأخذ من ذلك الوادي أحسن ما وجد. ثم جمع عليه قبيله، وحمل
كثيره وقليله؛ وارتحل حاكماً نفسه ومن معه.
فيا حسن ما دبره وصنعه. ثم أخذ يظهر نفاقه، ويبين - في تلك
البلاد - شقاقه، ويشتهر¹ بخلافة مولاه، ويستبيح النهب فيما والاه؛
فشن الغارات على أهل الأودية، وأكلها،² وحرق المداشر وسهولها؛
حتى كادت تبلغ سجلماسة غاراته، وتحرق البلد شرارته. ثم أكل ما
وجد من حقل وقطع جميع تلك السبل. وأبدا عداوته /29/ وعلانية؛
وصاح بالخراب صيحة كلية؛ فلا يمر بمدشر إلا حرقه، ولا بحقل إلا
أكله وفرقه؛ إلى أن وصل بلاد تلمسان، وحل بأول أوطان مولانا
السلطان؛ فبعث إلى المولى أبي حمو يعلمه بقدمه عليه، وبشأن الهدية
التي جاء بها إليه؛ فكان إتيانه فتحاً جديداً، وركناً للحماية مشيداً.
فكان من استحفاله به أن استوزره، ونوّهه، وقدمه، وصدّره؛ ثم
أعطاه دار أكبر وزراء المولى أبي تاشفين، ومكنه في الوزارة³ الرفيعة أي
تمكين؛ وأنزل من قبيله بديار والكرمات، وأطلق أيديهم على
الطاعات؛ ونوّه بهم تنويهاً يليق بأمثالهم؛ وذلك بما قدموا من جميل
فعالهم. ثم أخرج إليه محلة، وأمّره، وأزاده إلى قوة أحشاده؛ فتكاثرت.

¹ هكذا.

² يقصد: استلحم أهلها.

³ في الأصل: ((في وزارة)).

وأمره أن يسير لفتح البلاد الشرقية ؛ إلى الجهات البجائية ؛ وفوض له أمر تلك البلاد، وأن ما أمضاه عنه ليس له من راد. ثم ودعه وارتحل مسافراً وعلى إحصار¹ الأعداء عاملاً. فكان وصوله لتلمسان في الشهر المعظم رمضان ؛ فلم يزل يعمل ركابه، والأعداء تعمل حسابه ؛ إلى أن حل بشلف ؛ من أحواز مليانة ؛ يريد الإنهاك بأهلها والإهانة.

¹ أي: على محاصرة الأعداء.

ذكر

أخذ مليانج والقبض عليّ يخيّج بن عليّ وفارح وبنّي مريين
الذين معهم وكل من كان يتبعهما

اعلم أن يحيى بن علي المذكور لما فرّ من الهزيمة؛ بمن معه وعائين الثبور؛ لجأ إلى مليانة متحصناً وبوعرها متأمناً. تلقاه فارح¹؛ وأزال دهشته، وآنسه إلى أن أزال وحشته. سأله كيف كانت ملاقاته؟ وكيف حدثت عاقته. فأقر أنه لم تُعمل السروج إلاّ لبني عبد الواد؛ وأنه لا قبل لأحد بهم في البلاد. ثم قال: ما رأيك يا فارح؟ فأنا أعرف أنك لمولانا ناصح. قال²: نحتبس بمليانة ما استطعنا؛ ونقاتل بجملتنا؛ وقبل إتيانك؛ على الحصر عولنا. فقال له يحيى بن علي: كن يا فارح فيما يأتي، وساعد على ما يصح فعله ويواتي³. قال فارح: وما ذلك؟ قال: النجاة خير من الاقتحام في المهالك؛ يا فارح الرأي السديد، والأمر الموافق الرشيد أن تقصد الجزائر؛ إلى ابن ودرار⁴؛ وتأخذ **29/ظ** معه في شأن الانتصار؛ وأن نباع ولد أبي عنان⁵ الذي عنده، ونقيم⁶ له من الجزائر محلة وعدة؛ فإن كانت الطايعة⁷ لنا؛ فذلك هو

¹ علج من فتيان بني مريين.

² أجه: قال فارح.

³ في الأصل: ((ويوات)).

⁴ هو شعيب بن ميمون بن ودرار؛ قائد من قواد بني مريين.

⁵ كان أبو عنان قبل موته قد أقام صغار أبنائه على رأس ولايات الدولة؛ وأرفقهم بقيادة بمثابة الوزراء لإعانتهم.

⁶ في الأصل: ((ونقيموا))؛ وهو خطأ.

⁷ هكذا، ربما يقصد: إن كانت تلك الطائفة مطيعة لنا...

أملنا؛ وإن كانت علينا فالقدر واضح لدينا. وبالحقيقة أن صاحب المغرب يعلم قيامنا به؛ للعناد؛ ومبايعتنا له غيظاً لبني عبد الواد. ثم زين للعلج¹ زخارف كالأحلام، وأراه في اليقظة ما يراه النائم في المنام؛ حتي اغتره بكلامه، ونظمه في سلك نظامه. وخرجا للجزائر مسرعين، وتركا مليانة كأنهما يقضيان لدين. وعندما دخلا الجزائر على ابن ودرار؛ ظنّ أنهما - ومن معهما - ألحقا بالبوار؛ فقال لهما - بعدما أنزلهما - ما الخبر الذي أعجلكما، وبالجزائر ألحقكما؟ أدخلت مليانة عليكما²؟ قالوا له: قرب أن تُدخل؛ إن لم تكن منك المساندة، والموافقة لنا، والمناجدة. قال: تكلموا؛ فما هو صواب توافقنا عليه، وما هو خطأ لم نلتفت إليه. قال: الرأي أن نبايع³ ولد أبي عنان؛ الذي تحت نظرك؛ من غير توان؛ فإن بني عبد الواد قد (أخذ جيشا)⁴ جيشا⁴ من البلاد. فإذا نحن فرضناه⁵، وأوقفناه، وبايعناه؛ اجتمع عليه كافة بني مرين؛ ويأمن خوف الذين في البلاد منقطعين؛ فإن كان لنا بذلك ما أملناه؛ وإن كانت علينا فالأمر له، وعذرنا واضح؛ لانقطاعنا؛ وحجة في ابتداعنا. قال ابن ودرار: لا يتأتى لي هذا العمل؛

¹ المقصود بالعلج: هو القائد فارح.

² هكذا، والمقصود هو: أدخل العدو عليكما بمليانة؟

³ في الأصل: ((نبيع)) وهو تحريف بـين.

⁴ ما بين قوسين؛ عبارة في الأصل غامضة؛ وربما المقصود بها هو أن بني عبد الواد استولوا على

على جزء من البلاد...

⁵ أي ابن أبي عنان.

إلا بموافقة أهل الجزائر، ومشورة أشياخها الأكابر؛ فإن رأوا ذلك سداداً؛ اتخذناه جميعاً رشاداً.

وكان ابن ودرار؛ قد علم أن ذلك مفسدة، وأن هذا الرأي ليس فيه محمده. وعندما ذكر الحضرة¹ ليحيى بن علي؛ قال: لا مدخل² للحضر معنا. قال: لا بد من مشورتهم؛ إن تتبعنا؛ وإلا فهذا عين الخلاف، وسبب الإرجاف. فعندما ردّ أمرهم للحضر؛ همّوا بقتله في الأثر؛ فبعث إلى الحضرة - في خفية - أن يتذرعوا، وأن لا يوافقوا، ولا يتبعوا. ثم أقبل أهل الجزائر إلى القصبة مروعين؛ يريدون قتل المبتدعين؛ فأتوا على عرض ابن ودرار. وكاد يحيى بن علي /30و/ أن يلحق بالبوارج؛ فخرج مع العليج خائفين؛ وبما عاينوا من أهل الجزائر راجعين بخيبة؛ في جملة من بني يرنيان، وجملة من بني واطاس، ومن بقي في تلك الأوطان. فأخذهم يحيى بن علي؛ في جرتة؛ ودخل بهم مليانة على غصة؛ فامتألت مليانة ببني مرين، واشتد عضد أهل البلد بالمقاتلين.

ولما سمع يحيى بن علي؛ بإتيان الوزير عبد الله بن مسلم إليه؛ عول على ما يُعَوَّل عليه؛ فخرج بمن معه من بني مرين إلى ملاقاته؛ وتعرض له بقرب الحضرة بساقاته؛ فما لبث الأمر أن وقع القتال، والتحمت الأبطال؛ ودفع يحيى بن علي بمن معه؛ فلم تنفع دفعته؛

¹ أي سكان الجزائر من الحضرة.
² في الأصل: ((لا مدخال)).

ولا من تبعه ؛ فثنى عنانه منهزماً ، وترك قومه ؛ ولجأ للبلد معتصماً ؛
فتبعه الوزير ؛ إلى أن نزل عليه البلد ؛ فخرجوا لقتاله ، وأظهروا الجلد ؛
فانهزم¹ أهل البلد هزيمة شنيعة ، وأوقعوا بهم وقتلوهم قتلة ذريعة².
كاد أن يدخل عليهم البلد ؛ ولو دخل لهلك الأهل والولد.
فلما عاينوا ما لا قدرة لهم عليه ؛ أذعنوا للسلم ، وجنحوا إليه.
فبعث الوزير إلى المولى أبي يعقوب ؛ ليحضر هذا الفتح الموهوب ؛ ف جاء
من المدينة ، ودخل البلد ، وقبض على يحيى بن علي وفارح وبني
مرين ، ومن انضاف إليهم واجتهد. ثم انتزع خيولهم ، وأسرههم.
وكذلك فعل بحصنة المدينة ومن ظاهرهم ؛ وذلك في رابع ذي القعدة.
وأراح الله من يحيى بن علي ، وأزال - بأخذه - الشدة. ثم بعثهم - في
حكم الأسارى - لحضرة مولانا السلطان ، وحبس يحيى بن علي وابن
أخيه ؛ لما قدر عليهما من الامتحان. ثم أخذ المولى أبو يعقوب في
الحركة للجزائر ؛ ومعه الوزير المعظم عبد الله بن مسلم الليث الماهر
ذي المآثر.

¹ في الأصل: ((فانهزموا))؛ وهو تحريف.
² هكذا، والمقصود هو: أن عبد الله بن مسلم هزم أهل البلد، وأوقع بهم، وقتلهم قتلة شنيعة.

ذكر حصر الجزائر عليّ ابن ودرار وقتل يليل بن عليّ وابن أخيل وما لقيّا من البوار

ولما استفتح المولى أبو يعقوب المدية، والوزير مليانة؛ ورزقهما الله على فتحهما [السلامة]¹؛ أخذوا في الحركة للجزائر؛ وحشدا إليها عظيم الحشد الوافر. أقبل إليها بمحلة /30ظ/ ووافرة وأبطال متكاثرة؛ جمعت محلتها الأجناد، والأغزاز، والأنجاد، ورماة البلاد؛ فارتحل من مليانة؛ عاملاً عليها وزاحفاً بحشده إليها. فلما حلّ بأرجائها، وشارفها من أقرب اتجاهاتها؛ نزل منها بجد الرماية؛ وتلك أعظم نكايه. ضاق أهل الجزائر لذلك النزول ذرعاً، وساءهم ذلك التقرب روعاً. وكانت الجزائر قد شحنت بالمغاربة، وجاءت إليها جميع الحصص الهاربة؛ فكان فيها ما ينيّف على الألفين؛ زيادة على أهل البلد؛ من غير مئّن². فبادروا بأجمعهم بالخروج للقتال، وأظهروا النجدة في نفس الحال؛ وعاجلوا أهل المحلة - قبل النزول - بقتالهم، واستعدوا برماتهم ورجالهم. فكان الناس ينزلون؛ وهم يقاتلون؛ وينهونهم عن المعالجة؛ وهم يعاجلون؛ إلى أن وصلوا معهم شرايط الأخبية. وكادوا يضربون في صدور الأولوية؛ فضربت - حينئذ - الطبول، وترجلت الفرسان؛ وتركت الخيول، وشدّوا على أهل البلد؛ شدة

¹ في الأصل هذه الكلمة غير واضحة وملطخة بالحبر. وما كتب بين حاصرتين شبيه بما استشف.
² أي من غير كذب.

عظيمة، وأضغطوهم ضغطة ذميمة؛ فانهزم أهل البلد عند ذلك، ولقوا من أهل المحلة أشد المهالك. فكانت الهزيمة عليهم إلى الباب؛ حتى كاد¹ أن يدخلوها بالرايات. إلا أن ابن ودرار؛ خرج في جملة من النصارى وقاتل أمام الباب؛ وما توارى. فقتل في تلك الهزيمة ثمانية عشر رجلاً؛ ولم يبلغوا في معاجلتهم أملاً. وبلغ عدد الجرحى ما ينيف على الثمانين. هذا من أهل البلد؛ دون بني مريم. ولولا أن الله يسر وحمى؛ لدخلت عليهم، وهتك الحمى². ثم أن ابن ودرار؛ وقف بخارج الباب؛ حتى دخل الناس، ومسك على الطعن والضراب. ثم أمر بغلق الباب وبنائه؛ ورأى بناءه من حسن آرائه؛ فصار أهل البلد يقاتلون من أعلى الأسوار، ويرمون بالمنجنيقات والأحجار. فكان المقاتلون يخرجون من المخادع، ويقاتلون في الموانع؛ والوزير **31**و/عبد الله بن مسلم - في كل يوم - يرهقهم وبالقتال، يروعههم، ويقلقهم؛ يشد عليهم³ ليلاً ونهاراً، ويكر عليهم عشياً وإيكاراً؛ إلى أن دخل الناس الفشل، وذعنوا إلى الكسل؛ لما طال العمل، وكادوا أن يسلموا البلاد؛ ليسلموا الأهل والولد. ثم أنه هرب من المحلة أحد الرماة، وأخبرهم أن المحلة خالية من الحماة؛ وأنه لم يبق إلا السلطان، والوزير، والوصفان، والنفر اليسير. طلب أهل البلاد الخروج إلى

¹ هكذا، والمقصود: حتى كادوا...

² هكذا، والمقصود: لدخلت بنو عبد الواد عليهم، وهتكت الحمى...

³ عبارة: ((يشد عليهم)) تكررت مرتين في الأصل، وهو سهو في النسخ.

المحلة ؛ حين أخبروا أنها خالية، وقومها في قلة ؛ فطلبوا ابن ودرار في الخروج ؛ فلم يسمح لهم ؛ وقال: لعل هذا مما يريد به ختلهم. ثم غلبوا عليه، وخرجوا على غير اختياره، وتركوه يتقلب على حرّ جماره. فأتوا المحلة من جهة المولى **أبي يعقوب** ؛ لأنها أمنع لهم للهروب ؛ فبادروا النوايل¹ بالنيران ؛ بعدما يئسوا من الضراب والطعان. فعندما عاين المولى **أبو يعقوب** حدّة شوكتهم ؛ خاف ما ينتظره من معركتهم ؛ فأمر الناس بالرحيل، وحمل ما كان معه من الكثير والقليل ؛ وذلك خوفاً من حرق النار؛ لا من قتال الأشرار. وكذلك فعل **عبد الله بن مسلم** بمحلته ؛ ولم يصل أحد إلى أن أتته². ثم أمر **بيحيى بن علي** وابن أخيه ؛ فقتلا، وحملا رأسه، وارتحلا ؛ وفي عام إحدى وستين وسبعمائة [هجريّة].³ في هذا العام ؛ قابل سلطان المولى **أبوحمو** وظهر، وقهر أعداءه وظفر. جاءه مولد سيد الأنام ؛ فقام بحقه أتمّ القيام، وضاعف في الإنفاق، وأوسع في الإصراف، وخرق المعتاد، وضاعف في كل فضيلة وزاد. حضرها شيوخ البلاد، ووجوه أهل تلمسان، وبنو⁴ **عبد الواد**؛ عمّ طعامها البادي، والحاضر، والمقيم، والعابر. حرق من العود، والجاوي، والعنبر؛ ما أقام ليلة متوالياً ؛ من غير أن يختصر؛ وأظهر للناس فضله ؛ فجاءه شعراء **تلمسان**

¹ لعله يقصد أوشحة الأخبية.

² هكذا، وهي عبارة غمضة.

³ 1359م

⁴ في الأصل: ((بنوا))؛ بالألف وهو تحريف.

بالمولديات ؛ فنشدوا بين يديه ؛ /31ظ/تلحيناً على حسب الأعراب،
والصناعات السمعية. فمن ذلك ؛ ما قاله الفقيه القاضي أبو عبد الله
محمد بن أحمد الحسني المسمى بابن يعلى عفا الله عنه¹ :

ظَهَرَتْ فَأَظْهَرَتِ السُّرُورَ الْأَبْكَرَا وَسَمَتْ فَأَخْفَضَتْ الْهَلَالَ الْأَزْهَرَا
وَرَقَتْ مَعَالِي سَيْمَةٍ² عَلْوِيَةٍ مَا كَانَ أَعْلَا مَا عَلَتْهُ وَأَشْهَرَا
لِلَّهِ صَبْحٌ صَبِيحَةٌ مَيْمُونَةٌ أَبَدَتْ بِفَضْلِ اللَّهِ نُورًا نِيرَا
يَا خَيْرَ ذَا صَبْحٍ وَخَيْرَ صَبِيحَةٍ جَاءَتْ بِمَوْلَدِهِ ظَهِيرًا أَظْهَرَا
سَفَرَتْ لَنَا عَنْ ثَغْرِهَا فَتَبَسَّمَتْ أَزْهَارُ رَوْضٍ قَدْ أَثَارَتْ عَنبَرَا
وَجَلَّتْ قَلَائِدُ جِيدِهَا عَطْرِيَّةٌ مَا كَانَ أَسْمَى رِيحِ ذَاكَ وَأَعْطَرَا
لِلَّهِ مِنْهَا سَاعَةٌ مَسْعُودَةٌ عَادَتْ لِمَنْشَأِهَا بَعِيشٍ أَخْضَرَا
جَاءَتْ بِأَحْمَدٍ [هَادِيًا] وَمَهْدَا³ وَمَبْشَرًا وَمَحْرَرًا وَمَطْهَرَا
خَضَعَتْ رِكَابَ الْمُشْرِكِينَ لِبَعْثِهِ وَتَضَعُضَعُ الْإِيْوَانَ مِنْهُ وَكَسَرَا
وَكَذَاكَ نِيرَانَ الْمَجُوسِ بِفَارِسٍ خَمَدَتْ لِمَوْلَدِهِ كَمَا قَدْ سَطَرَا
وَبَكَّفَهُ حَصْبَاءَ [رَمَلٍ] سَبَّحَتْ⁴ وَكَذَلِكَ الْمَاءُ الزَّلَالُ تَفْجَرَا
وَالضَّبِّي كَلَّمَهُ بِأَفْصَحِ مَقُولٍ وَالظَّبَّ رَدَّ لَهُ جَوَابًا مَخْبَرَا

¹ نظمت في بحر الكامل (متفاعلن متفاعلن متفاعلن)، ويجوز في متفاعلن = مستفعلن،
والأعراب: متفاعلن، قَعْلِن، والأصْر: متفاعلن، قَعْلَاتِن، مَقْعُولِن، فَعْلِن، قَعْلِن، فَعْلِن.
² السَّيْمَةُ: العلامة والهيئة.
³ حرف هذا الشطر في الأصل؛ فكتب هكذا: ((جاءت بأحمد هاد وأمهدا))؛ وهذا يخل بالوزن، فوجب التصويب.
⁴ حرف هذا الشطر في الأصل؛ فكتب هكذا: ((وبكفّه حصباء رمال سبّحت))؛ بمدّ ميم ((رمل))
فأصحت ((رمال))؛ وهذا يخل بالوزن؛ فوجب التصويب.

وشكى البعير إليه ظلماً ناله فجاه نصراً بالعدو وظفراً
 وبكى الجذيعُ تشوقاً لفراقه فحنا عليه مسكناً ومصبراً
 هذا وكم من معجزات قد سمت وتعاظمت في قدرها أن تحصرها
 صلى عليك الله يا خير الورى أزكى صلاة للإله وأوفراً
 مولاي إني قد وجدتك كاشفاً بلوى ذنوب أوبقت وتحسراً
 مالي إلى ربي سواك وسيلة ليمن بالعضو الجميل ويغفراً
 [ويبلغ العاني زيارة طيبة من قبل أن يأتي مماتي أقبراً]¹
 أملي الزيارة لا عدتني كلما رمت ارتحالا رمت صعباً أوعراً
 وأرى الذنوب صوارفاً عن بابكم وأرى الرجى عن وجه نيلي أسفراً
 32/ و/مولاي حظي من رجائك حضني فوثقت منه بكل موثقة العرا
 [وبباب جودك يا مليك ميميني أوقفت أرجو منك عفوا مؤثراً]²
 لتمدني بالعون منك إذا دنا [ركبٌ إلى تلك الربوع مشمراً]³
 طابت بذكرك يا مليك وعطرت أرجى⁴ تلمسان وطابت مخبراً

¹ هذا البيت غير سليم بالمرّة، وورد في الأصل هكذا: ((ويبلغني طيبة في طيبة من قبل أن يلحقني الممات وأقبراً))؛ فوضعهنا كما جاء أعلاه بين حاصرتين.

² جاء هذا البيت - في الأصل - هكذا: ((وباب جودك يا مليك ميميني أوقفت أرجوا منك مؤثراً))؛ وهو مضطرب، وغير موزون؛ فصوب كما ورد بين حاصرتين كما ورد أعلاه.

³ جاء هذا الشطر - في الأصل - هكذا: ((كَبُّ إلى تلك الربوع مشمراً))؛ فاضطرب المعنى، واختل الوزن؛ وعليه فقد صوب؛ كما ورد أعلاه بين حاصرتين.

⁴ هكذا.

وسمت بك [العلياء]¹ أسما رتبة وبجاهك المجد الرفيع تآزرا
 لله منك مكانة قد ظفّرت بعزيز نصرك ظافراً ومُؤزراً²
 لله منك جلاله ماثورة ونهاية فيها العدو تحيرا
 لك في الدعا³ إن ما حمدت مفاخر تغني الأسود إذا بلونا منظراً⁴
 وإذا مننت (ببحر) غيث وابل وإذا انثيت فبدرتم [وا] أزهرأ⁵
 موسى الرضى مولاي فاهناً واثقا بالله فالفتح الميين تيسرا
 هذي السعود دكت ودانت بالذي تهواه والمطلوب عاد الأيسرا
 هذي الاماني طوع أمرك أقبلت وزمام عزمك في الأمانى أمرا
 فاحكم بما تهوى فأمرك نافذ حكمت به الأقدار جبراً للورى
 فالله يقيكم ويولي أمركم نصراً على مرّ الزمان مظفرا
 ويريكُم وبما تحب يمدكم وينيلكم عنا النوال الأوفرا
 ثم الصلاة على النبي محمد [أسنى الموارد ذا وأطيب عنصراً]⁶

¹ ((العلياء)) - في الأصل - كتبت ((العلياء))؛ بدون همزة؛ وهذا يخل بالوزن؛ فوجب التصويب.

² كتبت في الأصل: ((مأزرا))؛ بالهمزة على الألف؛ وهو خطأ.

³ رسمت في الأصل هكذا: ((الدعى))؛ بالألف المقصورة.

⁴ هكذا. وفي الشطر غموض.

⁵ في الأصل؛ بدون واو العطف؛ وهذا يخل بالوزن. فأضفناها.

⁶ هذا الشطر مضطرب المعنى، مختل الوزن؛ وورد في الأصل هكذا:

((أسنى الموارد أنا وأطيب عنصراً))؛ فوجب التصويب.

وللفقيه أبي محمد عبد المؤمن بن موسى المديوني عفا الله عنه ¹:

شهرٌ ربيعٌ زارنا يا حبذا أهلاً به من زائر [متفقدا] ²
في كل عام مرة يهدي لنا أزهاره ومبشراً بالمولد
[فأيا ربيعٌ لك العلا فأرى العلا] ³ فضلاً ولا تسمع لقول [مفسدا] ⁴
وأيا ربيعٌ لك المفاخر كلها ولك الشهور أذلة كالأعبد
فيك استهل نبينا خير الورى في ساعة طلعت بسعد مسعد
فتكشفت ظلماً كل ظلاله وانجاب غيبتها لكل موجد
/32ظ/ والكفر ولى ⁵ لا ضلالة بعده قد هدَّ ما قد شاده بمحمد
فكانه في نوره وبهائه قمر بدا في جنح ليل أسود
فتنكست أصنام قيصر عنده واعتاض [قائدهم] ⁶ كميت ملحد
ثم انظفت نيران فارس بعدما مرَّت سنون وحموها لم يخمد
والتاج عن كسرى تساقط هيبة لظهور خير العالمين محمد
وتضعضع الإيوان من جنابته وبدت أمور للكفور المخلد
هذا وكم ظهرت له من آية كالشمس في إشراقها أو أزيد

¹ نظمت هذه القصيدة في بحر الكامل (متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن). ويجوز في متفاعِلن =

مستفعلن، والأعاريض: متفاعِلن، قَعِلن، والأضرم: متفاعِلن، قَعِلاتن، مَفْعولن، فَعْلن، قَعِلن، فَعْلن.
² في الأصل: ((مفتدا))؛ وهو خطأ نحوي؛ ويصيب الروي بغيب الإقواء.

³ جاء هذا الشطر في الأصل هكذا: ((أيا ربيعٌ لك العلا فأرى العلا))؛ فاختلف وزنه؛ فصوب كما ورد أعلاه بين حاصرتين.

⁴ في الأصل: ((مفتدا))؛ وهذا إقواء وعيب في الروي، كما أن وزن الكلمة يفسد وزن الشطر كله.

⁵ في الأصل: ((ولا)).

⁶ في الأصل: ((قاي))؛ وهذا يخل بالوزن؛ فوجب التصويب.

من معجزات عز أن يأتي بها
ككلام ضب والغزالة بعده
ثم انشقاق البدر والماء الذي
ثم الغمامة فوقه مهما¹ مشى
ويرى الذي من خلفه مثل الذي
الهاشمي المصطفى علم الهدى
يوما يقوم الناس من أجدانهم
شُعْثاً عِراة خائفين وفوقهم
والنارجيء بها لتفح من عصى
والله ربي قد تجلى للقضا
ويود مقترف الجرائم في الدنا
فهناك يشفع شافع ومشفع
خير الورى محبوبنا ونبينا
يوما ينادي أمتي يا سيدي
فيجييه لك يا محمد ما تشا
واشفع تشفع واطلبن ما تبتغي
33/ يعطى الشفاعة والوسيلة والرضى
بشر سواء ومثلها لم يشهد
والذئب حقا والحصا والجلمد
روى الجيوش من الأصابع واليد
وتضل واقفة له إن يقعد
يأتي قبالتة كما في المسند
فله اللوى وله الشفاعة في الغد
ذهل العقول إلى المقام الأوحد
شمس تُغْرَبُ والجوارح ترعد
والخلق في قلق وكرب مجهد
بين العباد فيا له من مشهد
لو كان ينفع أنه لم يولد
ومقرب في ظالم أو معتد
فهو الذي نرجوا ليوم الموعد
أوعدتني وعداً فبلغ مقصد
هذا الجنان بها فلج ثم أصد
تعطى الذي ترضى فأنت محمد
أكرم به من شافع ومجد

¹ في الأصل: ((مهمى)).

وينال إذ ذاك الرضى من ربه ويقرّ عينا بالنعيم السرمد
لولاك ما كان النهار ولا دجاً ليلٌ ولا بان الصواب لمرشد
لولاك لم تكن الجحيم لمن عصى لا لاق لا الحور الحسان لمهتد¹
لولاه ضل الناس في غشواتهم كل يتيه بمهمه وبفد فد
صلى عليه الله في ملكوته ما غردت وُرُقٌ على غصنٍ نَدِ
وانصر بجودك يا مجيب إماننا [نصراً بليغا بالثنا والمقصد]²
ملك زكت أخلاقه وأصوله ورث الخلافة سيداً عن سيد
الله فضّلَهُ ورَفَّعَ قدره وأمدّه بمهابة وتأييدِ
مولاي [بوحموا]³ الذي قهر العدى وأماتهم حتفاً يعضّب مهند
فالنصر يقدمه ويقدم جيشه والفتح يتبعه يروح ويفتد⁴
في الليلة الغراء جاد بما له ليفوز بالخير المقيم السرمد
والله ربي لا يُخَيِّبُ قَصْدَهُ فيما رجا⁵ من فضل هذا المولد
يتسيفه⁶ [يستوفه] فيما نراه بقبّةٍ حيطانها من لؤلؤ وزبرجد
في جنة طابت وطاب نعيمها ويقال طب نفساً بها ثم اخلد

¹ هكذا.

² لحق بهذا الشطر في رويه عيب الإقواء؛ فأتى في الأصل هكذا:

((نصراً بيلغه التنا والمقصد))؛ فصحح كما ورد أعلاه بين حاصرتين.

³ في الأصل: ((أبو حمو))؛ وهذا يؤدي إلى خلل في الوزن؛ وعليه؛ فقد حذف ألف ((أبو))؛ فأصحت ((بو حمو))؛ كما ورد أعلاه بين حاصرتين.

⁴ هكذا.

⁵ في الأصل: ((رجى))؛ بالألف المقصورة.

⁶ كتب في الأصل: ((يستيفه))؛ فوجب التصويب.

يا آل عبد الواد دام سروركم ببقاء مولانا الإمام الأسعد
[المتصدر]¹ الأسنى الكريم المرتضى الماجد الأوفى الزعيم الأصعد
أولاكمُ براً وألفاً شملكم من أرض فاس والمكان الأبعد
فرضاً عليكم أن توفوا حقه نصحاً وفعلاً باللسان وباليد
فالله يبقيه ويبقي ملكه ما دار نجم في السماء بفرقد
ثم السلام عليه دأباً دائماً ما مرّ ريح بالقضيب الأملد

ولطبيب حضرته العليا السنية الحاج محمد بن أبي جمعة بن علي
التلاسي؛ عفا الله عنه²:

/33ظ/ أشهر ربيع أنت ربيع قلبي لقد كان الفؤاد إليك حاد
أتيت بسيد الثقلين طراً وخير الخلق من آتٍ وغاد
نبي هاشمي أبطحي³ سرى لمليكه والليل هاد
جباه الله بالسبع المثاني وفضّله على كل العباد
محبته لقد علقت بقلبي بها أرجوا نجاتي في المعاد
عليه صلاة خالقنا تعالى إلى يوم ينادينا المناد

¹ كتب في الأصل: ((نصور))؛ بطريقة غير واضحة؛ فعوضت بما ورد أعلاه بين حاصرتين.
² نظمت هذه القصيدة في بحر الوافر (مفاعلتن مفاعلتن فعولن)، ويجوز في مفاعلتن = مفاعيلن،
وفي فعولن = فعول، وفي الأعاريض: فعولن، والأضرب: فعولن.
³ لكلمة أبطحي معان عديدة؛ غير أن الشاعر يقصد بها هنا؛ نسبة الرسول صلى الله عليه وسلم
إلى بطحاء مكة، وقد أشار إليها شعراء كثيرون؛ مثل قول الزمخشري: ((إني إلى بطحاء مكة
سائر))؛ وقول الفرزدق: ((هذا الذي تعرف البطحاء وطأته))، ومع هذا فصيغة ((الأبطحي)) التي
استعملها التلاسي؛ ليست لانتقاة في هذا المقام؛ لأن لها معان أخرى سلبية.

صلاة دائماً تترى عليه وليس لها وحقك من نفاذ
عباد الله من عرب وعجم هلمّوا للصلاح وللرشاد
هلموا للإمام فبايعوه فإنّ الحق خير من [عناد]¹
هو الزّابي الذي كنا سمعنا تدين له الحوضر والبواد
هو المذكور في الحدثان يفني لمن في الأرض من أهل الفساد
هو المولى أبو حمو وقدماء سناء الملك كان عليه باد
أتاه الملك عفواً دون حرب وكان لغيره صعب القياد
تلمسانُ به حسنت وراقت وصار لها الفخار على البلاد
إمام عادل شهيم جواد فهيا للصلاح وللسداد
لطاقته دعانا فاستجبنا رعاه الله من ملك وهاد
فمن يأتي لبيعته مطيعاً وإلاّ فالحسام عليه عاد
يلين على الضعيف إذا رآه ويسطوا بالفراغنة الشداد
لقد منّ الإله به علينا ونجانا به من كل عاد
له من عامر جمع تراهم أسود في الحروب على الأعداد
حموه وأزروه وناصحوه وهم أنصاره يوم الجلالاد
إذا وعدوا وفوا وإذا ينادي [بذكرهم]² بلغت إلى المراد
وإن سألتهم نلت الأمانى ووا أسفا لمن لهم يعاد

¹ في الأصل: ((خير من العناد))؛ وهذا يخل بالوزن؛ فوجب التصحيح بحذف الألف واللام في كلمة ((العناد)).

² كتب في الأصل: ((بذكرهم))؛ وهذا يخل بالوزن؛ فوجب التصويب.

34/و/وعبد الواد سادات كرام بهم ما شئت من بطل جواد
وأقسمُ لَيْسَ في الدُّنْيَا جميعاً سواهم للسروج وللجواد
فكم من كربة بهمُ تجلت شدا بمدحهم في الناس شاد
بني زيان عاد الملك فيكم بحول الله قهار العباد
فعيشوا ما دعا لله داع بخيرٍ ما حدى بالركب حاد
أنيلونا مِنَ النُّعْمَا فَإِنَّا أَناسٌ شَانْنَا حفظ الوداد
فكم من نعمة لكم علينا وكم لكم علينا من أياد
فلا زلنا رعيتكم وأنتم أئمتنا إلى يوم التناد

وللطالب أبي الحسن علي بن العطار عفا الله عنه¹:

وصبُّ بالهوى كلف مُعَنَّى أعنَّ مِنَ الصَّبَابَةِ ما تَعَنَّا
فمن زفراته ما شبَّ ناراً ومن عبراته ما نهل مزنا
تذكر عيشه الماضي فأضحى يكفكف دمه شوقاً وحزنا
وشبَّ أوارُ أطلقه وأجرى مدامعه وهام وكاد يفنى²
حبي بُجْدِيَّة³ هبت فتمَّت⁴ فرق لعزفها طرباً وأنسا⁵

¹ نظم الشاعر قصيدته هذه في بحر الوافر (مفاعلتن مفاعلتن فعولن)، ويجوز في مفاعلتن = مفاعيلن، وفي فعولن = فعول، وفي الأعراب: فعولن، والأصرب: فعولن.
² هكذا.

³ الجُدِّي؛ والجُدِّيَّة من الشجرة: أصلها.

⁴ هكذا ورد هذا الشطر في الأصل، ولعله تعرض للتحريف.

⁵ هكذا في الأصل؛ وربما تكون: ((وَأَتَا)).

تُنَمُّ نُمَيَّْةٌ¹ كالمسك نشرا [وريح تفوح بما يفدنا]²
فهام القلب أجلالا وشوقا بمن نلنا الفخار به وسدنا
نبي مصطفى هاد شفيح بمولده السعيد لقد سعدنا
شفيح المذنبين غداة حشر مقييل عثارنا مما اقترفنا
لقد نلنا به شرفا صميما وحُزْنَا المكرمات به وفزنا
ذراع الشاة كلمه يقينا وأخبره وأظهر ما أُكِنَّا³
[وعين قتادة عادت وما أن رأى الراؤون أحسن منه عينا]⁴
نعم والبدر شُقَّ له بليل كذاك الجذع للمختار حَنَّا
وأيوان المجوس له ارتجاج وأصبح دينهم كذبا ومِينًا⁵
/34ظ/ وأعظم آية بتبوك ماء جرى من كفه وانهلَّ مُزْنَا
مدائح سيد الثقلين ما أن تعد وكيف إن تحصى وأنا⁶
وحسبك مدحة وعلو قدر من الرَّبِّ العظيم عليه أثنى
رسول الله يا أملي وسؤلي ويا أسمى الورى قدراً وأسنى

¹ تم الشيء: سطعت رائحته، ونمت الريح: جلبت الرائحة أو الحركة، والنميمة: الطبيعة.
² ورد هذا الشطر في الأصل هكذا: ((فطيبه ونشواها ذكرتنا))؛ وهو مختل الوزن؛ ومضطرب؛ تعويضه بما ورد أعلاه بين حاصرتين.
³ أكن الشيء: ستره.
⁴ كتب في الأصل: ((وعين قتادة عادت وما رأى)). وهذا يخل بالوزن؛ فنقلنا كلمة ((رأى)) إلى عجز البيت؛ ثم أضفنا إلى الصدر مقدار سبب خفيف تمثله كلمة ((أن))؛ كما جاء أعلاه؛ للتصويب.
⁵ المين؛ جمع ميين: الكذب.
⁶ هذا الشطر مضطرب المعنى.

سألت الله في سرِّي وجَهْرِي [وأرُقُبُه إذا ما الليل جنًّا]¹
لعلي إن أحل حماك يوماً ويبلغ قلب صبِّ ما تمنا
إذا المولى أبو حمو حباني بإحسان وجاد به ومنا
فمن يقصد حماه [يجده]² رجا ويبدل خوفه فرحا وأمنا
إمام قد تخير للبريا فما أرقى معاليه وأسنا
بدائع مجده الآفاق عمّت وكم من سُنَّةٍ في الجود سنَّا
وغرة ملكه الغراء لما علت وجه الزمان كسته حسنا
فتى جمع المحاسن والمعالي وحاز فنونها فناً ففنا
مهابٌ إن نظرت رأيت ليشاً ووهابٌ [يلاقي]³ ما تمنى
[وكفاه السحايب حاملات]⁴ يفيض نواله يُسرى ويُمنى
وكفَّ أكفَّ أهل البغي قهراً وكل العالمين عليه أثنى
دعته خلافة الآفاق طراً بما إن عن إجابتها تأنأ⁵
وكم رام الخلافة من غويّ فتاب وفي تطلبها تعننى
وما ربحت تجارته ولكن شرى صفقاته نحساً وغبنا
أمولانا أبو حمو هنيئاً لك البشرى بأن تبقى وتهدنا

¹ ورد هذا العجز في الأصل هكذا: ((وأرُقِبُه إذا ما أنا الليل جنًّا))؛ فاختل الوزن؛ بسبب كلمة ((أنا))؛ وهي زائدة؛ فاقترضى الحال حذفها للتصويبوجنُّ اللَّيْلُ: هي ظلمته.
² في الأصل: ((يجد))؛ بدون هاء الضمير؛ وهذا يخل بالوزن والمعنى. فوجب التصويب.
³ تم وضع كلمة: ((يلاقي)) عوض كلمة غير مفهومة في الأصل.
⁴ ورد هذا الشطر في الأصل هكذا: ((وكفاه السحايب حامدات))؛ ويبدو أن الناسخ حرف كلمته؛ لذا فقد رأيناه كما جاء أعلاه.
⁵ في هذا الشطر غموض.

فطب نفساً على رغم الأعادي¹ وسِرُّ وابلغُ مُنَاك وقرَّ عينا
[ودونك هذه بكر تبتت]² بمدحك في حلى لفظ ومعنى
[ويبقى ذا زمانك في سمو]³ ودام عدوك المدموع مضنا

ولما كمل المولد السعيد وجدد الأسبوع على ما يريد /35/ و/عاد إلى
الاشتغال بسلطانه ، ونال كل أحد ما قدر له من إحسانه.
أما خبر المولى **أبى يعقوب** ؛ لما قطن **بمليانة** ؛ في أجمل دعة ،
وأرفع مكانة ؛ طالت إقامته ؛ إلى أن جوز مولد نبينا عليه السلام ،
ودفئ⁴ الفصل ، وزهرت الأيام. جاءه الأمر ؛ أن يحشد على **الجزائر** ؛
وأن يقطع عنها قفول الميرة ، وجبس المسافر. فحشد إليها الأحشاد ،
وأعد لها الأعداد ، ومدّ الأمداد ، وبعث إلى الرماة من البلاد ، وجاءته
الحصص من **بني عبد الواد**. وكان مكثراً لما ناله منها ، وحنقاً لما أن
نزل عليها ؛ لا ينفك عنها. فما تيسرت له الحركة إلا بعد كمال شهر
المولد ، وتيسر له المسير إليها على المقصد.



¹ في الأصل: ((الأعاد))؛ بدون ياء.
² ورد هذا الصدر هكذا: ((ودونك بكر قد تبتت))؛ فاختلف الوزن؛ فوجب التصويب كما ورد أعلاه بين حاصرتين.
³ جاء في الأصل صدر البيت هكذا: ((ودونك بكر قد تبتت))؛ وهو مختل الوزن؛ فلزم الحال؛ تصويبه كما ورد أعلاه بين حاصرتين.
⁴ في الأصل: ((ودفا))؛ بالألف الممدودة.

ذكر النزول على الجزائر وخصارتها وما كان من الطعن والضرب ومآل أخبارها

قد تقدم لنا؛ كيف اتفق في الحصار الأول، وكيف حدث على المولى أبي يعقوب؛ ما لم يؤمل. فكان لتلك الحادثة يهيم بها، وطالب على غلبتها، ونكبتها. والحكم الرباني يقول له: لا تدخلها إلا صلحاً، ولا يرى منك أهلها إلا خيراً ونجحاً. فارتحل من مليانة بما أعده إليها؛ ومؤملاً لها شراً؛ إن قدر عليها؛ فلم يُرح ركاب محلته؛ إلا بقربها، وما استقرت هجمته؛ حتى استقر بحيث يحكم على حربها وكله حذر. عرف منازلها الحصينة؛ وحيث تكون المحلة أمينة؛ فنزل بمرسى نزله الموحدون في قديم الزمان؛ وأقره لمحله بأحسن مكان. فلما عين أهل الجزائر وصول المولى أبي يعقوب إليهم، ونزوله كما كان بالمحلة؛ خافوا على أنفسهم خوف الجاني، وساموا أنفسهم بالهلكة؛ كالمريض الذي عدم المعاني. وقالوا: إن ظفر بنا لإساءتنا أهلكننا، وإن أعطينا صفقة أيدينا؛ حتى تملكنا؛ تبعونا بالثارات في الأموال، وأغلظوا علينا في كل حال؛ والرأي أن نعزم الجلد، ونقاتل، ونحمي الولد والأهل؛ ولا نتغافل. فأجمعوا بجملتهم أن يقفوا ببلدهم، ويقاتلوا على أهلهم وولدهم؛ حتى يأتي الله بأمر من عنده، وينبلج الأمر؛ إلى ما شاء من وعده. فخرجوا على عادتهم للقتال، وأظهروا الجلد والقوة /35ظ/ في الحال.

وفي أثناء غيبة المولى **أبى يعقوب بمليانة**؛ بعث السلطان **أبو سالم**؛ القائد **ابن فتح**¹ بأربعة أجنان؛ إعانة؛ فاشتد بهم عضد أهل الجزائر؛ وقاتلوا معهم تلك العمائر. فكان المولى **أبو يعقوب** - في كل غدوة وعشية - يزلزلهم زلزلاً، ويرهقهم رجفاً ونكالاً، ويرهقهم بالضرب والطعن وبالآل؛ وساءت ظنونهم **بأبي سالم**؛ وقالوا: ليس نصره نصره حازم؛ فضاقت أهل البلد بأهل الأجنان؛ ووقعت بينهم المشاجرة؛ من جهة الضراب والطعان. فأهل البلد يقولون: ما رفعت أجنانكم عنّا مضرة، ولا حليت لنا مسرة. وأهل الأجنان يقولون: لولا نحن لملكوكم؛ ولولا الأجنان لأهلكوكم. وظهرت آيات الشتات، وانكشفت الغطاء؛ أن لا نصره إلا بالحمالات. فبينما أهل البلد بين نارين؛ ومن المشاجرة في عيارين؛ إذا بالمولى **أبى يعقوب** أصبح راحلاً، وعن الجزائر ناكباً، وحافلاً. فعجب الناس لرحيله من غير سبب، وإجفاله؛ بعد أن كاد يظفر بالطلب. فلم يأمن أهل الجزائر رحيله؛ بل قالوا إنما هي حيلة. ثم أتاهم من أخبرهم؛ أن **أبا سالم** قد تحرك إليهم، وأن رحيله إجفالاً؛ خوفاً مما يقدم عليهم. فأمسك الناس ثلاثة أيام؛ ينتظرون الخبر، ويتعرفون أية وجهة أخذ، وأين استقر؛ فجاءت الجواسيس عنه؛ أنه **بمليانة**، وأنه طالب **تلمسان**؛ مكان ولده ومكانه. فكانت إقامته سبعة عشر يوماً؛ كالمرّة الأولى؛ قدراً، وحكماً. فسافرت

¹ هكذا. وفي بغية الرواد: ((سليمان بن عامر بن فتح الله)).

الأجفان إلى مغربها، وبقيت البلد على حسبها. ثم أن الخبر بلغ أهل الجزائر؛ أن المولى أبا حمو؛ اتخذ الصحراء شعاراً، والغرب دثاراً؛ وأن أبا سالم؛ قد جيش للبلاد الشرقية، وعمل على إزالة بني عبد الواد من البلاد بالكلية؛ فسر عمال الجزائر بما سمعوا، وشكروا أهل الجزائر على ما صنعوا. فسكن أهل البلد من إرجافهم، وتأمّنوا بعد مخافهم. وجعل أهل الجزائر ينتظرون ما يصدر عن هذه الأخبار، ومتى تحل بهم بنو مرين في تلك الديار. وسيأتي ما كان من السلطان أبي سالم،
36/و/والعجب في حوادث العالم.

ذكر خروج المولى أبلح عمرو للصحراء فليج المرة الثانية وما كان له من الفتوحات السامية

السبب الذي حرك السلطان أبا سالم لهذه البلاد - مع سكونه إلى اللذات، والراحات، وترك المسامرة والعباد - إنما هو خبر الجزائر؛ التي حبست عليه، ولجأت في كلياتها وجزئياتها إليه، واعتمدت في نصرتها على حسابه، وأقامت على دعوته وأحكامه. وذلك أن أهل الجزائر يبعثون في البحر الإرسال، ويطلبون منه النصرة؛ حين عاينوا الأهوال؛ فكان قائد البلد يكتب بضعف بني عبد الواد، وقلة آمالهم في البلاد، وأنهم لا يطلبون إلا فرصة، ولا يغتنمون منها إلا خرصه. وجعلوا يخاطبونه بالمحال، ويأتون على مراده في جميع الأقوال؛ ويقولون له أنهم أفسدوا البلاد، وحرقوا العباد؛ فلو طلّت على أهل البلاد راياتك العلية؛ لهرعت لخلافتك الرعية. وزخاريف يزخرفونها، وأباطيل يصنفونها، وحجج بالمال يوقفونها؛ كل يطلب خلاص نفسه من الهلاك، والنجاة من أليم الانتهاك. فكان أبو سالم يعدهم في كفهم بانتصارهم، ويمنيهم بفكهم من قيد أسارهم، ويعدهم بالإنعام، والعمل على البر والإكرام، والمجازاة على أفعالهم؛ ويبشرهم ببلوغ آمالهم. وذلك مع ما بعثوا إليه بأكل¹ محال بني عبد الواد؛ وما ظهر

¹ المقصود بكلمة ((بأكل)) هنا هو: بالفتك والقتل.

له منهم من الاجتهاد، والإلحاح عليه في النصر، والتوسل له أن يزيل عنهم ما ألمهم¹ من الحسرة؛ ولا يخلف الملك وعده؛ فإنه إن أخلفه؛ سلبه الله النصر والنجدة. فأخذته لذلك القوة والنخوة، ودعته الثورة والسطوة، وأهاجته الخلافة للحمية؛ فألزمته التحرك على البلاد الشرقية. فجمع الأحشاد من السوس الأقصا، وولف الأعداد واستقصى؛ ولم يترك بالمغرب خيلاً، ولا رجلاً، ولا شاباً، ولا كهلاً؛ فجمع ألوف الأعداد، والكثير من الأمداد، والأحشاد، /36ظ/ والرماة المترجلة من الأندلس والمغرب. وبادر لتلمسان؛ ليدرك ما يطلب. ولم يزل يرحل، يحمل المحال بالمسير؛ إلى أن اتصل بأطراف البلاد؛ في الزمن اليسير.

هذا ما كان من خبر أبي سالم. وأما خبر المولى أبي حمو؛ وما كان من حركته الناجحة؛ فإنه سهم لا ترقد فيه خارجة، ولا يغفل عن حال، ولا يلهيه شيء عن البحث والسؤال؛ يبعث الجواسيس حيناً بعد حين؛ وتأتيه - مناوبة - أخبار بني مرين. فأتته الجواسيس بالحركة؛ فعرفها يقيناً وأوصاف المحلة؛ نقلاً ونفساً؛ (...)² الخبر بالرحيل، والعلم بالكثير والقليل. فعندما تحقق إتيانه³؛ وأنه يريد بلده وأوطانه؛ أعلم أرباب دولته، وأشياخ حضرته، وفرسان صولته؛ أن أبا سالم

¹ أياً ألم بهم

² كلمة هنا غير مفهومة؛ ويمكن أن تكون: ((واسراع))؛ أي أسرع إليه الخبر برحيل العدو.

³ أي: قدوم عدوه.

قادم على البلاد، وعامل على قهر بني عبد الواد. ثم تحدث معهم؛
يختبر آراءهم، ويعرف أهواءهم؛ فمنهم من يقول بالملاقاة، ومنهم من
يقول بالفساد وشن الغارات؛ فأخذوا في الآراء بين مصيب وخاط¹،
ومغرب ومشرق ومتواط². وهو على ما كان من العزيمة [عاملاً]³؛ لا
يضره رأي، ولا يشغله شاغل. وعندما حقت الحقائق، وانقطعت
العلائق؛ أمر بني عبد الواد بعمل الأزواد؛ ووجه إلى أبيه المولى أبي
يعقوب؛ يأتيه بمن معه في البلاد. ثم قال للحاضرين: على الصحراء؛
فإنكم ستحمدون - إن شاء الله - جميل الآراء⁴. فاشتغل الناس بالعمل
على السفر، والتجهيز بما يحتاج إليه على الأثر؛ فتيسرت البغال،
والجمال، وبراذين الأثقال؛ واشتدت الأحمال. ثم أن المولى أبا يعقوب
وصل بالأهل والأولاد؛ وبمن بقي - في البلاد - من بني عبد الواد. فكان
وصوله في جمادى الثانية⁵؛ واجتمع الشمل بولده على الخير والعافية.
ثم أن المولى أبا حمو؛ أمره بالخروج - مع الأثقال - بحفظ العيالات
والأحمال؛ وبقي المولى أبو حمو بتلمسان؛ بمن معه من الحماة
الفرسان، وأبطال الجلاد والطعان؛ يتقرب⁶ وصول أبي سالم؛ لأطراف
البلاد؛ **37و/** ويتعرف ما هو عليه من الاجتهاد. وتلك من شهادات

¹ آية مخطئ.

² آية متواطئ.

³ في الأصل: ((عامل)).

⁴ هكذا.

⁵ من سنة 761هـ/1359م.

⁶ ربما: يتقرب.

الملوك الأشهام، وأولي النخوة والاعتزام. ولما حل أبو سالم بأطراف البلاد؛ خرج المولى أبو حمو؛ طالباً للمغرب؛ بما معه من الأحشاد. أظهر أنه يريد الصحراء؛ وموّه للسمع بهذه الأمور؛ فتلا أباه؛ واليمن يصحب رايته، والفتح يتلوا عليه سُور آياته. فهذا طالب للبلاد الشرقية، وهذا زاحف للبلاد الغربية. وهذا قاصد للتمهيد، وهذا قاصد للتخريب والتأكيد. فكان أبو سالم؛ لا يقرب من تلمسان مرحلة؛ إلا زاد المولى أبو حمو للمغرب منزلة.

هذا ما كان من خروج المولى أبي حمو السلطان، وما آل أمره؛ حين خرج من تلمسان. وأما خبر السلطان أبي سالم؛ فإنه لما حلّ بأطراف البلاد؛ سأل عما فعله بنو عبد الواد؛ فعرف أنه خرج للصحراء؛ في قبيله وأعرابه النصحاء؛ فسبوه بخروجهم من البلاد، وتشريدهم وإخلائهم عن تلمسان وتكيدهم. فقال هذا غاية ما يقدرون عليه، وأقصى ما يتوصلون إليه. فاستقبل تلمسان بمن معه من الأحشاد، واستظهر بقوة العدد والأعداد؛ ولم يثن عنانه؛ إلاّ بحضرة تلمسان، وبقصرها الأعظم؛ قصر الخليفة مولانا السلطان. فأتته أهل تلمسان للمبايعة، وبادروا بالرغبة على أنفسهم والمصانعة؛ فعفا عنهم، وبسط آمالهم، وهدر جباياتهم عليه، وأفعالهم، وبعث الكتب إلى البلاد الشرقية بالأمان، وللبلاد الغربية بالفتح لهذه الأوطان؛ وعزم أن يجعل تلمسان دار إمامته، ويتخذها - عوض فاس - لإقامته؛ واستغرق في

شأن الفتح وسروره، ومحاولة ملكه وتدبيره. وسأل عن بني عبد الواد واستقرارهم؛ فلم يسمع هنا أخبارهم.

هذا خبر أبو سالم بعد ما حلّ بتلمسان. وأما خبر المولى أبو حمو؛ فأغرب ما سطر في هذه الديوان. ولما خرج المولى أبو حمو من هذه الأوطان، وخلط - في الصحراء - على العربان؛ أمر بالرحيل إلى البلاد الغربية؛ لقتالها، وخراب **37**ظ/حصونها، ولزلزالتها. فأول حصن نزله تاوريرت؛ فوجد أهله قد جفلوا منه؛ خوف القتل والتعسف؛ فأمر بهدمه وخرابه؛ ووكل به عامة محلّته وأعرابه. ثم ارتحل إلى حصن أوطاط؛ فأخذة عنوة، وهيّط أهله أشدّ هيّاط¹. ثم ارتحل إلى أجرسيف؛ فعنف على أهله أعظم تعنيف؛ ثم تمادى إلى أرجو؛ أمتع هذه القلاع، وأشدّ بأساً في الكفاح والقراع. فعندما نزل عليهم نازلوه، وحين أراد قتالهم قاتلوه؛ ودّعوا للمسالمة؛ فلم يثبوا، وأجهروا بالعار، ولم يستريبوا. وعندما ظهر له شقاقهم، ونادى بانطلاقهم؛ أمر أن يشن عليهم القتال، وأن تضايقهم الرماة والرجال؛ وهم - من سفح الحصن - يدقون الصخور، ويتمسكون بمضايق الوعور؛ إلى أن ترجلت بنو عبد الواد؛ حلّقا عليهم، وزحفت مدرقة مدرعة إليهم؛ فشاركوهم في المراقي؛ بعد أن كادت النفوس تبلغ التراقي؛ فانهزموا داخلين إلى حصنهم؛ وذلك لما أراد الله من حينهم؛ فتعلقت الرجال

¹هاط يهبط هيّاطاً: صحّ وأجلب يقولون: ((ما زال في هيّاط ومييط)): أي في ضجيج وشر وجلبة.

بالأسوار؛ بعد المشقة والإعسار؛ فدخلوا عليهم عنوة؛ فقتلوه عن آخرهم؛ حنقاً وسطوة. ثم تمادى على الحصون؛ ينهب ويخرب، ويضرب وينكب؛ إلى أن تمادى - على ما ذكر - واحد بعد واحد، وصار أهل البلد بين مطيع وشارد؛ إلى أن كان من صفروي؛ على أميال قليلة؛ فدعر أهل تازة وفاس لهذه الفعلة المثيلة¹. فبعث أهل تازة وفاس لمولاهم أبي سالم؛ يعرفانه² بما فعلت بنو عبد الواد؛ من العظائم، وبما خربت من الحصون، وبما أذاقت الناس من الهوان؛ وأنه من صفروي على أميال قليلة؛ ولا لنا³ على دفاعهم من قدرة ولا حيلة؛ وبادر⁴ لنصر هذه البلاد؛ قبل أن تخربها بنو عبد الواد. فبينما هو على ما أدرك من السرور، وتأثل له من النصر والحبور؛ إذ أتته الإرسال من بلاده؛ يخبرونه بانقلاب المغرب وفساده؛ وأن بني عبد الواد نسفته نسفاً، وأذاقت أهله حتفاً ورجفاً؛ /38/ وأنه أحرث الحصون، وهدمت، وأكملت القبائل ودمرت؛ وأن المغرب - إن لم تبادره - هلك، ودار عليك فيه الحرك⁵؛ والمغرب قائم على ساق، وضاق أهله غاية التضيق. وقد أخذ بنو عبد الواد تاوريرت وهدموها، وخبروا وطاط؛ بعدما غنموها؛ وما جرى بأجرسيف، وما نال أهل البلاد من

¹ لعلها: المبتلية، أو المشينة.

² هكذا، والصحيح: يعرفونه.

³ أي وما لنا.

⁴ في الأصل: ((والقادر))؛ وهي كلمة في غير محلها.

⁵ حرك حركاً: امتنع من الحق الذي عليه.

الترجيف، وما نال أهل وطاط من قتل الإفراط. وأعلموه بيعث المولى
أبي¹ حموي في البلاد، وما اتفق في بلاده من الفساد.

قال الراوي: فلما أن سمع أبو سالم ما قال له الرسول؛ اعتراه
الإدهاش والذهول، وسقط في يديه، ورجع عليه بعد أن كان إليه،
وجعل يردد النظر في الرسول وللكتاب؛ وصار يقول: جاءت أمور لم
تكن في حساب. وعندما تواترت الإرسال، وكثر القيل والقال؛ خاف
ما ينتظره له من بني مرين. فنظر في أمر مصلحته في الحين؛ فأمر
بإحضار حفيد المولى أبي تاشفين²؛ وقال له تقدم على بلاد جدك،
وأمدك بالمال المعين، واشترط عليه؛ قلما يفعلها لبيب، ولا يتأتى لها
نجيب؛ على أن تكون السواحل لأبي سالم والبلاد القرية للأمير محمد
القائم. فلم يكن جوابه في الاشتراط إلا نعم؛ لأنه كالخروج من العدم.
فأعطاه مالاً، وأثاثاً، وأخبية وطبولاً، وألوية. ثم أمر أهل تلمسان
بمبايعته، وامتنال أمره، ومتابعته. ومراده بذلك إثارة الفتنة بين بني عبد
الواد؛ ليقع الشتات في الرعية والبلاد؛ فيجد إلى التوصل إليهم سبيلاً؛
ليذيقهم عذاباً وبيلاً. وهذه والله من مكائد الملوك المستحسنة؛ فإنها من
الأفعال³.... ثم خرج راجعاً⁴ إلى بلاد المغرب؛ ولم يحظ بمرام، ولا
مطلب. فكانت إقامته بتلمسان خمسة أيام؛ وظعن عنها قافلاً بسلام.

¹ في الأصل: ((أبو))؛ وهو خطأ.

² يقصد أبا تاشفين بن أبي حمو الأول. كان محتجزاً في المغرب؛ منذ مقتل والده، وسقوط دولته.

³ انقطع الكلام هنا، ويبدو أن كلمة سقطت بعد كلمة ((الأفعال)).

⁴ في الأصل: ((راجلاً))؛ وهو تحريف.

فكان دخوله لتلمسان يوم الأحد سادس شعبان¹، وخرج منها يوم الجمعة الحادي عشر؛ من غير توان. ثم انتفض في المسير؛ وفي قلبه من المولى **أبي حمو** نار السعير. /38ظ/ فأقام حفيد المولى **أبي تاشفين**؛ ملك جده على سرور؛ لو استعان بجده؛ إلا أنه خرج منها طريداً وعنها جافلاً شريداً. وسيأتي ما كان بينه وبين المولى **أبي حمو** من الملاقاة، وكيف يجري القدر بوجوه من الاتفاقات.

وأما خبر المولى **أبي حمو**؛ فإنه لما هدم الحصون المذكورة وانتهبها، وأرجف البلاد وخربها؛ هم أن يجمع رأيه على انتهاب مدينة فاس القديمة، وتمكين العرب من ذخائرها العظيمة؛ ليكون ذلك إرجافاً ل**أبي سالم**؛ وهذا يسمع في الأعراب والأعجام. فبينما هو يستعمل الحيلة في شأنها؛ كيف يكون توصله إلى خذلانها. وكان بنو عبد الواد يقولون له بتهديم أسوارها، وقلعة حصانتها، وتيسر حصارها؛ فكان مهتماً بذلك؛ كيف يتأتى له؛ ليحسن فيه أحسن المسالك. إذا بفرسان يتطايرون تطاير الشعري، يتسابقون بالبشارة الكبرى؛ لم يمكوا أعنتهم إلا بشرائط أخبيتهم، ولا وقفوا إلا تحت ظلال ألوته. عندما رأهم؛ جلس بخباء راحته؛ وأدخلهم معه في إباحته. فلم يكن كلامهم إلا طلب البشارة، والتهاني على رجعة **أبي سالم**، وجمود تلك الشرارة؛ فأسعفهم بالعطاء الجزيل؛ بعدما أخذ معهم في القال والقليل.

¹ من عام 761هـ/1359م.

وأعلموا بتوقيف حفيد المولى أبى تاشفين، ورجوع أبى سالم وبنى
مرين؛ فأقبل المولى أبو حمو لحضرته تلمسان؛ بعد غيبته ثلاثين يوماً
من الزمان. بلغ في حركته نيل أوطار¹، واشتهر صيته أعظم الاشتهار.

¹ في الأصل: ((وطار)).

ذكر قيام حفيد المولى أبلح تاشفين على يد أبلح سالم سلطان بني مرين

قد تقدم خبر السلطان أبي سالم، وخروجه من تلمسان - بعد سروره - خروج النادم. ولما وقف حفيد المولى أبي تاشفين بمدينةته؛ بحضرة أسلافه الكرام، واستقر بما منح من الأنعام؛ ميز ما اجتمع له من الفرسان، وأظهر بأثر الملك والسلطان. ثم جلس بقصر /39و/ جدّه؛ لو جرى له القدر بحدّه. وعندما حلّ بتلمسان هرعت له قبائل الأوطان، وأتته السرايا¹، وتنادت الرعايا. فأقام بتلمسان عشرين يوماً؛ يتشوف لبني عبد الواد؛ وسئل قوماً فقوماً؛ وهو شارع في إخراج المحال، ونفسه مستبشرة ببلوغ الآمال. فبينما هو جالس على اختياره، وأخذ في قضاء أوطاره؛ إذ أتاه آت؛ أخبره بقدوم بني عبد الواد؛ وأن المولى أبا حمو قد أقبل؛ بعدما نيل المراد؛ فما لبث محمد المذكور؛ أن أخرج محلته للجهات الشرقية، وأظهر في أهل تلمسان أنه خارج لتجهيز الرعية؛ فنزل بمحلته بتيط وشقوف، وجعل يتشوف للمولى أبي حمو؛ تشوق المخوف؛ إلى أن رأى رايته طلت على تلمسان؛ فارتحل في حينه من غير توان.

¹ في الأصل: ((الصرايا))؛ بالصاد المهملة؛ وهو خطأ.

وأما خبر المولى أبى حمو؛ فإنه لما أقبل على تلمسان حضرته؛
سأل عن حفيد المولى أبى تاشفين، ومحلته، وتصرفه؛ فأخبر أنه كان
بتيط وشقوف، وأنه ارتحل - من حينه - ارتحال المطرود الملهوف. فبعث
الشوف ينظر أية موضع قراره، وأي مسلك عول عليه؛ إذا أراد فراره.
فعرف أنه يتسلل يريد بني راشد؛ ومع هذا؛ لا مقر لشارد. فأقام
بتلمسان إلى أن استراحت بنو عبد الواد، واختبر أبا سالم، ومقره من
البلاد؛ فعندما علم أنه استقر بحضرته الفاسية، وتفرقت عنه الجيوش
الحوزية والمراكشية؛ أخرج محاله؛ طالباً على حفيد المولى أبى تاشفين،
وعلى من معه من زناة المنافقين؛ فارتحل على الأثر، وما يواتي في
الرحيل ولا اقتصر؛ فكان يرحل من منزله؛ فينزلها هذا غداً؛ من غير
محلة. فلما طالت المراحل، وتوغل المولى أبو حمو في القبائل؛ جعل
الناس يفرون إلى حفيد المولى أبى تاشفين، ويأتون لخدمته مترادفين.
فكان في نظر كثير من الناس؛ أن ذلك سبب نصره. فكان ما كان من
عاقبة أمره.

ولما أخذ بنو عبد الواد في الفرار، وعابن المولى أبو حمو من
جيشه /39ظ/ صورة الإنكار؛ إلتزم الصبر والجلد، ولم يعبأ بمن أنكره
وشرد؛ بل صار يباشر الأحوال بنفسه، ويحاولها بلطافة، وساوسة
وسياسة وحسنة. فكان يضايقه في المنازل، ويخلط عليه في المراحل؛
فكان يعجب من جلاده، ويفر ويطير من مراحل؛ ولا يستقر. فكانت
بينهما وقائع؛ حالت فيها بين الاتصال موانع؛ إلى أن حلّ بجبل

وانشريس؛ ولم يكن في حلوله به بالرئيس. فاعتصم بالجبل المذكور معقلاً؛ ولعمرك إنه لكذلك ملجأ وموثلاً. وظن أنه من غائلة المولى أبي حمو مأموناً، ومن آفاته ودهائه مضموناً. ولما تحصن بالجبل نزل المولى أبو حمو بسفحه عليه، وصار يحاول كيف يكون التوصل إليه. ثم تسلط عليه بالقتال، والنظر في الطلوع إليه؛ بوجوه الخيل، والاحتيال، والقتال. في كل يوم يزيد، والناس تفشل في القتال وتحيد. وعندما قاتل القبيل بعضه بعضاً؛ ورأوا أحوال حفيد المولى أبي تاشفين قبلا لا نقضاً¹؛ أخذ الناس في الفرار عنه، والقبائل في التحيز عنه. وظهر على جيشه آية الخلل، وقبض النفوس من الكلل. ونظر حفيد المولى أبي تاشفين أن أحواله متلاشية، ونهضته متراخية، وعصابته غير وافية؛ أخذ في الحذر. وتلك عادة الأشهام؛ وصار يراعي أحواله من الخدام. فبينما هو يوماً بموضع راحته جالساً؛ إذ أتاه آت؛ ممن كان يجالس. فقال له دونك وظهر الجواد؛ فقد غدرت جميع القبائل والأحشاد؛ فالسلامة غنيمة، والشهامة في غير وقتها ذميمة. فنهض من حينه لظهر جواده، وترك من عنده من الأحشاد، وتلاه أخواه فارين معه. وما أغنى عنه ما حشده وجمعه. فاتصل الخبر بفراره، ولم يعلم أين سلك في نهاره. فطلع المولى أبو حمو للجبل، واستولى على المحال، وسأل عن أية موضع سلك؛ فلم يتعرف له بحال. ولما منحه الله النصر الذي

¹ هكذا.

عوده، والفتح الذي بلغه مقصده؛ بايعه من /40و/ فرّ عنه؛ فعفا عنه¹؛ ووجدوا فيه من كريم العفو؛ ما تعودوه منه في أثناء هذه الملاقات، والشدائد التي حدثت والصفات.

كان منصور بن خلوف الياباني² قد أضر بالبلاد الشرقية، وقتل زيان بن علي بن منصور، وأكل القبيلة المليكشية، وزحف إلى الثعالبية العرب؛ فأكلهم؛ بعد أن أوقع بهم وقتلهم. وكان يقول لبني عبد الواد - من الذين كانوا معه - أنا أقاتل أبا حمو وما جمعه، وأنا أوصل حفيد أبي تاشفين إلى مراده، وعلى يدي يكون تمليكك لبلادك. وكانت الجزائر على ذمة بني مريين، والمدية صارت من جملة المطيعين؛ وزلزل البلاد زلزالاً؛ ولعمرك لقد أذاقها شراً ونكالاً. وسيأتي ذكر خسفه وكسفه، وكيف كان سبب حتفه.

وأما خبر المولى أبو حمو؛ فإنه لما أخذ الجبل، ونال ما أمّله واتصل؛ ارتحل مشرقاً؛ يريد الجزائر وأوطانها، ويصلح ما أفسده ابن خلوف وما شأنها.

¹ الصحيح: ((عنهم)).

² يسميه بعضهم: ((ابن مخلوف))؛ وهو القائد المرييني منصور بن خلوف الياباني؛ أحد شيوخ بني مريين، ومن أهل الشورى في دولتهم؛ كان أبو عنان قد ولاه على قسنطينة والمناطق الشرقية. ولما تولى السلطان أبو سالم؛ قرّر إصلاح الحال مع الحفصيين؛ فأطلق سراح أمير بجاية وأمير قسنطينة؛ ثم أمر واليها ابن خلوف بتسليم المدينة إلى أبي العباس الحفصي؛ فنفذ ابن خلوف ما أمر به؛ وخرج من قسنطينة؛ حيث جمع حوله شلة من المغامرين؛ فأشعلوها غارات وقتن ضد قبيلتي؛ مليكش والثعالبية.

وكان خروجه من قسنطينة¹ تحت فاقة، ولو وجد الإيجاد لحبس فيها بالطاقة؛ ولم يخرج لأبي العباس² منها؛ إلا من قلة الإيجاد، ولإساءته لجميع البلاد. فخرج منها في ثمانين فارساً؛ من بني مرين، وبعض العبيد والوصفان؛ قد أضرّ بهم الجوع، والتقشف، وكادوا - في طريقهم - أن يلحقوا بالعطب، ويحجبهم التلف. وما التحقوا بالبرابر؛ إلا وهم على إياس من الالتحاق؛ هالعين من الخوف، وإرهاق النفاق؛ فاتصلوا بالبرابر؛ فشبّعوا ووجدوا الفتن؛ فساعدوا عليها وطمعوا؛ فالتف عليه من البرابر ما ينيّف على أربعة آلاف من الرجال، ومائتين من الفرسان الأبطال؛ وجاءوا مما يلي مليكش؛ من الجهات الشرقية؛ لخوفهم من نارهم المحرقة الحمية؛ فلم تعمل لهم مليكش من حساب؛ بل تيسروا للطعان والضراب؛ لم يتمنعوا لهم بجبل ولا ولد، ولم يبعثوا لأنصارهم من أهل البوادي. وكانت مبادرته إلى مليكش رئاسة منه ونظراً؛ حسبما صدر عنه؛ لأنه لم يكن خوفه إلا من أولاد منصور؛ لأنهم للملاقة /40ظ/ في الثبات كالصور³. ورأى أن الأحشاد في أول حدثهم، والفرسان في أكمل نجدتهم. فقابل الأشد؛ فكانت الطايلة

¹ المقصود هنا هو منصور بن خلوف الياباني. وقد اضطرت صياغة الموضوع؛ فخلط الكاتب بين خير أبي حمو وابن خلوف؛ فلم يحسن الفصل بين خبريهما.
² وهو أبو العباس أحمد الحفصي. كان في قبضة المرينيين بالمغرب الأقصى؛ فأطلق السلطان أبو سالم سراحه هو وأمير بجاية أبي عبد الله؛ وطلب من منصور بن خلوف التخلي عن قسنطينة للأمير أبي لعباس؛ فانصاع لأوامر سلطانه؛ وترك البلد للأمير الحفصي؛ ثم تحول غرباً إلى نواحي متيجة والجزائر. أنظر التفاصيل في العبر، مج: 6، ص: 851 - 852.
³ لعل المقصود هنا: ((السور)) بالسين المهملة؛ أي الحائط، وليس الصور. وربما تكون: ((كالصقور)).

له والظفر؛ من غير يد؛ فمات زيان بن علي بن منصور؛ شيخ القبيل؛ فوجد إلى فيء أموالهم مسلك السبيل؛ فاستولت صنهاجة على أموالهم، وظفرت بنو مريم بأموالهم. ثم زحف إلى الثعالبه بالقتال؛ فهرب إليهم فريق منهم بالأهل والمال؛ فانهزمت الثعالبه؛ نبكت أحوالهم، ووقع النهب في أموالهم؛ بسوء خذلانهم. ولم يزل يزاحمهم حتى لحقوا بلوآة؛ ولم يلتفتوا إلى ما خلفوه التفاتة. فعندما هزم ابن خلوف القبيلتين، وظفر منهما بقوة العين؛ كتب إلى حفيد المولى أبي تاشفين؛ يعلمه بنصر بني مريم، ويقول له: لاحقناك بسيفي؛ وعمّا قليل عليك استوفى.

هذا والمولى أبو حموي محاصر بالجبل حفيد المولى أبي تاشفين؛ ولم يهله ما فعله ابن خلوف مع بني مريم. ولما قضى المولى أبو حموي أربه من مطلوبه، وأدركه على غاية من مرغوبه؛ نزل بأطاران وفاقطيس؛ من حوز مليانة؛ برسم الراحة والاستكانة. فيه وصله شيخ الثعالبه؛ طالباً للنصرة؛ يشكوا له ما لقي من ابن خلوف من القهر والحسرة، وأعلمه بهلاك مليكش وهتك قبيله؛ وإن ابن خلوف في الطلب على سبيله. فعندما جاءه ملهوفاً؛ أمّنه، ومما أصابه - رجفاً - سكّنه.

بعث إلى علي بن أبي عدي؛ حامية من حماة عبد الواد، وصناديداً من الكرام الأنجاد، وجرّد له تجريدة من سبعمئة فارس من

بني عبد الواد؛ كالليوث الشوارس¹ وأشار عليه؛ كيف يتوصل إليه؟ وكيف يكون العمل عليه؟ مع أن ابن أبي عدي؛ لا يحتاج إلى الإيضاء² لممارسته ملاقاتة الأعداء؛ فلم يثن عنانه - ابن أبي عدي - بعد فراق مولاه؛ إلا بعد أن اتصل بالعدو وداناه. فبات ليلة من مولاه بعفرون. وفي صبيحة الغد؛ صبح ابن خلوف - ومن معه - وحيث لا يشعرون؛ فانتفض ابن خلوف بوصفانه للقتال، وانتفضت /41/ معه جماعة من قبيله الأبطال. ولما تلاقى القبيلان، واتصلت الفرسان فرّ ابن خلوف منهزماً على رأسه؛ فقتل لحينه، وأقال الله من شره، وبأسه. فاستولى القتل على من لحق من بني مريم، وأكلت محلثهم في الحين، وحزّ رأس ابن خلوف المذكور، وبعث به إلى المولى أبي حمو؛ السلطان المنصور. فكان له فتحين في شهر واحد؛ أعين - على ذلك - بالقدر المساعد.

ولما انقضت حركة ابن خلوف، وانتهت الأرض من شره المخوف؛ عمل المولى أبو حمو على حصار الجزائر؛ وأراد أن يستظهر عليها بما حشد من العساكر. فبينما هو أجد المسير إليها؛ وعاملاً بقوته عليها؛ إذا أخبره مخبر بغدر مغراوة؛ وأنهم يناصبونه العداوة. فعندما ذكر له، وتحقق ما عندهم خبر؛ أظهر التغافل عنهم من دهائه؛ وصبّحهم صباحاً، وأذاقهم شرّاً نكاله وجلاده؛ فأوقع بهم إيقاعاً

¹ الشريسة الأسد
² أوصى إيضاءً فلاناً بكذا؛ أمره وأوصاه به.

شنيعاً، وقتل خلقاً¹ منهم قتلاً ذريعاً. ففر أشياخهم إلى جهات تنس هارين؛ وبقيت عامتهم بالمكسة سايلين؛ قد نهبت أموالهم، وقتلت خيلهم ورجالهم. ثم عاد إلى محلته سالماً ولأموالهم وحللهم غانماً. وترك حصار الجزائر، وأقبل إلى تنس؛ بما معه من العساكر.

¹ في الأصل: ((خلق))؛ وهو خطأ.

ذكر حصار تنس ودخولها عنوة على أهلها وما لقوا من العنوة والغلبة وذلكها

السبب الداعي لحصار تنس؛ هو نفاق مغراوة؛ لما خالفوا وأظهروا العداوة؛ وذلك أنهم لما غدروا المولى أبا حمو؛ وهو بأطاران وفاقطيس، وجرّد إليهم، وغزاهم؛ حتى تركهم مفاليس؛ أووا إلى مشايخهم إلى تنس¹؛ ليعتصموا بها، أو يجدوا فرصة في نهبها. فلما حلوا بأحوازها ساكتين، ولصداقة العدو متراكنين. نظر المولى أبو حمو إلى بقائهم في البلاد؛ سبب للفتنة، والاقتصار عنهم يجلب المحنة؛ عمل على حصار تنس؛ ليجليهم عنها، ويصدهم عما راموه منها. فأقبل نحو تنس بما معه من الأجناد؛ عاملاً على أن يدفعها وإياهم أليم الحصر /41ظ/ والنكاد. فما لبث أن نزلها، وضايقها، وزلزلها. وكان قائدها عثمان بن أبي تجلاء؛ أحد فرسان بني مريّن النجباء. أقام² عليها ثلاثة أيام؛ ودخل عنوة بالحسام. قتل قائدها المذكور، وألحقه الله بأصحاب القبور؛ ثم عفا عن أهلها، وفرّت مغراوة؛ لما علموا بهلاكها وحرّبتها. فاعتصموا ببرشك؛ وبئس الاعتصام. ثم فرّوا منها لما قدمت إلى الجزائر؛ في أسوء مقام.

¹ قد تكون صيغة العبارة هكذا: ((وأوا أشياخهم إلى تنس)).
² أبو حمو.

وللمولى أبى حمو - في فتح تنس - عجائب من السعادة ، وموافقة من الأقدار على الإرادة ؛ لا يقدر عليها إلا بتمادي الأيام ؛ وإن كان فليس إلا بسلام ، ولا ينفع فيها الاحتيال ، ولا يؤثر فيها إلا القتال ؛ فكان فتحها ثالث الفتوحات ، وأول المواهب المتوجات . وعندما أخذها ترحل لتلمسان . سار بما فتح من الفتح العجيب الشأن . وفي عام اثنين وستين وسبعمائة¹ ؛ في هذا العام عاد المولى أبو حمو إلى تلمسان ؛ بعد أخذ تنس ، وأكل مغراوة ، وقتل ابن خلوف ، وهزيمة أبى زيان . وكان دخوله تلمسان ؛ يوم السبت الثاني لصفر ؛ بعد قضاء الأرب في السفر . ولما استقر بحضرته - آمننا بالله من سفرته - أمر المولى أبا يعقوب بالخروج إلى البلاد الشرقية ؛ برسم السكنى بمليانة ؛ وتهدين الرعية . فكان خروجه في الثاني والعشرين من الشهر المذكور . واستقر بحضرته ؛ ولده المؤيد² بالنصر والظهور .

ولما دخل شهر ربيع الأول المبارك ؛ المخصوص بالإكرام ؛ المولود³ فيه نبينا محمد عليه أفضل السلام . أمر بإقامة الليلة الشريفة ، المخصوصة بالأسرار اللطيفة . ضاعف فيها الإنفاق ، وزاد - بزيادة الملك - من كل ما حسن وراق . فكانت ليلة رائقة الجمال ، بديعة الاحتفال . أفاد المداح الشعراء ، وواسى المزمزمين الفقراء ، وتليت الأمداح سوراً على ألسنة

¹ 1360م .

² في الأصل: ((المايد)).

³ في الأصل: ((المولد)).

الشادين ، ونثرت درراً بضاعة الأستاذين ؛ فمن ذلك ما قاله القاضي أبو
عبد الله محمد بن أحمد الحسيني الشهير بابن يعلى ؛ غفر الله له ¹ :
حَدَّثَ عَنِ الْعَلَمِ إِلَّا عِلْمًا² عَمَلٌ
وَقَفَ بِذُرُوتِهِ /42/ العلياً على قدم
وناد بالحمد من أرجاء جانبه
جوى نفوس ضنى من حرّها الضّرم
حَدَّثَ عَنِ الْمُصْطَفَى الْهَادِي بِلَا حَرْجٍ
حَدَّثَ يُولَدُ فِي بَسْتَانِكَ النَّعِيمِ
حَدَّثَ عَنِ الْهَاشِمِيِّ الْأَبْطَحِيِّ [إِذَا]³
تكل نفساً عن الآثار والشيم
إيه على الغرة الغراء قد وضحت
نور الهدى علماً إيهاً⁴ بها فهم⁵

¹ هذه عبارة عن منظومة نسخت بقلم رديء؛ بحيث تخللها غموض كثيف؛ منع من قراءة كلمات كثيرة بها، وخاصة حينما يتضح بأن صاحبها مولع بالغريب في صياغته، ونظم قصيدته في بحر الوافر (مفاعلتن مفاعلتن فعولن)؛ ويجوز في (مفاعلتن = مفاعيلن، وفي فعولن = فعول)، ولكن ظهر على بعض أبياتها خلل في الوزن، بسبب الزحاف والعلل.
² هكذا رسم، وهكذا انطلق في مطلع المنظومة.
³ صدر البيت هذا في الأصل مختل الوزن؛ إذ تنقص التفعيلة الرابعة حروف بتد مجموع (0//)؛ فأضفنا كلمة: ((إذا))؛ لكي يستقيم الوزن.
⁴ تأتي هكذا في حالات نادرة، مثل قول حاتم الطائي:
إيه، فدى لكم أمي وما ولدت حاموا علمجكم، واكفوا من أنكلا).
⁵ هكذا.

إيه وما لرسول الله معجزة
إلاً وقد بهرت كالنجم في الظلم
البدر شق لمولانا الرسول وجا¹
بالبعث بَشَّرَ والإرسال في الحرم
وانشق في كين² نصفين يسأله
نيل الشفاعة يوم الحشر والندم
والشمس بعد غروبٍ حَلَّ مطلعها
بسير مطليه من بارئ النسم
كذاك قد حبست أيضاً بدعوته
وزيد ساعة يوم مطلع النعم
كذا الذراعُ بسُمِّ فيه أعلمه
وأعلمَ المصطفى من كان عنه عَم
والجدعُ حَنَّ له تَحْنانُ ذي حرق
وأعلن النوح يبيكه بمنسجم³
والضأن إذا وطئ المرعى له سجدت
وأمرعت عملا في نبل مستلم

¹ في الأصل: ((وجاء)) بالهمزة؛ وهذا يخل بالوزن؛ فوجب حذفها للضرورة؛ لكي يستقيم الوزن.
² كين - كان - يكن كيناً لفلان: خضع.
³ طراً خلل على التفعيلة الثالثة في هذا الشطر.

كذا البعير شكى ظلم اليهود وقد
أوى إليه فألفى حكم محتكم
وناقة الآية الكبرى التي شهدت
لربها ونفت قولا لمتهم
كذا الجبال كذا الآكام قد شهدت
كذلك الضب لبي مفصحا بقم
كذا الظباء أته وهي شاهدة
وكم حماد وكم صاد وكم حطم¹
وكم أته وحوش الأرض مسرعة
كذا الثمار على ساق بلا قدم
وإن أراد الجنا² تنحط خاضعة
وفي يديه ترى الحام من حم³
وفي الغمامة إذ تتلوه طائفة
تظله حكمة أربت على الحكم

¹ هكذا.

² لعلها: ((الجنى))؛ بالألف المقصورة في آخر الكلمة؛ وتعني قطف الثمار.

³ هكذا رسمت، ولم يفهم الشطر. وهو غير موزون؛ ولا مفهوم.

كذا الحمام أظلته بأجنحة¹
في فتح مكة مثل الأحملى² الشمم³
وآية الغار إذ أواه مختفياً
والعنكبوت عليه ظل في خيم
وفي الحمام على الباب التي سكنت⁴
[في عشاها؛ ففشت في] لعرب والعجم⁵
وأرقم الغار يشكوا منذ رؤيته⁶
وجه النبي وصد⁷ الصادق الفهم
42/ وكم رضيع رسول الله أنطقه
وكم بريء له من أكمه وعم

¹ طراً خلل على التفعيلة الثالثة في هذا الشطر.
² الحَمَل: هو السحاب الكثير الماء، جمعها الناظم بـ((الأحمل)).
³ ذكر بعض كتاب السيرة الشريفة؛ أن حمام مكة أظلم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتحه لمكة؛ فدعا له بالبركة.
⁴ ثمة من يرى أن سلالة حمام مكة الآن؛ تعود إلى حمامتي غار ثور.
⁵ هذا الشطر غير واضح في الأصل، فأضفنا إليه ما ورد بين حاصرتين أعلاه؛ حفاظاً على سياق الفكرة.
⁶ الأرقم: حية خبيثة؛ لونها أسود وأبيض، وأوردت بعض كتب السيرة النبوية؛ أن حية من هذه الحيات؛ لدغت أبا بكر في غار ثور، ((ولما انتهيا إلى الغار روي أن أبا بكر دخل الغار وسد جحوره بإزاره حتى بقي منها اثنان فألقمهما رجليه، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونام في حجر أبي بكر، وبينما هو نائم إذ لدغت رجل أبي بكر من الجحر؛ فتصبر ولم يتحرك؛ مخافة أن ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم من نومه؛ لكن دموعه غلبته؛ فسقطت على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فيستيقظ ليرى صاحبه قد لدغ قال: يا أبا بكر مالك. قال: لدغت فذاك أبي وأمي؛ فنقل صلى الله عليه وسلم على رجله فبرأت في الحال)).
⁷ هكذا

كذا أتى ويجفن¹ الكف [مقلته]²
 قتادة لرسول الله حين رُم³
 فردّ [مقلته]⁴ في عينه عجلا
 وسدّ خلته⁵ في ساعة الألم
 [وكان]⁶ يطعن في الكفار يبصره
 في سعي مجتهد يرقى للتمزم⁷
 كذا ذراع معاذ.....⁸
 عليه في⁹ بفيض دم¹⁰
 ورجل ابن معاذ عندما قطعت¹¹
 بالسيف أبرأها راق بريق فم

¹ الدَفَنُ: أخذك الشيء براحة كفك والأصابع مضمومة.
² كتب في الأصل: ((مقلته)) وهو تحريف؛ فوجب التصويب.
³ هو الصحابي قتادة بن النعمان؛ رمي في عينية؛ فسقطت على وجنته؛ فردّها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى مكانها؛ فقال ابن إسحاق: ((فكانت أحسن عينيه وأحدّها)).
⁴ في الأصل: ((مقلته)) وهو تحريف أيضاً. فصوّب.
⁵ الخلّة: ((الثقب)). والمقصود بها هنا: الفجوة التي تسكن فيها شحمة العين؛ وهي المقلة.
⁶ في الأصل: ((وكن))؛ فصوب.
⁷ هذا البيت كله غامض في معناه وصياغته مضطربة.
⁸ تعذر معرفة ما كتب في الأصل ضمن هذا الحيز؛ بقدر سبب خفيف + وتد مجموع + تفعيلة: ((فعلن)).
⁹ تعذر معرفة ما كتب في هذا الحيز الذي يقدر بتفعيلتين: ((فاعلن مستفعلن)). فيفترض أن البيت كله هكذا: ((كذا ذراع معاذ [حينما نرفت] * عليه في [رّجه الدّامي] بفيض دم
¹⁰ لعله يقصد بمعاذ هنا؛ سعد بن معاذ الأنصاري؛ كبير الأوس؛ الذي أصيب في أكل ذراعه؛ فأمر الرسول بنقله إلى مسجده ليعالج جرحه بنفسه.
¹¹ هو عمرو بن معاذ الذي قطعت رجله؛ فشفأها رسول الله بأن تغل عليها. ففي حديث جاء فيه: أن ((سؤل الله صلّى الله عليه وسلم تَغَلَّ في رجل عمر بن معاذ حين قطعت رجله؛ فبرأ)).

وأشبع الجيش من صاع وأرغده
ماء الأنامل يجري جَرِيَّ ملتئم
حتى روى وملا بالماء أوعية
ذوي العشيرة من عدن ومن خدم
وفي تبوك دعا للعين فانفجرت
وبعد فضّ شرك فاض فيض هم
كذا السحاب دعا بالماء فانسكبت
ووبلها حف جيش العسرة العزم
وأطبق القدم اليمنى على ييس
في الأرض فانفجرت عينٌ بذى القدم¹
كذا ارتوى وحسين جدنا حسن
من زين مقولَه الشافي من السقم

¹ في الأصل: ((عين بت القم)). والمقصود هو: ((بتلك القم))؛ فحذف الكاف؛ لاعتقاده أنها ضرورة شعرية؛ بينما كان عليه تجنب ذلك؛ بتعويضها بما يتوافق مع المعنى والوزن. كما ورد أعلاه مثلا.

وضرع شاة [جدودة]¹ وقد ييست
 أدّرّها لبنا مسحاً على الأدم²
 كذا جعيل³ [تراخي] تحته فرس
 فزك⁴ للمصطفى فيها فلم يقم
 وأوقدته نشاطاً في مسابقتها
 فما استطاع قياد الراس باللجم⁵
 وفي قتال حنين [قل] أيا عجا⁶
 إذ ظل مرتجلاً⁷ في الموقف المهزم

¹ وضعنا كلمة [جدودة] بدلا من كلمة في ذلك الحيز؛ غير مفهومة في الشطر. ويقال للشاة قليلة الدّر للين: ((جدودة)).

² ثمة روايات عديدة؛ تفيد بمسح الرسول عليه السلام على ضرع شاة أو معزة؛ فتدر اللبن ببركته. وهذه روايه منها: ((عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: كنت أرى غنماً لعقبة ابن أبي معيط، فمر بي رسول الله وقال لي: "يا غلام، هل من لبن؟" فقلت: نعم، ولكني مؤتمن، قال: "فهل من شاة حائل لم ينز عليها الفحل؟" قال: فأتيته بشاة حائل فمسح ضرعها فنزل لبن، فحلبه في إناء وشرب، وسقى أبا بكر ثم قال للضرع: "أقلص" فقلص قال: ثم أتيت به بعد فقلت: يا رسول الله علمني من هذا القول، قال: فمسح رأسي وقال: "يرحمك الله فإنك علم معلم (هذا الحديث أخرجه احمد وابن سعد في الطبقات).

³ هو جعيل الأشجعي رضي الله عنه.

⁴ زكّ زكّا هزول، أو مرّ يقارب خطوه ضعفاً.

⁵ أوردت المصادر خبر جعيل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وجاء فيها: ((عن جعيل الأشجعي رضي الله عنه قال: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته، وأنا على فرس لي عجفاء ضعيفة، قال: فكنت في أخريات الناس، فلحقتني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: سر يا صاحب الفرس، فقلت: يا رسول الله، عجفاء ضعيفة، قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مخفقة معه فضربها بها وقال: اللهم بارك له، قال: فلقد رأيتني أمسك برأسها أن تقدم الناس، ولقد بعث من بطنها باثني عشر ألفاً. رواه البخاري في التاريخ، والنسائي في السنن الكبرى، والبيهقي في الدلائل.

⁶ هذا الشطر مختل الوزن؛ إذ ينقص التفعيلة الثالثة سبب خفيف: (0/). وعليه فقد أضفنا كلمة ((قل))؛ للتصويب، هكذا.

[وشتت الكفر طراً دونما مددا¹
وعاد بالنصر للأجناد والحشم
ناهيك من بطل لله نصرته
ودعوة الحق دعواه لمغتتم
كذا عسيب² يحل في الوغي بطلا
أعطى فعاد حسا في يديه سم³
والأرض أجمعها للمصطفى رويت⁴
وكم له طويت رقبا به وكم⁵
وملك أمته لما رأوه بها
في طرفة العين من آيات ذي عظم
كذاك أعطاه رب العرش مكرمة
على مسيرة شهر نصر رعبهم

¹ ورد هذا الصدر في الأصل هكذا: ((وبعد الكفر فرداً دون ما عدّه))؛ وهو غير مفهوم، ومختل الوزن، وعليه فقد وضعنا شطراً بديلاً؛ جاء أعلاه بين حاصرتين.
² عسيب؛ جمعها؛ أعسبة؛ منبت الشَّعْر، وعظم الذنب، ريش القدم، وقصيب من النخل بدون أوراق، وشق في الجبل؛ وثمة جبل أضحى يدعى بذلك؛ وبه دفن الشاعر إمروء القيس، وثمة صحابي يدعى أبا عسيب؛ ومولى الرسول صلى الله عليه وسلم.
³ هكذا، وهذا الشطر مضطرب المعنى ومختل الوزن؛ إذ ينقصه سبب خفيف؛ (0/)؛ في بداية التفعيلة الثالثة.
⁴ استسقى رسول الله؛ فاستجاب له الله؛ ((انه لما شكأ إليه شكأ قحوط المطر - أي حبسه وانقطاعه وهو فوق المنبر في خطبة الجمعة - فرفع يديه إلى الله تعالى ودعا - وما في السماء قطعة من السحاب - فطلعت سحابة حتى توسطت السماء فاتسعت فأمرت فقال: اللهم حوالينا ولا علينا؛ فاقلعت وانقطعت، متفق عليه.
⁵ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: ((ما رأيت أحدا أسرع في مشيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كأنما الأرض تطوى له، إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث)). أخرجه أحمد والترمذي وابن سعد وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند.

والنخل من يده لما بها غرست
من عامها أطعمت سلمانها السلم¹
43و/وافتك من أسره سلمان إذ طعمت
بجبر منقذه من عيه الظلم
تمام عينه والأقدار تحفظه
[بقا وله² ساهر يقضان لم ينم
وكان يبصر من خلف على بعد
كما يرى بسنا عينيه من أمم
وكان يسمع تسبيح الطعام على
عهد الرسول لدى كفيه والأدم
كذا الحصاة رآها معشر حضروا
تسبح الله في كفيه لا بضم
والوحي أعظم إعجاز به اتضحت
شمس الهدى لذوي الأفهام والهمم

¹ جاء في خبر سلمان الفارسي رضي الله عنه؛ أن رسول الله أعانة في غرس نخل؛ بغرض عتق نفسه بشراء حريته؛ مقابل القيام بغرس 300 نخلة لسيده، فقال: ((وكننا نحمل إليه [أي رسول الله] الوَدِيَّ [صغار فسيل النخل]؛ ويضعه بيده ويسوى عليها فو الذي بعته بالحق ما ماتت منها ودية واحدة)).
² كتب في الأصل: ((وله)). ويبدو أن الناسخ بتر الكلمة؛ فحذف منها حرفين بقدر سبب ثقيل (//)؛ ولم يترك سوى الجزء الأخير من التفعيلة: (0//0). فأضفنا ما سقط؛ فأضحت الكلمة كما وردت أعلاه.

وكم تُعَدُّ وكم تُحْصَى مآثر من
لولاه لم تكن الأكوان في القدم
وأخبر الرُّسُل طراً عنه واتفقوا
على رسالته في أشرف الأمم
وكلهم سأل الرحمن يدخله
في أمة المصطفى سبقاً لفضلهم
لما رأو لرسول الله من شرف
عند الإله وما يلقاه من كرم
وأنه الأول الهادي لرحمته
والحاشر العاقب الماحي ردي الرمم
وأنه الأول العاف لرحمته¹

.....
من نوره خلق العرش العظيم كما
من نوره نشأة المحفوظ والقلم
والشمس منه ومنه الشهب مشرقة
ومنه يسطع نور الصدق في الكلم

¹ تكرر صدر البيت هذا؛ دون العجز؛ مع أنه مختل الوزن؛ وغير سليم كالصدر الذي سبقه؛ بسبب تغيير كلمة ((الهادي)).

وكل نور فمن نور النبي بدا
ومنه يشرق نور الحق والحكم
تكوّن المصطفى نوراً وأخبأه
مولاه في خرز عليين في علم¹
حتى استتم له ما شاء من أجل
وصار ينقل من صلب إلى رحم
في الطاهرين من السادات في عرب
في الأنبياء وفي الأشراف غيرهم
إلى الأكارم من عدنانٍ إذ كسيت
وجوههم غرراً من نوره الشيم
أضحى بها وجه عبد الله مبتسماً
كزهرة للزهرة الزهراء في شمم

¹ لعل الشاعر يشير إلى الرواية التالية: ((ويَ عن كعب الأحبار رضي الله عنه؛ قال: أول ما خلق الله جوهرة، وخلق من الجوهرة ظلمة، وخلق من الظلمة نوراً، وخلق من النور نور محمد صلى الله عليه وسلم؛ قيل أن يخلق الخلق بتسعة آلاف عام؛ فكان ذلك النور يطوف بقدره الله تعالى؛ فإذا انتهى إلى الظلمة؛ خرّ ساجداً لله تعالى؛ ويقعد في السجدة الواحدة ألف عام، ويقول في سجوده "سبحان الذي لم يزل، سبحان الجواد الذي لا يبخل، سبحان الحليم الذي لا يعجل؛ ثم يرفع رأسه من السجود، فلما أراد الله تبارك وتعالى أن يخلق الأشياء خلقها من نور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ ماء عذب؛ وجعل فيه البركة؛ ثم قسمه عشرة أجزاء؛ فخلق من الجزء الأول العرش، وأمره أن يستقر على الماء. وخلق من الجزء الثاني القلم؛ وأمره أن يطوف بالعرش ألف عام... وخلق من الجزء الثالث اللوح المحفوظ، والجزء الرابع الشمس، ومن الجزء الخامس القمر، وخلق من الجزء السادس الجنة، وخلق من الجزء السابع النار، وخلق من الجزء الثامن الملائكة، وخلق من الجزء التاسع الكرسي، وخلق من الجزء العاشر النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وخلق الأنوار كلها من نور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم...)).

فاستودع السرّ بطن الأمّ آمنة
 فلاح في وجهها كالبدر في تمم
 جاءت به ليلة اثنا عشرَ واضعه
 بوسط شهر ربيع الأول البسم
 رعيًا له ولبشرى أم ينصرها
 نشر الربيع [شذا] الأزهار في الكمم¹
 /43ظ/ إيوان فارس كسرى ارتج منكسرا²
 [إيوائه شامخ في عزا من قدم]³
 ونار فارس من نور الهدى خمدت
 ولم تدع للعدى [إ] سما على علم⁴
 [وجاءه قدر الأقدار مكتسحا]⁵
 دين الظلال حليف الذل والهظم
 والدين سل⁶ حاسم للنصر في صعد
 مستأصل الظفر يقفوا إثره الهرم

¹ ورد - في الأصل - هذا الشطر بوزن مختل. ويظهر ذلك في التفعيلة الثانية؛ فجاء هكذا: ((نشر الربيع نشرًا الأزهار في الكمم))؛ وعليه فقد صوبناه كما ورد أعلاه.
² جاء هذا الشطر في الأصل هكذا: ((فللعجارف كسرى ارتج منكسرا))؛ فأصلحناه كما ورد أعلاه.
³ وهذا الشطر وضعناه؛ بدل الشطر الأصلي؛ الذي نسخ بشكل تعذر فهمه؛ وجاء كما يلي: ((إيوان شامخ ملك حسالم بهم)).
⁴ أضفنا ألف قطع لكي يستقيم الوزن.
⁵ هذا الشطر غير مفهوم في الأصل؛ وقد نسخ هكذا: ((وجاءت في سرد تحسيسا)). ولكي نسهل على القارئ متابعة الفكرة؛ وضعنا الشطر الوارد أعلاه.
⁶ هكذا.

وباتت الأرض بالأزهار ضاحكة
تحتال ترفل في أثوابها الرقم¹
والأفق يسطع أنواراً كما اختلفت²
حور الجنان ذوات الخلد والنعم
وكل ما ملك قد جاء مستلماً
وجه النبي، ووجد الوحش والرخم³
والطير تدعوا بلفظ العرب أمته
دع الحبيب لنا وأتبه واستلم
تقيه عين حسود إن تراه وما
تحشى عليه بنار الكفر من ضرم
ولن يليه أوان الوضع من أحد
سوى الكرام من الأملاك كلهم
فمن حفيظ ومن آت بملبسه
ومن معد بريق الفم⁴ للحكم
ومن مناوّل حرز الله يَطْلُوهُ⁵
بدعي النميمة في لوح بلا ختم

¹ أي: المخططة والمرقومة.

² هكذا؛ ولعلها: انتقلت، أي تألفت وسطعت.

³ هكذا، ولعلها: الرغم.

⁴ التفعيلة الثالثة تقتضي إضافة حرف ساكن زائد؛ فلزم تشديد ميم (الفم).

⁵ هكذا، لعلها: ينلوه.

ومن مُطَهَّرٍ مَخْفَاةِ الضَّغَائِنِ مِنْ
طِي الْفَوَادِ بِمَاءِ الْكُوْثِرِ الرَّكْمِ
وَمِنْ مُنْزَلِ أَعْلَامٍ لِيُنْشِرَهَا
بِالشَّرْقِ [صَارَتْ بـ] مِنْجَاةً وَبِالْحَرَمِ¹
وَمِنْ مَبْشَرِ أَقْطَارِ الْبِلَادِ وَمِنْ
بِرْغَمِ أَنْفِ الْعَدُوِّ الْحَاسِدِ السَّدْمِ²
وَكَمْ رَأَتْهُ أَوَانَ الْوَضْعِ آمِنَةً
مِنْ الْغَرَائِبِ مَا لَمْ يَحْضُ ذُو قَلَمٍ
كَسَجْدَةِ الْبَيْتِ لِلرَّحْمَنِ خَائِفَةً
وَشَكْوَةِ بِلْسَانِ غَيْرِ مَا عَجْمٍ
وَرَجِ غَلْظَةِ أَصْلَادِ الصَّلِيبِ وَمَا
[تَلَا] تَسَاقُطِ فَوْقِ الْأَرْضِ مِنْ صَنْمِ³
أَكْرَمِ بِمَوْلِدِ سَادٍ لَمْ يَدْعُ هَتْفًا⁴
لِلشَّرْكِ بَعْدَ بَدْرِ الْمَرْنَقِ الْعَمَمِ⁵

¹ هذا الشطر - في الأصل - تنقصه سبب خفيف في التفعيلة الأولى (0/) + وتد مفروق: (/0/); في التفعيلة الثانية؛ لذا فقد أضفنا ما ورد ضمن الحاصرتين.
² هذا البيت مختل الوزن، وفي صدره زيادة كلمة هي: ((شاء))؛ فتم حذفها. أما عجزه؛ فاختل أيضاً؛ بسقوط كلمة منه؛ فأضفنا كلمة: ((العدو))؛ للتصويب.
³ هذا الشطر مختل الوزن؛ وينقصه في التفعيلة الأولى وتد مجموع (0//). فأضفنا كلمة ((تلا))؛ لتصويب الوزن.
⁴ هتفاً صوتاً عالياً أو مدحاً.
⁵ هكذا.

باللين بالرفق بالتمهيد عن خلق
موصوفة الخلق في الفرقان بالعظم
يودي فيبصر لا غيظ فيكظمه
ولن يقيم حدود الله في سدم
يحاول الأمر في قوم تلا حجهم
في الحق لجة بحر للطلال طم
فلم يزل بغيوب الوحي يخبرهم
صدقاً وينبئ عن عاد وعن أرم
44/ووعن زبور وآيات به نزلت
وعن تهكم توراة بدينهم¹
وأى محكم إنجيل بما احتكمت
[هلا ترى ذكر إعجاز لقولهم]¹
فمن حسود رمى بالسحر ساعته
ومن عزول رمى بالشعر والعدم
وقائل سفها أضغاث ذي سمة
فرد ذلك وصى جاء بالعصم

¹ هذا الشطر مضطرب المعنى، ومختل الوزن؛ وورد في الأصل هكذا: ((فيهم يخبر إعجازا لقولهم))؛ فصوب كما جاء أعلاه.

حاشاه إن حسدا جهلا فموبقهم
وإن تمرد كفر ويل ويلهم

إلى أن قال رحمه الله ورضى عنه ونفعه بنيته:

[أتلو مديحي وشكري]¹ إن ظفرت بما
أرجوا من الملك العدل الرضى العلم
قطب المكارم مأوى كل ذي طلب
سمك² السيادة حامى الحل والحرم
إبن الكرام أبو حموا الشهير سنئ
موسى بن يوسف برأ بحق؛ ذو الكرم³
[هذا المليك الذي جاءت بدعوته]⁴
مسطورة ببراھين على القدم
هذا الإمام الذي شدوا به أزرأ
شادوا بها علما ناهيك من علم

¹ كتب في هذا الحيز - في الأصل - العبارة التالية: ((من لا تهاني الا)) ونظراً لغموضها؛ فقد وضعنا عبارة أخرى بين حاصرتين لتصويب الفكرة.

² سمك سمكاً الشيء: رفعه. يقال ((سمك الله السماء))؛ أي: رفعها.

³ هكذا.

⁴ هذا الشطر مختل الوزن؛ وجاء في الأصل هكذا: ((هذا المليك الذي جاء وبدعوته)). وعليه فقد صوب كما ورد أعلاه.

هذا الإمام الذي خفت به شهب
كأنه البدر فيها انساب عن دم¹
الوارث المجد² عن آباء له سلفوا
شادوا له منه ركنا غير منهدم
فلم يزل ساميا يعلي أعاليه
بجدّ حزمٍ ورأيٍ أيّ محتكم
وراحتين متى غاب الغمام همت
بسكب فيض عوادي سيله العرم
قالت يعلق باب الحرب من كسل
ولا الهجيرة نخلها من البهم³
يلقى الصوادم في راكات عسكره
ما بين ذي فلل منها ومنحطم
كذا الدوامل في أعقاب منهزم
من العداة وفي لبات مقتحم
كأنما الموت في أرجائها كمن
[ضمن المفاصل والأعضاء في الأمم⁴

¹ الدم والدمام: كل شيء طلي به.

² اختلت التفعيلة الثانية بسقوط حرف ساكن في آخرها.

³ هكذا.

⁴ هذا الشطر غير مفهوم؛ ورسم هكذا: ((المصرق الغصب في أعضاء مندم)). وعليه فقد وضعنا الشطر الوارد أعلاه بدلا منه.

يسطوا اقتدار فيثنى الجود محتشما¹
فحسبك الدهر من ضر^(ا)² ومن نعم
[مازال مذ شب في أيام شيبته]³
يملا بفطنته الأحكام من حكم
ناهيك من ملك أشهى مقاصده
إبرامه الحِكم بالتند(زي)ل عن حزم⁴
.....⁵

حاشى وكلا ولا تعريض متهم
/44ظ/رحب المحاسن طلق الوجه منبسط
الأخلاق فاق العلى والدهر في وهم
يا من تسربل بالعلياء متزرا
ثوب العفاف وأعفى مربع التهم
لا زلت تقمع من عاداك متزرا
بعاجل الظفر مستأصل النعم⁶

¹ هكذا.

² هذه الألف زائدة؛ وكسرت الشطر.

³ هذا الشطر يكتفه الغموض، ومختل الوزن؛ فجاء هكذا: ((مازال مذ شب في ريق شيبته))؛ أو ((شيبته))، لذا فقد عوضناه بشطر؛ كما ورد أعلاه.

⁴ هذا الشطر مختل الوزن؛ بزيادة سبب خفيف: (/0) في التفعيلة الثالثة؛ ويقابله حرفاً: ((الزاي والياء)) في كلمة ((التنزيل)).

⁵ وهذا الشطر أيضاً غامض المعنى ومختل الوزن؛ وجاء هكذا: ((لا ربيع لأصل لا إعراض يمنعه)).

⁶ سقط حرف ساكن في التفعيلة الثانية.

ودمت [في عزاً ملك ما له هدم¹
وواحد (أ)² كل ما تهوى بلا عدم

وللطالب أبي العباس أحمد بن شعبان غفر الله له عنه³ :
حاز المكانة في الشهور ربيعٌ وتأسست للدين فيه ربوعٌ
فليلتين به وعشر قد خلت منه لأحمد مولد وطلوعٌ
في ليلة الإثنين حسبك ليلة فحلوها فخر الرشاد صديق⁴
جاءت بإكرم منتقى من هاشم وهُمُ الذين لبيتهم ترفيعٌ
كبر المزايا ما الإله أناله وله المدى في المعجزات وسيعٌ
سطعت كما ومضت بوارق أو بدا للشمس في زاد النهار منوعٌ
كإعادة الشمس التي عن أمره عادت وأنى بالضحي سيطيعٌ
وسعى له نخل وعاد مكانه فكأنه ما كان منه فروع⁵
وينبَع عذب الماء بين بنانه عمَّ الجيوش من المياه نبوعٌ

¹ هذا الشطر مختل؛ والعلة في التفعيلة الثانية؛ لذا فقد أسقطنا كلمة: ((خالد))؛ سبب العلة؛ ووضعنا بدلاً منها ما ورد بين حاصرتين.

² هذه الألف زائدة، فأسقطناها حفاظاً على الوزن والمعنى.

³ هذه القصيدة نظمها الشاعر في بحر الكامل؛ بقافية مقيدة؛ بتفعيلته الأصلية؛ في كل شطر: (متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن)؛ ويجوز فيها: (مستفعلن). كما يجوز في الضرب (مفعِلن، وفِعْلان).

⁴ الصديق: الصحيح، وصدع الأمر: كشفه وبينه، وصدع بالحق: تكلم به جهاراً.

⁵ فرع فروعاً الأرض: جول فيها.

وبتفله¹ عاد الأجاج سلاسل² فانساغ منه مورد وشروع
 وله ذراع الشاة كلم معلما بالسّم وهو لأكله موضوع
 وكمد(د)³ يمناه الكريمة سهمه⁴ فاض الزلال وطاب فيه كروع
 وكردّه في الحين عين قتادة فاحتل منها في المكان رجوع
 وبلمسه شاة تمنع رسلها عادت ومنها في الشيعا ضريع
 [وتقوتوا لبنابها جمعا سقا]⁵ فكفى الجميع [ملاءة]⁶ وقنوع
 ودعاؤه أسمى المواطن فارتقى [وهدى بهدي للسماء رضيع]⁷
 ومن الذي كفّ الإله عذابه [ولواضع من منهم المرفوع]⁸
 ومن الذي حاز الفضائل جملة ومن الذي هو في العباد شفيع
 45/و/إلا محمد الذي فاق الورى [و]⁹ بحقه للعالمين نجوع

¹ تفل تفلًا: بصق.

² السلسل والسلسال والسلاسل: الماء العذب.

³ هذه الدال زائدة.

⁴ هكذا.

⁵ هذا الشطر مختل الوزن ومضطرب المعنى؛ فجاء هكذا: (ويقوت مرثمُ شيعا كثرة))؛ ولتسهيل ولتسهيل الفهم وضعنا شطرا بدلا منه؛ كما ورد أعلاه.

⁶ في الأصل: ((تملوا))؛ وهذا يخل بالوزن. فوجب التصويب؛ بوضع الكلمة الواردة بين حاصرتين.

⁷ هذا الشطر غامض في معناه، رديء النسخ، مختل الوزن؛ ونسخ؛ هكذا: ((وهد بعنان السماء وريع)). وعليه؛ فقد عوضناه بما ورد أعلاه؛ بين حاصرتين؛ لكي يوضح سياق البيت.

⁸ جاء هذا الشطر في الأصل هكذا: ((عنه ولواضع منهم المرفوع))؛ فاختل وزنه؛ حيث زادت كلمة: ((عنه)) في بدايته؛ كما وضعت في غير محلها. كما سقط سيب خفيف (/0)؛ في بداية

التفعيلة الثانية. وعليه فقد وضعنا شطرا بدلا منه - بين حاصرتين - أعلاه.

⁹ أضفنا الواو؛ من أجل تصويب الوزن؛ لأن التفعيلة الأولى في الأصل ينقصها حرف متحرك.

صلى الإله عليه ما بحر طما [وبدت بروق¹ في السماء] سطوع²
وأدام مولانا أبو³ حمو الذي بقيام مولده لديه ولوع
لله فيه قيامه ودعاؤه وتلاوة وتبتل وخضوع
 وإقامة لشعائر وإنابة فرضى الإله مكانها وخشوع
كفّ العداة بسعده وبسيفه ففرا وفرق منهم المجموع
أعداؤه شرب وشرب [في إفكهم]⁴ سمّ تفجره الحروف نقيع
يختار في النظر الجميل الشهادة فله علينا منة وصنيع
ويبيد كل معاند بحروبه فيشيب منها الطفل وهو رضيع
فمن الجيوش على العداة حماسة وسنانة وجيوشه وهلوع
[لولا أبو حمو تلمسان انمحت في ظل عدوان بلاه فضيع⁵
لكنه حفظ الأقصي فاعتري⁶ أملا بمن المرء وهو بديع
بالحزم فاق على الملوك تفاضلا والجيوش فيه من الأسود جموع
فمن اقتفى طرف الرشاد كمثلته فله القصي يطيع وهو منيع

¹ البرق جمعه: بروق؛ ومضة نور تلمع في غيم السماء.

² جاء هذا الشطر - في الأصل - محل الوزن هكذا: ((ويدا البرق في السماء سطوع)).، وعليه فقد عوضناه بما ورد أعلاه بين حاصرتين.

³ هكذا.

⁴ الكلمة هنا غير واضحة في الأصل؛ فعوضت بما ورد بين حاصرتين أعلاه.

⁵ هذا البيت بالكامل غير مفهوم؛ بسبب النسخ الرديء؛ إذ كتب هكذا:

((لولا بوا حبه تلمسان خلت سلبا * ولم يكن بالديار كيغ)).، وبذلك يظهر الخلل في المعنى والوزن معاً. وعليه فقد نظمنا بيتاً يعوضه؛ وورد أعلاه بين حاصرتين.

⁶ إعتري إعتراء فلاناً بتشبيهه طالباً معروفاً.

في وصفه عظم يقص مسهم¹ ولو انتقاه إلى الزمان بديع
دامت له نجم العداة سواجدا وعلى طلاهم للسيوف ركوع
ودماؤهم أفواها نجاجة بدوي الضلالة والرشاد مريع
ثم السلام عليك ما هبت صبا وأتى ربيع أول وريع

- وللفقيه أبي محمد عبد المؤمن بن موسى المديوني عفا الله عنه²:

جاءت سعاد بوصل بعدما ذهب
عَصَى الشباب ولاح الشيب والتهبا
واحدوب الظهر من سقم ومن كبر
واعوج عصبي الذي قد كان منتصبا
وصرت أمشي الهونيا بعدما ضعفت
منى القوى واسترد الدهر ما وهبا
لا أستطيع نهوضا قد وهى بدني
تمكن السقم³ من حسمي فصار هبا

¹ هكذا.

² هذه القصيدة البائية العذبة السلسة؛ نظمها الشاعر في البحر البسيط؛ بتفعيلته الأصلية؛ في كل شطر: (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن)؛ ويجوز مقابل: (مستفعلن = مفاعلن) ومقابل (عِلْن = قَعْلْن). كما يجوز في العروض (فَعْلُنْ)، وفي الضرب (فَعْلُنْ فَعْلُنْ).
³ كتب في الأصل: ((القسم))؛ وهو تحريف.

45ظ/تظن أني على العهد القديم ولم
تعلمُ بأنني هجرت اللهو والطربا
وجائبتُ نفسيَ العقلَ الذميمة فلا
أرى نديما إلى من قد هفا وصبا
ولا أنا ثم الذي يرضى بمنقصة
ولا أصيخ لقول يحدث اللعبا
إذا تذكرت أيامي التي سلفت
تبادر الدمع من عينيّ منسكبا
[أفنيته عاصيا لله مجترئا
لم أرتدع صلفاً بالإثم والطربا]¹
كم بت فيها على العصيان معتكفا
مضيعا من حقوق الله ما وجبا
وصدني عن سبيل الخير دون خفا
قرين سوء إذا غالبته غلبا
كيف اصطباري إذا ما النارجيء بها
والخلق في قنط والرب قد غضبا

¹ هذا البيت بكامله مختل الوزن، فحدثت زيادة في صدره؛ ممثلة بسبب خفيف (0/)؛ بين التفعيلتين؛ الثانية والثالثة، أما عجز البيت فقد سقط من تفعيلته الأولى وتد مجموع (0//)، بالإضافة إلى زيادة سبب خفيف بين التفعيلتين؛ الثالثة والرابعة، فجاء البيت هكذا: ((أفنيته في معاصي الإله مجترنا * ولم أخفشاهداً على من تعب)). وللتصويب نظمنا بيتاً بدلا منه؛ وجاء كما ورد أعلاه بين حاصرتين.

وقيل يا أيها العاصي نسيت ولم
ينس¹ الرفيقان ما خاطا وما كتبنا
إقرأ كتابك وانظر ما جنيت به
اليوم أجزى الورى كلا بما كسبا
ما حيلتي ما جوابي عند ذاك وما
يكون عذري ومني العقل قد سلبا
لكنني برسول الله معتصم
من جاء بالنور والبرهان منتخبا
[بدر تطلع في السماء حلّ فلا
غَيْمٌ يُغَيِّيه، فصار محتجبا]²
أسنى النبيين، أعلاهم وأرفعهم
فنوره ينجل الأنوار والشهبا
خير البرية من عرب ومن عجم
أوفاهم ذمة، أزكاهم حسبا
من أجله كَوَّنَ الأكوان خالقنا
كما أتى في صحيح النقل مكتبا

¹ في الأصل: ((تنسى))؛ وهو خطأ نحوي.
² هذا البيت مختل الوزن، ومضطرب الصياغة؛ جاء في الأصل هكذا:
((بدر تطلع في أفق السما فلا غيم * يواريه أو تقص فيحتجبا)). وحرصاً منا على سياق المعنى؛
وضعنا بيتاً بدلاً منه؛ ورد أعلاه؛ بين حاصرتين.

فأظهر الحق إذ فرت معالمه
وساد بنيانه من بعد ما ذهب
وقام يدعوا الورى لله مجتهدا
من كان منهم على نأى ومن قريباً
فمن أجاب نجى من حر نار لظى
وقد كفاه الإله الأمر والتعبا
ومن عصاه فمشواه الجحيم غدا¹
يُسْتَقَى حميما فما يُرَوَى إذا شربا
وأبعد الناس من جهل أضلهم
من بعد ما اعتقدوا الأصنام والنصبا
أسرى به الله في الليل البهيم إلى
السبع الطباق فحاز الفخر واقتربا
صلى بموسى وعيسى والخليل بها
وعاين العرش والأستار والحجبا
46/و/أدناه، كلمه من غير واسطة
ثم اجتباه وأعطاه الذي طلبا
أتى ربيع به أهلا بواحد
ومرحباً نعم ما أهدى وما وهبا

¹ في الأصل: ((غدى))؛ بالألف المقصورة.

محمد خير من تُهدَى له [درراً]¹
من مشى فوق ظهر الأرض أو ركبا
فارتج إيوان كسرى عند مولده
وما [ء] ساوة² حقاً عنده قصباً
ونار فارس أيضاً عنده خمدت
كأنها ما حوت حرا ولا لمها
والجن ضلت تجوب الأرض ذاهبة
إلى أقاصي النواحي أمعنت هرباً
وأمه لم تجد في الوضع من ألم
به ولا كابدت ضراً ولا وصبا
وخص بالمعجزات الباهرات فما
[سواه خص بسرها ولا قرباً]³
أروى الجيوش وقد كانوا على ظمياً
من حينهم ملؤا الأشنان والقرباً⁴

¹ هذا الشطر مختل؛ إذ سقط منه ما يماثل التفعيلة الرابعة؛ وعليه فقد أضفنا كلمة: ((درراً))؛ للتصويب.
² كتب في الأصل: ((وما ساوة))؛ وهو تحريف؛ يطمس المعنى، ويخل بالوزن، والصحيح هو: ((ماء ساوة))؛ بالهمزة في آخر كلمة ((ماء))، والمقصود بذلك؛ بحيرة ساوة التي جفّ ماؤها يوم مولد الرسول صلى الله عليه وسلم.
³ جاء هذا الشطر - في الأصل - مضطرب المعنى، مختل الوزن؛ هكذا: ((سواه أعطيها نفعا ولا غرباً))، فقمنا بتصويب نظمه، ووضعنا بين حاصرتين أعلاه.
⁴ القربة جمعها قرب وقربات؛ وعاء من جلد المعز أو الضأن؛ يستعمل لحفظ الماء أو اللبن، أما الشنّة؛ فجمعها أشنان؛ وهي القربة الصغيرة.

تفجر الماء من كف مباركة
سحا ووبلا وهطالا ومنسكبا
وأشبع القوم من ندر الطعام إذا
من بعد ما كبدا¹ الأقلال والسغبا
وكلمته ذراع السمّ معلنة
وأعلمته بما فيه ليجهدا²
ثم الغمامة [إن مشى مشت]³ معه
أو لازم الأرض أرخت فوقه طنبا⁴
والبدر شُقَّ له نصفين فافترقا
والناس قد شاهدوا من أمره عجا
فمعجزات رسول الله ليس له⁵
حصر لمن رمها أو عدَّ أو كتبها
ومن يطلق كيل ماء البحر مجتهدا⁶
أو الغمام إذا ما انهلَّ وانسكبا

¹ في الأصل: ((أكابدوا))؛ بالألف في مطلع الكلمة؛ وهذا تحريف يؤدي إلى خلل في الوزن واضطراب في المعنى.
² أصيبت قافية هذا البيت بعلّة الإكفاء؛ باختلاف رويها (د) عما سبقه؛ وإن كان اللفظ متقارباً.
³ كتب في الأصل: ((إن سار تسير))؛ وهذا يخل بالوزن؛ فوضعنا بدلاً منها - بين حاصرتين -
عبارة: ((إن مشى مشت))؛ لتقويم الوزن، والحفاظ على المعنى نفسه.
⁴ يقال: ((تَبَّ الخَيْمَةَ))؛ شدها بالأطناب، والأطناب مفردها: طَبَّة؛ وهو حبل طويل؛ يشد به سرادق البيت.
⁵ ربما تكون: ((لها))؛ وتغيرت في النسخ.
⁶ ورد هذا الشطر في الأصل مختلا بسبب كلمة: ((الأرض))؛ التي زادت هكذا: ((ومن يطلق كيل ماء (الأرض) البحر مجتهدا)). وعليه فقد حذف هذه الكلمة أعلاه؛ من أجل التصويب.

يا سيد الرُّسُل إن العبد في قنط
مما جنى من قبيح الفعل وارتكبا
وما عسى في أمور كلها خطل
وما تعدَّى وما أكْدَى¹ وما انتهبها
أرجوا بمدحك يا سؤلي ويا أملي
فوزاً لجَنَّاتِ عدنٍ لا أرى نصبا
فأنت أفضل مأمول ومدخر
وشافع لمسيء جاء مكتتبا²
صلى عليك إله العرش خالقنا
ما لاح نجم بأفق الشرق أو غربا
وانصر بجودك يا من لا شبيه له
خليفة ساسنا بالعدل محتسبا
فرع نشأ³ من بني زيان قد كرمت
آبأؤه الخلفاء السادة النجبا
46ظ/ خليفة لا يسامى في أرومته
وهل يسامى السما⁴ من بالثرا رسبا

¹ أكْدَى إكداء: بخل في العطاء
² في الأصل: ((مكتتبا))؛ وهو تحريف يتسبب في اختلال الوزن.
³ أي نشأ؛ وللضرورة خفت الهمزة.
⁴ أسقطت همزة ((السما)) للضرورة.

خليفة قهر الأملاك صارمه
كل له خاضع من بأسه رهبا
أسنى ملوك الدنيا قدرا ومنزلة
وخيرهم نسبا إذ¹ ما هو انتسبا
كهف الضعيف ومأوى المتعبين ومن
أودى به الدهر في أحكامه ونبا
خليفة كفه نار لها ألم²
لمن عصاه وبجر الجود إن وهبا
فاعجب لكف حوتّ ضدين فامتزجا
هل شاهدت مقلتك مثلها عجا
موسى بن يوسف مولانا وسيدنا
ليث الحروب إذا عزم الجبان أبا
من قام بالمولد الأسنى وشرفه
كيما ينال به ذاك الذي رغبا
واعمل الجهد في مرضات خالقه
مبادراً لفعال الخير محتسبا

¹ في الأصل: ((إن)).

² هذا الشطر مختل؛ بسبب التفعيلتين: الثالثة والرابعة؛ التي تمثلهما عبارة: ((ما حجة)). وعليه فقد وضعنا أعلاه - بين حاصرتين - بدلا منها العبارة التالية: ((لها ألم)). بغرض التصويب.

سمّى له ربه ما هو¹ آمله
مبلغاً مقصداً [يسموبه رتبا]²
فالله يقيه في أمن وعافية
ما هزت الريح في إرسالها القُصبا

فما أقام إلا بأطاران، وفاطيس؛ لأنه وسيط للقبائل؛ وموضع
الإذعان لهم والتأنيس. فاشتد عضد الثعالبه ولواته؛ وأمنوا من مكر ابن
خلوف وآفاته. فلحق به أبو³ معدي الثعالبه وإبراهيم بن صالح
اللواتي؛ يطلبان النصره على ابن خلوف؛ ويستغيثان به استغاثة الملهوف.
فكان من شأن ابن خلوف ما كان؛ على المولى أبي حمو السلطان.⁴

¹ تشدد واو ((هو))؛ للضرورة؛ حفاظاً على سلامة الوزن.
² انتاب التفعيلتان؛ الثالثة والرابعة خلل؛ وتمثلهما عبارة: ((مقضيأ أرتبا))؛ فانكسر الوزن. لذا فقد
وضعنا عبارة أخرى تجلي المعنى وتصوب خلل الوزن. ووردت أعلاه بين حاصرتين.
³ كلمة: ((أبو)) تكررت هنا. فحذفت الزائدة.
⁴ خرجت هذه الفقرة عن سياق النص؛ لأن مكانها - المنطقي - يكون أثناء الحديث عن وصول أبي
حمو إلى أطران وفاطيس؛ قبل زحفه إلى تنس.

ذكر مقتل

منصور بن خلوف وكيف سبقي كأس التوف¹

هذا ابن خلوف؛ كان قائداً بقسطنطينة. كان له عند أبي عنان منزلة مكينة؛ وولاه² أبو عنان عليها؛ ليضبطها؛ فأضرب بنواحيها، وقبضها، وجنى على أهلها، وعلى البلاد، وأذاقهم بالضرب، والفيء؛ أشد النكاد؛ ولم يراقب الله في أحد من أهلها، ويا ويله منها وتأويلها. دخل فيها على البنات الأبيكار، وهتك أستار المؤمنات والأحرار؛ ولم يزل على ذلك؛ حتى أعادها أبو سالم على سلطانها³، وأخرجه الله لحينه /47و/ من أوطانها. ولما أتاه أبو العباس؛ بأمر مولاه؛ خرج منها كرهاً بغير رضاه. وكان عازماً على أن يفوز بها؛ لكن علم الله طويته، وشر مذهبه؛ فأخرجه منها على رغم أنفه، وأهلكه بسوء فعله، وسخفه. ولو قدّم جميلاً؛ لوجده للقيام. ولكن؛ جنى ثمرة غرسه في المقام. خرج منها خائفاً؛ يترقب يوم الجرائر؛ خشية ما يتعقب. فاتخذ الخفير من رياح؛ فأخرجوه إلى حيث أمن بمن معه؛ وأتركوه. فكان وصوله إلى جبال صنهاجة؛ من جهة المدينة؛ فوجد التهاج، والتشاجر، والفتن؛ كالنار الحمية.

¹ هذا الفصل خصصه صاحب الكتاب؛ لعرض خبر ابن خلوف؛ الذي سبق الحديث عنه في فصل سابق. ويبدو أن الكتاب تعرض للخلط من قبل الناسخ أو غيره.

² في الأصل: ((وله))؛ وهو تحريف.

³ أبو العباس الحفصي.

ووافق ذلك خروج المولى أبى حمو من تلمسان، وقيام حفيد أبى
تاشفين في الأوطان؛ فحشر البرابر وصنهاجة عليه، وتوعدهم
بالمقاسمة؛ في كل ما تناله يده؛ مع طمع البرابر وإرادتهم للفتنة؛
وذلك بما كتب الله عليهم من المحنة.¹

ولما انقضى المولد السعيد، واتصل من ثوابه بما يريد؛ جعل
يترقب ما يصدر عن أبى سالم، وما ينشأ عنه من فتن وتفاهم، وما
يعامل به حفيد المولى أبى تاشفين²؛ إذ جاءه منهزماً. وهل تحتق - لذلك
- بنو مريم؟ وهل تدركها النخوة على فساد البلاد؟ فيجدد³ الحركة⁴
لقتال بني عبد الواد. فلم ير لناره دخاناً⁵، ولا لنصرته سلطاناً؛ بل
عكف على مأكله، ومشربه، ولذاته؛ ولم يكثر بشأن غالبه؛ إلا أنه
رأى - من حسن رأيه - المصالحة، والمداهنة، والموالة للمولى أبى حمو،
والمحاسنة ليهناً بلذاته، وينشرح وقتاً في ذاته. فوجه عيسى بن واح⁶
رسولاً؛ ليبلغ - بذلك - أملاً وسؤالاً؛ فكان أول قادم على المولى أبى
حمو من أبى سالم، وأول متحدث - في الصلح - عنه، وعازم.

¹ هنا انتهى صاحب الكتاب من سياق سيق الحديث فيه؛ قبل فتح تنس. ثم نراه يعود - فيما يلي - إلى
الكلام عما جرى بعد الاحتفال بالمولد النبوي. لذا فمن المفروض أن تأتي الفقرات الموالية بعد
انتهاء قصيدة عبد المؤمن ابن موسى المديوني البانية مباشرة.

² في الأصل: ((حفيد أبى المولى تاشفين))؛ وهو تحريف بين.
³ أبو سالم.

⁴ في الأصل: ((حركة))؛ بدون ألف ولام التعريف.

⁵ في الأصل: ((خان))؛ وهو خطأ.

⁶ لم نعرف على هذا الاسم.

فبينما المولى أبو حمو؛ ينظر ما ينشأ من الحوادث؛ إذ أتى الرسول المذكور؛ أول البواعث؛ فأنزله المولى أبو حمو بدار كرامته، وولاه بما يليق من جميل إقامته. ولما كمل ثلاثة أيام استحضره، وسأله عن إتيانه؛ **47/ظ** فأخبره؛ فقال إن مولاي أبا سالم بعثني إليك؛ وهو يسلم عليك؛ يطلب منك الموالة، والكفّ عما وقع من الشتات. وأنه لم يكن من مراده الحركة على بلادك؛ وإنما كان ذلك من قبل بني مرين؛ حين رأوا ما رأوا؛ من أمر اشتدادك. ثم إن الله حكم لك بالانتصار؛ فكان ما حكمت لك به الأقدار. واعلم أن مولاي أبا سالم؛ ليس له إلا ساعة؛ يقطعها في لهو، وطرب، ومراح، وخلاعة، ولعب؛ وقد أراد أن تكون أيامه أيام سلم، ومهادنة، وموالة، ومحاسنة؛ إلا أنه خاف ما يصدر له من قبيلة بني مرين؛ إذا كانت المصالحة - من قبله - في الحين. وقد وجهني إليك؛ ولا علم لأكثر الأشياخ؛ بما كان. وقد أودعني سراً خلاف العيان؛ وأن مراده؛ أن تصرف له ولدك الأمير أبا تاشفين؛ ليكون ذلك أرجى لبني مرين. فإنك أيها الملك قتلت منهم الأنجاد، ونكلت فيهم المراد. ويقول لك إن وصل ولدك؛ فما ينقلب إلا ظافراً بكل شيء.

فقال له المولى أبو حمو: أما على وجه المحاسنة، وصلاح الإسلام؛ حسبما فعل ذلك من غير ملام؛ وإن كان على جهة الاستعلاء، والمفاخرة؛ فليس إلا المكافحة، والمناكرة؛ والرد لما بدأنا به للأخرة. فقال الرسول: إنما جئتكم بما في غرض مولاي؛ وهذا نعم

الرأي ؛ وليست الرغبة إلا في حقن دماء المسلمين ؛ بين بني عبد الواد،
وبني مرين. فقال له المولى أبو حمو: قد أجبته لك بالإسعاف ؛ فأعمل
على المسير إليه ؛ لعل الله يحمد جمرة الاختلاف. ولما انقضى مجلس
الرسول المذكور؛ أمر له بكسوة سنية، وأعطاه - من الذهب - ما بلغه
الأمنية؛ ثم انصرف الرسول المذكور إلى مولاه. وأخذ المولى أبو حمو
ينظر في شأن الصلح، وما به؛ ثم أخذ في إرسال هدية سنية؛ مع ولده
الأمير أبي تاشفين؛ وصُرفَ إلى أبي سالم؛ سلطان بني مرين. فكان
إتيانه¹ في شهر صفر؛ من العام المذكور. وفيه انصرف على المولى أبي
حمو المنصور.

¹ في الأصل: ((إتيان)).

ذكر
سفر الأمير/48و/ أبلع تاشفين فلي شأن المصالح
إلى سلطان بنلي مرين

ولما انصرف الرسول؛ الذي تقدم ذكره؛ في شأن الصلح؛ الذي رجي خيره. أخذ المولى أبو حمو في شأن صرف ولده، وقطعة كبده. جهز له مائة حصان؛ من العتاق؛ وما يوافقها من الذخائر والأخلاق؛ وصرف معه وزيره عمران بن موسى؛ نائباً عنه، وقاضي الجماعة بتلمسان؛ أحمد بن الحسن؛ شاهداً على ما يسمع منه. ولما انفصلوا عن الحضرة الزيانية، واتصلوا بالأحواز الفاسية؛ وصل التعريف بهم للسلطان أبي سالم؛ بأن الأمير أبا تاشفين؛ جاءه رسولاً من المولى أبي حمو؛ الملك الحازم. فأعد له خير دار للكرامة، واحتفل له احتفالاً يليق بالإمامة. ثم وجه من وجوه حضرته؛ من يليق للقائه؛ وعمل على راحته واحتفائه. ولما دخل فاس البيضاء¹؛ وجد الخدام قد استعدوا للقاء، وأظهروا النخوة والمباهاة، والبذخ في كل الحالات. ثم دخل على أبي سالم؛ وهو بسرير² ملكه منتظماً في جوهر سلكه؛ فسلم عليه أحسن سلام، وتلاه من تبعه على ذلك النظام. فأظهر له من القبول سنى له البشرى، ومن الإيناس ما هو أعظم وأسدى. ثم

¹ في الأصل: ((البيضا))؛ بون همزة.

² في الأصل: ((بسريره)).

أمره - ومن معه - بالنزول والراحلة ؛ ليكمل له غاية انشراحه. ثم أجرى عليهم النفقات، ووالاهم أجمل الموالاتة.

وبعد ثلاثة أيام ؛ أحضر عيون حضرته، وأنجاد قبيله ونصرته ؛ ثم بعث إليه ومن معه. فيا حسن ما صدر عنه، وما صنعه. ولما دخل عليه ؛ رحب به ترحاب الملوك الكرام، وأنسه بالمجلس ؛ باللين من الكلام. ثم قال له: يا أبا تاشفين ؛ ما تريد أن يسعفك به بنو مرين. فقال: يا أيها الملك السعيد ؛ إن مولاي وجهني للمصالحة والتسديد، والكف عن المفاتنة، والجنوح إلى المهادنة ؛ وأن يكون القبيلان يداً واحدة على الكفار، وحماة لدين الله، وإخواناً للانتصار ؛ فإن الصلح مندوب إليه شرعاً، والخلاف منهي قطعاً، ويد الله مع الجماعة. ثم تكلم الفقيه /48ظ/القاضي المذكور؛ ما استحسنة الجمهور؛ ثم تكلم الوزير بما يليق من الكلام. ودار الكلام بين الوجوه الأعلام؛ حتى رقت نفوس بني مرين، وتعجبوا من فصاحة الأمير أبي تاشفين. ثم أخذ السلطان أبو سالم - مع بني مرين - يُلين قلوبهم بالكلام اللين المعبر. ثم تمادى الكلام إلى أن¹ أخذ المجلس حقه، وأظهرت النفوس تلتفهاً ورقة. ثم سكتت الأصوات، وطمحت العيون لأبي سالم بالاتفات ؛ ينظرون ما يصدر عنه، وما يسمعون منه. فقال السلطان أبو سالم: يا بني مرين ؛ أنظروا ما في السلطان أبي حمو من الرقة واللين ؛

¹ كلمة: ((أن)) غير موجودة في الأصل.

جرح - بنفسه - للمصالحة، والمهادنة، والموالاتة، والمحاسنة؛ مع قدرتنا عليه. فنعم ما فعل، وما ندب إليه؛ ولو بقي شره، وحقده؛ لم تقدروا على نكاله وصدّه. وهذه سير الملوك الكرام، والمحاولة التي تصدر من ملوك الإسلام. ثم عطف على الأمير أبي تاشفين؛ وقال: يا عبد الرحمن؛ قد أسعفك - بما تريده - بنو مرين. يا عبد الرحمن؛ فمن علينا بكل ما تطلبه لدينا. فقال: يا أمير المسلمين؛ إبرام عقد المصالحة، والإمساك عن المكافحة؛ وأن تسرح من في سجنك من بني عبد الواد. وهذا غاية المراد. فقال له السلطان أبو سالم: لك ما تمنيت علينا؛ كرامة لوصولك إلينا. فقال له: يا أمير المؤمنين؛ شكر الله أياديك، وحمى ناديك. ثم انعقد الصلح على ما قالاه، وانبرم الأمر الذي تمناه. ثم أن أبا سالم أعطاه عطية سنوية، واستصحبه على المصالحة بهدية، وأفرغ على الوزير والقاضي كسوتين، ووصلهما بما أرضاها من العين. ثم بعث على هديته وانزمار بن عريف ومحمد بن نوار. ثم ودّعوا أبا سالم بأجمعهم؛ وقللوا بالهدية إلى مرجعهم. ولما حلّوا بأحواز البلاد التلمسانية؛ ومعهم رسولا للخلافة الإبراهيمية¹؛ وصل التعريف للمولى أبي حمو؛ بوصول الجميع لأول البلاد؛ بعد أن وصله الخبر بنيل الأمل، وبلوغ المراد. فصنع بروزاً عظيماً لقدم ولده؛ استبشاراً بما نال من مقصده، وتعامل بأول رسالته. وظهرت له

¹ نسبة إلى السلطان المريني أبي سالم الذي يسمى إبراهيم.

49/ و/ارايات النصر وغايته. فكان لدخوله بـروزاً عظيماً، وصيتاً جسيماً؛ فرعت آيات - لذلك - الأولياء. وشرفت الأعداء؛ تم للرسولين دار كرامة تليق بهما؛ نزل على بلوغ أربهما؛ فأكرمهما أجل إكرام، وقابلهما بما تقابل به الإرسال أولى الإكرام. وعندما سلموا عليه؛ أقبل عليهم إقبال السار؛ وقال: مرحباً برسولي خير الملوك الأحرار؛ ثم إنه استحضرهما¹ ثلاثة أيام، وعمل لهما مجلساً حفيلاً للكلام؛ وسألهما عن سلطانهما؛ سؤال الإيناس، وجالسهما بما يليق بوجوه الناس. فأخذا ينطقان على حسن اقتضائه في المهادنة، والكفّ عن المفاتنة؛ وعرفوه على استحسان سلطانهما لهذه الفعال. وأخذ - معهم - في القيل والقال؛ ثم انجر السؤال عن ثمرة الرسالة، وعن سر العجالة؛ فأخبروه بأجمعهم بالموالاة، وثبات الصلح على أتم الحالات؛ ثم دفعا له هدية السلطان **أبي سالم**؛ وتحدث إرساله بما رأوه من المكارم. ثم قال الرسولان: إن صاحب القلم الأعلى سيرد عليك؛ لتمام عقد المصالحة؛ وبما يسرك من الأمور الناجحة؛ وإنما جئناك بالهدية، وبالبشارة على هذه الموالاة السنية؛ فأضل عليهما أتم أفضال. وأنالهما أجزل نوال. ثم انصرفا عنه؛ قريرا العين مسرورين بالمراكب، والكسا، والعين. فكان وصول الجميع؛ في أوائل جمادى الأولى من العام المذكور؛ وانصراف الرسولين على الأثر؛ بما نالا من السرور. وفي

¹ ربما سقطت كلمة: ((بعد)) هنا.

أوائل جمادى الثانية وصل الفقيه أبو القاسم بن رضوان صاحب الإنشاء لأبي سالم السلطان؛ بعثه لتملكة الإشهاد؛ على المولى أبي حمو؛ ملك بني عبد الواد. ولما حلّ هذا الرسول المذكور بحضرة تلمسان؛ أنزله المولى أبو حمو بدار الكرامة؛ كما فعل بمن تقدمه من الإرسال ذوي الإمكان؛ لأن ابن رضوان هذا [درة]¹ كتاب الأندلس² والمغرب، وصاحب الإنشاء المطرب المعجب؛ بعثه سلطانه /49ظ/أبو سالم؛ للمباهاة، ولإعظام هذه المصالحة، والموالاتة؛ لتغرب ذكائه وفطنه، وتقربه منه ومكنته.

ولما حضر مجلس المولى أبي حمو³ بعد⁴ ثلاثة أيام؛ أخذ معه في مجال الكلام، وسأله عن سلطانه سؤال الندام؛ فأجابه بخير وعافية، وما ينبغي أن يقال لأولي الخلافة السامية. ثم قال ابن رضوان المذكور: إن مولاي أبا سالم؛ قد استحسن منك هذا الصلح؛ ونعم الفعل المشكور؛ وأنه قد بعثني إليك لأكمل عقد المصالحة، وأشهد عليك بهذه الفعلة الصالحة. ثم قال له: لك ذلك. ثم أمر بأن تكتب العقود؛ بنظير ما شهد به على السلطان أبي سالم؛ وأن المولى أبا حمو قد رضي بالشروط اللوازم. فكتبت العقود بمحضر الفقهاء، والملا من بني عبد الواد الكبرا، وأرباب المشورة، والوزراء. وشهد على المولى أبي حمو؛

¹ لم تفهم الكلمة المكتوبة هنا، وواضح أنها صفة مدح؛ صاغها صاحب الكتاب في حق ابن رضوان؛ ويمكن أن تكون مثلاً: ((درة))
² في الأصل: ((الأندلس)).
³ في الأصل: ((أبو))؛ وهو خطأ.
⁴ في الأصل: ((بعث))؛ وهو تحريف.

بمثل ما شهد على أبي سالم. وكمل الصلح على يد الفقيه أبي القاسم. فأخذ العقود في يده نائباً عن سلطانه، ساراً بما فتح الله للفريقين من إحسانه. ثم إن المولى أبا حمو¹ أمر بكسوة سنية للفقيه؛ ومن العين ما ارتضاه، ومن يليه؛ ثم ودعه، وانصرف لغربه. وقد سنّ الله للمولى أبي حمو ما أراد من مطلبه؛ فلم تزل المحاسنة، والمداهنة، والموالاتة، والكفّ عن المفاتنة؛ إلى أن أراد الله سبحانه بالهرش،² والتشاجر، والإحنة³ والتآمر. وذلك بسبب بقاء الجزائر ووهران. وسيأتي خبرهما إثر هذا المكان. فكانت الهدنة أربعة أشهر كاملة؛ نال كل واحد؛ من الصلح أمله؛ إلى أن وصل عمر بن عبد الله وزير أبي سالم لأمر حدث من جهة المظالم. إعلم أن السبب الذي جاء لأجله عمر بن عبد الله الوزير أبي سالم؛ لأمر حدث من جهة المظالم. اعلم أن الذي جاء لأجله عمر بن عبد الله الوزير؛ هو بقاء بني مرين بوهران والجزائر؛ لأمر أراده النافذ البصير. وذلك أن السلطان أبا سالم؛ لما لم يتأت له الجلوس بتلمسان؛ انقلب على عقبيه؛ حين فسّد المولى أبو حمو⁴ 50/و/عليه الأوطان. قدّم حفيد المولى أبي تاشفين، واشترط عليه شروطاً معروفة، ووصايف في كل عام موصوفة؛ منها أنه استثنى السواحل؛ تبقى على ذمة بني مرين؛ وما عدى ذلك؛ لنظير حفيد

¹ في الأصل: ((حموا))؛ بالألف وهو خطأ.

² يقال: ((الهراش))؛ أي: الخصام والقتال.

³ الإحنة؛ جمعها: إحن؛ أي: الحقد.

⁴ في الأصل: ((حموا))؛ بالألف وهو خطأ.

المولى أبى تاشفين. فقبل ذلك منه ؛ لموجب الاحتياج ؛ ولتعالج نفسه بما يراه من العلاج. ثم أن المولى أبا¹ حمو؛ استولى على محلة حفيد المولى أبى تاشفين، وفرّ هو بنفسه ؛ قافلاً لبني مرين. استولى المولى أبو حمو على جميع السواحل ؛ إلاّ الجزائر ووهران ؛ فإن قائديهما عملا على النفاق، والتجادل. وقالوا: نحن على ما وقع عليه من الاشتراط؛ وأنت ليس لك - وإن صالحت - إلا ما كان عليه الارتباط. فاستحى المولى أبو حمو؛ أن يفسد المصالحة على البلدين ؛ بل تركهما لإصلاح ذات البين ؛ وصار يدير الأمر بينهما بالمحاولة ؛ من غير هوان، ولا منزلة ؛ إلى وقت غرامة أحواز البلاد ؛ شرع² في الغرامة بنو عبد الواد. فكتب قواد البلدين المذكورين ؛ بما اتفق في هذين الحوزين. فوصل عمر بن عبد الله ؛ بسبب هذا الشأن. فكان وصوله لتلمسان في أواسط شهر رمضان ؛ فأنزله المولى أبو حمو بدار الكرامة على التضييف ؛ في دار الإقامة ؛ وهو يحضر معه في كل يوم ؛ للمحاولة في الوطنين ؛ أن يصيرا كما كان البلدين. فمنع له المولى أبو حمو كل الامتناع، وآل أمر الفريقين بهذا إلى الهرج، والنزاع. فادعى عمر بن عبد الله وقوع استثنائها في شرط المصالحة ؛ وقال المولى أبو حمو³ : شرطتم على غيري ؛ فليس إلاّ الأخذ في المكافحة. وطال الكلام بما أفضى إلى

¹ في الأصل: ((أبو)).

² في الأصل: ((شرح))؛ وهو تحريف.

³ في الأصل: ((حموا))؛ بالألف.

الخلاف. وكان بين الوزير عبد الله بن مسلم والوزير عمر بن عبد الله ما لا يرجع إلى الاتصاف، وإلى المخالفة بعد الإلتلاف؛ ولم يزالا على هذا الخصام؛ إلى أن وافى عيد الإسلام؛ بعيد عمر بن عبد الله المذكور؛ وانصرف إلى سلطانه. وأخذ المولى أبو حمو في الخلاف وشأنه. فكان سفر عمر بن عبد الله - ثاني يوم عيد الفطر - /50ظ/حنقاً؛ لما لقي من القهر¹؛ فكانت الدائرة على أخذ وهران، وإعطاء الجزائر بالأمان. وسيأتي خبر كل بلد منهما على انفراده؛ وكيف ظفر منهما المولى أبو حمو بمراده.

¹ تكررت عبارة: (فكان سفر عمر بن عبد الله - ثاني يوم عيد الفطر - حنقاً؛ لما لقي من القهر))؛ فوجب حذف ما تكرر.

ذكر خروج المولى أبا حمو لخصار وهران وأخذها عنوة بالضراب والطمان

قد تقدم السبب الذي أوجب المنازعة، ودفع للعتاب والمكافحة. اعلم أن المولى أبا حمو؛ جمع دهاء الملوك الأوائل، وأتى في أحوال ملاقاته؛ بما لم يكن في حرب وائل. وذلك أنه نظر بعين الرعاية في بقاء هذين البلدين. فرأى أن بناءهما من عمى العين؛ وسبباً للجبن. فأخذ ينظر في تحطيم مادتيهما في الفور؛ قبل أن ينشأ عنهما آفة بعين. وأنه إذا تملكهما كان أقوى لسلطانه؛ وإذا تركهما بقي الخلل في أوطانه. فكان محمي عينه على القذى، وعالما جرحه على الأذى. فكان يطلب السبب؛ للتشاجر بسببهما، ويعتبر ويعتد في خفية إلى حربهما.

فلما صدر عن عمر بن عبد الله ذلك المقال، وظهر - بسبب الوطن - الاختلال. أخذ ثالث يوم الفطر؛ في رمي المضارب؛ بوادي اصططيف؛ وترحل لوهـران رابع يوم؛ من غير توقيف؛ فنزل وهران للثامن من شوال؛ وقاتلها قتالاً؛ أي قتال. صفف على حافاتها المواكب، وأظهر عليها أعداداً وكتائب، وضرب الفساطيط والمضارب. وقبل نزوله عليها؛ أمر بشن الغارات؛ وأظهر لقائدها من الشر إمارات؛ فارتاع أهل وهران؛ لإتيانه، وتعجبوا من قوة سلطانه. ولما استقر بالنزول عليها؛ بعث بالإنذار إلى أهلها؛ ليقدموا على خدمته،

وينبئوا إليها. فلم يزداهم الإنذار إلا شراً وحدة، ولا إغذار إلا نحوه وشدة. ولم يول عد رأيهم وقيم حجة الله عليهم؛ إلى أن ظهر منهم حال الخلاف العام، والتمادي على الضلال العام. وعندما يئس من إذعانهم، ورأى شدة اضطرابهم وغليانهم؛ أمر **51/و**بقتالهم. فبرزت القبائل، وعمل أهل المحلة أجمع عليهم. وذلك بعد أن أنذرهم خمسة أيام، وطاف عليهم النذير؛ بالتهليل والإحرام. ولما كان في اليوم السادس؛ قاتلهم قتالاً شديداً؛ فلقوا من بأسه نكالاً وتنكيداً. وكان **بوهران** من المقاتلين الغربية ما نيّف عن خمسمائة مقاتل؛ دون أهل البلد من الرجال الأمثال، ومن رماة الدخّل الأندلسيين؛ ما ينيف عن مائة رام، ومن أهل البلد مثليها؛ من كل محقق حام. وكانت مشحونة بالمقاتلين وبالرماة المحققين؛ فلقى أهل المحلة من بلائهم محنة. بذلك توغلت القلوب لهم أحنة؛ فأقام القتال عليها؛ من حين طلوع الشمس إلى نصف النهار؛ والأمر لا يزيد إلا شدة في الإقهار. والمولى أبو حمو مسامت لأقوى موضع بها؛ لم يتأخر عن حربها؛ إلى أن تكاسل¹ الجيش على النهوض والاقتصار. ووقع الإعياء والملل، وظهر في المقاتلين الفشل. والمولى أبو حمو - مع ذلك - لا يزيد إلا اقتحاماً، ولا يرضى براياته إلا إقداماً؛ إلى أن² حان وقت صلاة الظهر؛ وطلب

¹ في الأصل: ((نكائل))؛ وهو تحريف.
² لم تكن في الأصل كلمة ((أن))؛ فأصغناها.

الناس الانفصال للجيرة¹؛ بعد أن أقيمت السلايم لاذحام الناس عليه؛ قلل الأمن عند ذلك للفشل المشار إليه. وما انفصل هذا الاقتحام إلا والكتاين خالية من السهام. فأمر - عند ذلك - المولى أبو حمو بالانفصال؛ ليستريح الناس من الكلال، ولقائها في غد بأشد من هذا القتال؛ وإلا أن يذيقهم أشد النكال. ولما انفصل من القتال إلى مضاربه محتقاً؛ إذ لم يتصل بمآربه. فأمر بترحيل الأخبية البعيدة؛ ونزولها على جانب الحفير؛ وأمر بالتضييق؛ وعانوا الهلاك عين التحقيق؛ فأدركهم الرعب؛ بعد أن خالطهم العجب؛ فندموا على إساءتهم، وخمدت نار شرارتهم؛ وجعلوا يلقون بأنفسهم من أعلا الستائر؛ يطلبون الأمان عن الأهل والعشائر. فبينما المولى أبو حمو بمضاربه يستريح؛ /51ظ/ إذا بالضجيج، وأهل المحلة تصيح؛ فبعث فتاه لالتماس الخبر؛ فأخبره أن أهل وهران أسلموا بأنفسهم؛ من الأسوار استسلام الأسر. وعندما عاين الفاسيون خذلان الحضر؛ لجئوا إلى القصبه بالمفر؛ يطلبون التحصن بها والنجاة. وهيئات أن ينتصر المخذول هيئات. فجعل أهل المحلة يطلعون الأسوار، وينادون بالإنتهاب للديار؛ وتصببت الباب عن الانفتاح، واشتد الضجيج والصياح؛ فكان دخولها عند آذان العصر؛ وأقام النهب فيها إلى غد؛ وقت صلاة الظهر. وذلك يوم الثلاثاء السادس عشر لشوال. عصمها الله من المخالفة؛ في جميع

¹ هكذا.

الأحوال. فلما تملكها؛ أخذ أهل القصة يطلبون الأمان، ويبعث قائدهم؛ علي بن أجانا؛ يرغب منه الامنان. فبات ابن أجانا ليلته تلك في القصة؛ لا يعرف مآله؛ كيف يكون في هذه الغلبة؟ ولم يزل الرسول يتردد في مسألته؛ إلى أن ألحق بالأمان - مع دخلته وسائر أهل القصة - على حكم الأسار؛ كما سبق عليهم؛ في حكم الأقدار. فأمر بقتل أربعة من الخدام؛ تقدمت لهم الجناية، وقطع أيدي ثلاثة على النفط والرماية؛ فإنه كثير ما أضر الناس النقط والرماية؛ فإنه كثير ما أضر بالناس النفط والرمامة؛ ونهوا فلم ينتهوا؛ فحلت بهم الآفات.

وعند افتتاحها؛ جاءه أهل الغنجير حصن المرسى الكبير¹؛ على جهة الخدمة؛ بعد أن منعوا منه؛ بسوء التدبير؛ فسلسل الأسرى المأخوذين بوهران؛ وألحق أهل الحصن بهم؛ بذلك المكان؛ ولولا أن العفة الزيانية شملتهم، والألطف الربانية سخرتها؛ فأنقذتهم؛ لكان خبرها أعجوبة في البلاد. ولفني أهلها ليوم التناد. فإن القوم أغلظوا في السباب، واشتطوا في الحنق والإلتهات². ثم أن المولى أبا حمو³ ترحل في اليوم الثاني من أخذها؛ عاملاً على تلمسان؛ ظافراً بما رامه؛ من مطلب وهران. فلم يبرد غليله؛ إلا بهدم سور قصبتها، وأسر حماتها

¹ لم نتعرف على هذا الحصن بالضبط، أما المرسى الكبير فهو معروف الآن بهذا الاسم؛ وهو من أهم الموانئ العسكرية المحصنة في شمال إفريقيا.
² إنتهى الرجل بالشيء؛ لعب به في لهو.
³ في الأصل: ((حموا))؛ بالألف؛ كالعادة في الخطأ.

ونكبتها. /52/ وفي ذلك يقول الفقيه الأديب أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي أحد شهود بيت ماله¹.

بسعدك الجاريان الدهر والقدر وباسمك الغالبان النصر والظفر
من بعض أنصارك السعدالمكين ومن خدامك الماضيان البيض والسمر
بيمنك الفلك الأعلى جرى وعتا بجودك الأجودان البحر والمطر
فأنت أعلى ملوك الأرض قاطبة ودونك النيران الشمس والقمر
لك الملوك فعن عليك قد عجزوا وصدّهم طائعان العجز والخور
فبسط كفك فيه برق سيفك قد تألف النافران الماء والقفر
لله ملك مليك [راع]² ورّوعني في الحرب عمرو³ وفي محرابه عمر⁴
نبارك الأرض لو في الأرض من ندي لم تذبّل الناعمان الورد والزهر
وواضح البشر لو في البدر منه [سنى يجلي بها مركبين: الأرض والسرر]⁵

¹ هذه القصيدة الرائية؛ نظمها الشاعر في البحر البسيط؛ بتفعيلته الأصلية؛ في كل شطر: (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن)؛ ويجوز مقابل: (مستفعلن = مفاعلن)، ومقابل (فعلن فعولن). كما يجوز في العروض (فولن)، وفي الضرب (فولن فعولن). والشاعر محمد بن يوسف القيسي شاعر مجيد؛ ولكن هذه القصيدة نسخت للأسف بقلم رديء؛ الأمر الذي أفسد رونقها.

² كتب في الأصل: ((أوزع))؛ وهذا تحريف لكلمة أخرى قالها الشاعر؛ لأن ما ورد في الأصل يخل بالوزن. وعليه فقد وضعنا بين حاصرتين كلمة [راع]؛ ليستقيم الوزن والمعنى.

³ أي: عمرو بن العاص.

⁴ أي: عمر بن الخطاب.

⁵ للأسف؛ قلص الناسخ ما يمكن جذبه من هذه القصيدة؛ إذ شوّه كلماتها، وأخل بوزنها؛ حتى أن القارئ يعجز عن فكّ شفرة الكلمات؛ ويفاجأ - بين الحين والآخر - بخلل؛ يسقطه في فجوة عتماء، أو يصدمه بحاجز عصي؛ يمنع متابعة تسلسل معاني القصيدة. لذا لم أجد بداً من محاولة نظم كلمات وعبارات بديلة؛ لعلها تساعد القارئ على متابعة قراءة هذه القصيدة. وعليه؛ فكل ما يعترض القارئ من عبارات أو كلمات بين حاصرتين فهي من صياغة صاحب التحقيق؛ ونرجو من الله التوفيق.

ولو أجبرت قلوب العاشقين به لم يسبها الفاتنان: الغنج والخور
 [أجبتنا]¹ بالغنى والأمن فاندفعت عناية [الشقوتان]² الفقر والحزر
 فالجود يأتي على الأقوام منسكب والأمن ظلُّ على الإسلام منتشر
 [تغدو الفضائل كلها له فجرى]³ من وجهه البدر أو من كفه البذر
 يلقي الجفأة ببشر إثره كرم كذلك الغيث إثر البرق ينهمر
 وإن تبسم بُشِّرنا بكلِّ غنى كذلك النور يأتي بعده الثمر
 هدى يغمراسن المولى وسيرته [تسمو جلالاته وتروي ذكرها السير]⁴
 فمن معاليه في جيد الزمان حلي ومن مساعيه في طرف العلى حور
 للنصر ريح رجاء لا تفارقه تروح [القوم في نصر]⁵ وتبتكر
 ريح ولكنها روح إذا ابتدرت رأيت راياتها للفتح تبتدر
 [أجرت]⁶ قلوب الأعادي في متابعة كأنما كل قلب؛ طائرٌ [ذعر]⁷
 له جيوش لها نار مضمرة وقودها الناس لكن من له ضرر
 52/نعم وفيها لمن والاه منفعة كالسحب يوجد فيها النار والمطر
 يقودها ملك في بردة ملك في درعه أسد في تاجه قمر

¹ كلمة - في الأصل - غير واضحة؛ فعوضناها بكلمة بديلة.

² في الأصل كلمة غير مفهومة؛ فوضنا كلمة بدلاً منها بين حاصرتين.

³ تعذر قراءة ما كتب في هذا الشطر. وعليه فقد عوضناه بما ورد بين حاصرتين.

⁴ جاء هذا الشطر في الأصل هكذا: ((أبدي محيانا فسرت منهما السير)). وهذا مما حرفه الناسخ. لذا فقد وضعنا شطراً بدلاً منه؛ كما ورد أعلاه.

⁵ ما بين حاصرتين وضع في مكان عبارة غير مفهومة في الأصل.

⁶ الكلمة - في الأصل - غير مفهومة؛ فعوضت بما ورد بين حاصرتين.

⁷ ما بين حاصرتين؛ وضع في مكان كلمة غير واضحة في الأصل.

ملك بهمته العليا وعزمته [ترسخت وعلت أركانه الغرر]¹
عفّ الإزار مصيب الرأي متكل على الإله بما يأتي وما يدر
حامي الديار أبو حمو الذي فُتِحَتْ له البلاد ودان البدو والحضر
مفني العدا فإذا أفنى الأولَى مردوا على النفاق يُثْنِي فللأولى كفر
من ذي الكتيبة [قد فاضت مناقبه يطري ويثني على أوصافه البشر]²
معطي الألوف ومطعم الضيوف ومطعان الصفوف وبادي الحرب تستعر
والخيل كالسيل تحت الليل ترفعها فرسانها ودجى الهيجاء معتكر
والبيض والسمر في الصفين قارئة علم البديع فمنظوم ومنتشر
والهام تسقط والألباب طائشة والأسد قابلة للأسر لا وزر
هناك يحمي حماها بالهمام أبي حموا ويَحْمَرُّ منه الورد والصور
سل عنه وهران هل أجدى تحصنها منه وهل أغنت الأسوار والجدر
كلا لقد حلها إذ حل ساحتها من بعد ما جاءها من عنده القدر
كي يورد الصفو من لم يُحْيِ تكرمة ويوسع العفو من يحيى ويقتدر
يا غاصبين استحق الدار صاحبها إن شاء عاقبكم أو شاء يغتفر
هذا إذا طرح الجناة زلتهم³ وعاد بالعفو شهرا⁴ ذلك العبر

¹ ورد هذا الشطر في الأصل هذا: ((يستجاب النفع أو يستدفع الضرر))، وهذا الكلام الذي نقله الناسخ - طبعاً - غير موزون، ولا مفهوم، لذا فقد عوضناه بما ورد بين حاصرتين؛ لتقريب المعنى المقصود إلى القارئ.

² ما ورد بين حاصرتين في هذا البيت؛ وضعناه؛ بغرض تعويض الكلمات المشوهة التي تعذر فك طلاسمها.
³ رسم هذا الشطر في الأصل هكذا: ((هذا أمن جانا جنى بما جنى عبرا))؛ ونظرا لغموضه، والتحريف الذي أصاب كلماته؛ عوضناه بشطر آخر ورد بين حاصرتين.
⁴ هكذا.

والحمد لله حمد الشاكرين على والأرض أبدت لهذا الفتح زينتها
 فتح تليه فتوح جمّة آخر بشرا وأشرقّت الآمال والكبر
 فأنظر إلى الروض تهتز الغصون به عُجْباً ويضحك في أرجائه الزهر
 وللربيع على أعطافه حلل مرقومة كللتها للندى درر
 تستبشر الناس حتى قلت أنهم نشاهم المطربان الكأس والوتر
 هذا الذي كانت العليا [تؤمله]¹ هذا الذي كان كل الناس ينتظر
 /53/ وأقدم على فرص الآمال منتهزا يحصى بها بشراً ما نالها بشر
 بادر كما تُرتجى بالسعد مبتدراً ومرّبما تشتهي فالدهر [مبتكراً]²
 والنصر بينهم يهفو به سلم وأنت معتصم بالله منتظر
 فانهض بجيشٍ وسعدٍ منك ساعده يا حبذا العسكران السعد والنفر
 بسعدكم قدمت كل البلاد لكم لم يعص سيفك لا سهل ولا وعر
 سر حيث شئت بعبد الواد [إنهم]³ عربٌ كرامٌ وكل ضيغم هصر
 زين الزمان بنو زيان إنهم وأنت بدر علاهم أنجم زهر
 آراؤكم وعطاياكم وأوجهكم في الأعصر الدهم من آياتها غرر
 إليكم تطمح الأبصار والفكر وفيكم تسرح الأشعار والفقر
 ومن يكن فخره بالشعر ممتدحا فبامتداحكم الأشعار تفتخر

¹ في الأصل: ((تأمله))؛ وهذا يخل بالوزن.

² الكلمة الواردة بين حاصرتين وضعناها بدل كلمة غير واضحة.

³ في الأصل: ((ما بهم)).

وما عسى أن يطيل المدح ذو لسن ومن يطل فيك مدح فهو مختصر
فكل فخر إلى عليك غايته وكل جود على يمينك مقتصر
إليكما من مجيد خير قافية لو أنصفوها لما فاهوا ولا شعروا
ما كل من يتعاطى الشعر يحسنه كلا وهل تستوي الحسبا والدرر
لازال سعدكم ينمي وسيفكم يحمي وجودكم يهمني وينهمر
[فقائد]¹ الأمر منصور اللواء، لكم بكل أفق ثناءً طيباً عطر

وفي أثناء أخذ وهران؛ اتصل الخبر بأبي سالم؛ فعرض على يديه؛
كفعل النادم؛ وعجب من أفعال المولى أبي حمو²، وجزالته؛ ومن
بطشه بوهران، وإطالته. فأخذ - مع أرباب دولته - في شأنه؛ وتعجب من
براعته. وقال: إن لم تبادروه بالجزائر؛ وإلا فيأخذها أخذ المسلط الماهر،
ولم يبق لنا معه حرمة، وتفسد الحكمة. ثم وجه وانزمار بن عريف -
على الأثر - ليسدد هذا الفتق؛ الذي أفضى إلى الضرر. فكان وصوله في
الموفي عشرين من الشهر المذكور؛ لإخماد ما شعل من الفتنة، وإظهار
53/ظ/السرور. ولما دخل وانزمار على المولى أبي حمو السلطان؛
استعطفه في حال الأسرى؛ من أهل وهران. وقال: يا مولاي بطشت
ببلدك، وأهلك، وغضبت عليها، ثم انتهكتها؛ ثم حلف له أن
مولاه أبا سالم؛ لم يرد إلا ردها إليك؛ وإنه ما كان من اختياره

¹ في الأصل: ((قائد))؛ بدون الفاء؛ وهذا يخل بالوزن. فوجب التصويب.
² في الأصل: ((حموا)) بالألف؛ وهو خطأ.

حبسها إليك¹؛ ولكنه كان يحاول قبيله على إخلائها - مع الجزائر -
ولكن أيها الملك؛ فقد حكم النافذ الباصر. ثم قرر له أن المصالحة
باقية؛ على الموالاتة؛ ثابتة على جميل أفعالها. ثم حاوله على تسريح
ابن أجانا؛ ومن معه من حصّة المغاربة؛ وضمن له إعطاء الجزائر؛ وأن
يوفي له مطالبه. فكان وصول المولى أبي حمو² لتلمسان في تاسع عشر
شوال؛ وبقي الصلح على ما جرت به الأحوال؛ ثم انصرف وانزمار³
في شأن إعطاء الجزائر، وسرح ابن أجانا، ومن أخذ من الأسرى
المحاصرين⁴ بها. وها أنا أذكر إعطاء الجزائر؛ على الأثر؛ حسبما ذكر
في الخبر.

¹ هكذا.

² في الأصل: ((حموا)) بالألف؛ وهو خطأ.

³ حرف هذا الاسم في الأصل؛ فكتب هكذا: ((أونزمان)).

⁴ كتب في الأصل: ((المحاصر)).

ذكر أخذ الجزائر صلنا بعد قتالها وحصارها مرتين. فتحت لنا

قد تقدم أخذ وهران، وإتيان وانزمار¹ بن عريف إلى المولى أبي حمو² السلطان؛ وأن وانزمار³ تضمن⁴ له - عن أبي سالم - إعطاء الجزائر، وإبقاء المهادنة؛ على ما استمرت العادة عليه في الظاهر. ولما عاد وانزمار⁵ إلى سلطانه؛ وأخبره عن أحوال المولى أبي حمو وشأنه؛ وأنه ضمن له الجزائر. استحسن أبو سالم ما تضمنه عنه؛ وبادر بإعطائها؛ أحسن تبادر. وقال إن انتهكت الجزائر بسببنا بكلمة سوء؛ تبقي في عقبنا. ويقال إن حلت بهم أزمة من بني عبد الواد؛ صبروا على خدمته؛ فأسلمهم للأعادي⁶؛ ولا قدرة لنا على نصرتهم. وإعطاؤنا إياها لأبي حمو؛ بقاء لحرمتنا وحرمتهم. ثم كتب لقائد الجزائر بالشكر على حبسه؛ وأمره أن يسلم الجزائر لبني عبد الواد؛ على طيبة من نفسه؛ /54/ وأن المهادنة باقية على حالها، والمحاسنة جارية بجميل أفعالها. ثم وجه كتابه مع ابن عامر بن فتح الله؛ وقال له: سر للسلطان أبي حمو؛ واعلمه أننا من الجزائر قد مكناه. ولما

¹ في الأصل: ((أونزمان))؛ وهو تحريف.

² يبدو أن الناسخ واضب على كتابة: ((حموا))؛ هكذا بالألف؛ وهو خطأ.

³ في الأصل: ((أونزمان)).

⁴ هذا.

⁵ في الأصل: ((أونزمان)).

⁶ في الأصل: ((للأعاد)).

وصل الرسول المذكور تلمسان؛ أخرج معه محمد بن جابر؛ من غير
توان. ثم كتب المولى أبو حمو¹ إلى أبيه المولى أبي يعقوب؛ بأن يهبط
الجزائر، ويسكنها؛ فقد بلغه الله منها المرغوب. ولما أخذ المولى أبو
حمو وهران؛ أمر قواده أن يضيقوا على الجزائر؛ ويمنعوا الداخل إليها
من أهلها، ومن المسافر؛ فنزلت محلاته كلها...² بساحاتها؛ واعتزموا
على ختلها، وتغالوا بها. فكان عليها من القواد عمر بن موسى
المطهري، وعطية ابن موسى؛ بالحشد القوي؛ والمولى أبو يعقوب
بمليانة مقيم بها؛ ينتظر أمر ولده؛ في حصر الجزائر، وما يكون من أمر
الصلح، وما يصدر من الأوامر. فبينما هو على هذه الحال؛ إذ ورد عليه
محمد بن جابر؛ ببلوغ الآمال؛ وأعطاء الجزائر؛ على الخير، والمهادنة،
وإبقاء الصلح والمحاسنة؛ ومعه ابن عامر بن فتح الله؛ نائب أبي
سالم؛ بالأوامر لقوادها؛ أن يكتنوها للمولى أبي يعقوب الماجد الجازم³.
فلم يلبث المولى أبو يعقوب بمليانة إلا ظلام ليلته؛ وفي الغد؛ خرج -
مع الرسول - راحلاً إلى محلته. فعندما اتصل بمحلاته؛ وهم بالثلاثاء من
حوز الساحل. بات في المحلة؛ وفي غد؛ طوى للجزائر المراحل. فنزل
بخميس من حوز البلد؛ وسار الرسول، وابن جابر إليها؛ ولم يسر
معهما من أحد؛ ففتح لهما الباب؛ فتح الموالاتة؛ لا فتح الإرهاف.

¹ في الأصل: ((حمو)).

² وردت في هذا الحيز كلمة غير واضحة. ربما تكون: ((واد)).

³ هكذا.

وكان قائد قصبته **علي بن يعلى** وقائد جيشها الوجديجي¹ قريب العهد؛ منذ تولى. فعندما عاينا ثقة مولاهما؛ رفقة المولى **أبى يعقوب** قد حلا بهما؛ أعطوا صفقة أيديهم للإذعان، وتباشروا بالمهادنة وإعطائها على وجه الإحسان؛ فبات الرسولان ليلتهما في البلد؛ /54ظ/ وقد أراح الله أهل الجزائر من الحصار والنكد.

وكان دخول المولى **أبى يعقوب** إليها؛ في غد يوم النزول؛ ناشر الرايات، وضارب الطبول؛ وذلك يوم الجمعة الثالث عشر لذي القعدة. فأزال الله - بدخوله - الوحشة، والشدة. وعندما سكن دار إمارتها؛ ظهرت آيات الخير بعمارتها. ثم أمر بإخراج **بني مرين**؛ على الأمان، والرعي، والتهدين؛ فنزلوا بمصلاها؛ من الجانب الأعلى. واستولى المولى **أبو يعقوب** - ونعم من استولى - ثم ترحل **بنو مرين** إلى تلمسان؛ وافدين على حضرة المولى **أبى حمو**² السلطان.

وكان بالجزائر - في هذه الأواخر - ما ينيف على ثمانين فارساً من مغراوة؛ وهم الأشياخ الذين أوقع بهم؛ حين أظهروا العداوة؛ لجؤا إليها للاعتصام، واستمسكوا بطاعة **بني مرين** للاحترام. بلغهم الخبر؛ أن **برشك** أسلمت ل**بني عبد الواد**؛ وأن الجزائر ترد إليهم على المحاسنة، والوداد؛ ففروا قبل وصول الجهات المضايقة؛ خوفاً من الانتقام. فما أمنوا من إرجافهم؛ إلا ببجاية؛ لأنها صارت لهم جنة، ووقاية. ولو

¹ نسبة إلى قبيلة وجديجن الرناتية.
² في الأصل: ((حمو)).

وجدوا بالجزائر لانتهاكوا، وحقاق بهم المكر، وهلكوا. وهذه كيفية
الجزائر؛ بعد الحصار والتشاجر. وفي ذلك يقول أحد شعراء أهل
الجزائر؛ مستعظفاً للمولى أبي حمو، ومعرفاً بمحبتهم في الباطن والظاهر.
وهو محمد بن صالح البلنسي¹:

هنيئاً لك الفتح الذي شرح الصدرأ هنيئاً مريئاً حلّ ما [أوجب]² النصرأ
فسر لافتح الأراض آية وجهة فسر لافتح الأراض آية وجهة
وصادم بعبد الواد كل عرمرم فإن لهم أن يحملوا الآية الكبرا
وخوف بهم في الحرب كل مخوف وشرد بهم قوما لهم أظهروا مكرا
وزلزل بلادا قد أناخ بها العدى ولم يرقبوا في أهلها [شهورا ولا]⁴ دهرا
وجيش جيوش النصر من كل فرقة وضيق على أعدائك البر والبحرا
وهو على متن الزمان مكلكل فقد نلت ملك الأرض فاستلزم الشكرا
لأنت أمير المؤمنين حقيقة وخير بني زيان والملك الأسرى
55/و/وأكرم من تأتي الوفود لبابه وأجزل من يعطي المواهب والخيرا
وأنجز من يحمي ويستملك الورى وأشجع من هز القواضب والسمرأ

¹ هذه القصيدة من البحر الطويل؛ بتفعيلات أربعة؛ هي: (فَعولن مفاعيلن فَعولن مفاعيلن)؛ يجوز في فعولن = فعول، ويجوز في مفاعيلن = مفاعلن.

² كلمة هنا غير واضحة؛ فعوضت بالكلمة الواردة بين حاصرتين.

³ جاء هذا الشطر في الأصل هكذا: ((فلا وجهة بفتحكم ثغرا)). وهو مختل الوزن. والخلل في التفعيلتين: الثالثة والرابعة، لذا فقد أضفنا عبارة: ((ثبغى))؛ ووضعناها بين حاصرتين؛ للتصويب.

⁴ جاء هذا الشطر في الأصل هكذا: ((ولم يرقبوا في أهلها دهرا)). وبذلك يكون قد أختل وزنه؛ بسبب التفعيلتين: الثالثة والرابعة، لذا فقد أضفنا عبارة: ((شهورا فلا))؛ ووضعناها بين حاصرتين؛ لكي يستقيم الوزن.

وأزكى ملوك الأرض فخرا وخيمة وأزكى فخارا إن همُ ذكروا الصدرا
 وأضخم طود فوق صهوة سابع¹ إذا ما كساه طالبت في الوغى أجرا
 عليك إذا شاهدت غرة وجهه تشاهد نورا ساطعا قد علا البشرا
 قضية إسعاد ويمن ورحمة هو الطائر الميمون لن تزجر الطيرا
 عليه إمارات المحاسن والعلی وآيات مجد لا أطيع لها حصرا
 ينيل عديما إن غدا [بعذابه عتيق عطاء تنجلي دونه البشرا]²
 أمولاي موسى زادك الله رفعة وعزاً وإسعاداً وأولاكم يسرا
 وكن لليتامى والأرامل ملجأ وخذ بجميل العفو واستعمل البرا
 وراعي الرعايا فالرعية حفظها يقيم بجاه الملك ما لم نرد جورا
 وهاهي يا مولاي مني قصيدة أتت بافتتاح الفأل فتح لكم خيرا
 بشير بأن الفتح يوم طلولكم على سدقات القطر حين ترى القطرا
 فلا زلت يا مولاي تستعبد الوری وتستعذب الآلاء³ والمنح الكثرا
 ولا زالت الأيام تخدم جندكم وتجري على أعراضكم أبداً يسرا
 عليكم سلام يفضح⁴ المسك نشره ويزري بأزهار الخمائل ما مرّاً

¹ كتبت في الأصل: ((سايح))؛ بالياء، وربما حرفها الناسخ هكذا؛ وليس الشاعر. خاصة وأن الصفة الشائعة للجواد؛ هي: ((سايح))؛ بالياء.

² نسخ هذا البيت بشكل رديء؛ بحيث تعذر فهم جل كلماته. وعليه فقد عوضنا الكلمات الغمضة ووضعها بين حاصرتين.

³ الآلاء هي: النعم، وجاء في قوله تعالى: (فبأي آلاء ربكما تكذبان)؛ أي: فبأي نعم ربكما تكذبان.

⁴ هكذا. والأفضل هي كلمة: ((يفضح)) بالصاد المهملة؛ لأن كلمة ((يفضح)) بالصاد الموحدة الفوقية؛ تطلق على كشف المساوي.

متى هدهدت في الأيك أرق حمامة [تشيد بذكر طالما أثلج الصدر]¹

وفي هذه السنة؛ توفي الأمير أبو سالم؛ ونفذ فيه حكم الحاكم.
وذلك في الحادي والعشرين لذي قعدة. وانقضت - بوفاته - تلك المدة.
وفيه وصل علي بن عمر بن عثمان؛ ابن أخي أبي الحسن المريني -
السلطان - لتلمسان؛ وذلك لسبب يذكر؛ ولدهاء يشهر.

¹ هذا الشطر غير واضح في الأصل تماماً. وعليه فقد وضعنا بدلا منه شطرا آخر؛ ووضعناه بين حاصرتين؛ من أجل استكمال الفكرة المبتورة.

ذكر

وصول علي بن عمر بن عثمان لتلمسان بإشارة المولى أبي حمو السلطان

علي هذا؛ هو ابن عمر¹؛ المعروف بأبي يزران؛ ابن أخي أبي الحسن المريني؛ /55ظ/ السلطان. السبب في إتيانه - على المذكور - المولى أبو حمو² المنصور. وذلك أن المولى أبا حمو لما عاين أحوال أبي سالم تضطرب³، وموافقته تبعد وتقترب. أخذ في النقض عليه، والتوقيف بما يخيل إليه. فأرسل حللي⁴ - وهو بالأندلس - مراراً، وتوعده نصراً⁵، وإظهاراً؛ وأنه يمده بالجيش والمال، ويقيمه مما يحتاج إليه؛ حتى يتصل بالآمال. ثم كتب له بفساد المغرب، وركون أبي سالم إلى الرّاحات وبانغلاقه باللذيد المطرب. وعندما قرع سمع حللي هذا الخبر؛ تآقت نفسه؛ بأن يبلغ الوطر. فأخذ في الحركة من الأندلس مجتازاً إلى هنين. وترك الأندلس أثراً بعد عين. ولما حل بهنين المذكور؛ بعث أهل هنين إلى المولى أبي حمو؛ يعرفونه هذا الخبر المشهود؛ فأمر أن (...)⁶ بإنزاله

¹ هو في الحقيقة الأمير عبد الحليم بن أبي علي بن أبي سعيد ابن أبي يوسف ابن عبد الحق. يكنى باسم حللي.

² يكرر الناسخ الخطأ نفسه في كل مرة؛ إذ يكتب كلمة ((حمو)) هكذا بالألف. وهذا في معظم الحالات بهذه النسخة.

³ حرفت فكتبت: ((تظرب)).

⁴ اسم حللي هنا؛ قد يكون اختصاراً وتصغيراً لاسم عبد الحليم.

⁵ كتبت في الأصل: ((نصراً))؛ بالضاد الموحدة الفوقية؛ وهو تحريف.

⁶ يوجد هنا بياض. ويبدو أن الناسخ كتب كلمة ثم محاهها؛ ثم نسي كتابة البديل. وحسب السياق؛ قد تكون العبارة هي: ((فأمر عامله بإنزاله...))؛ خاصة وأن كلمة أمر في الأصل كتبت محرفة هكذا ((عامر أن...)). وهذا يعني أنه شرع في كتابة كلمة ((عام...))؛ ولكنه خلط بين كلمة أخرى (أن...)

من الحين الذي جاء فيه ؛ ثم أردفه بفرسان آخر، وبما يركب هو ومن معه ومن يضافيه. ثم وجه وجوه حضرته ؛ يقدمون معه ؛ تنويهاً له ؛ ليظهر الجميل ؛ من نصرته.

ولما وصل دار الخلافة تلمسان ؛ ودخل على المولى أبي حمو السلطان ؛ لقيه بالترحاب، وأظهر له بشاشة الأوداد¹ الصّحاب ؛ ثم أمر بإنزاله - ومن معه - بديار الكرامات ؛ وأمر أن تجري لهم النفقات ؛ في زمن الإقامات ؛ وحفل بمجالسته - في كل يوم - مجالسة الإيناس ؛ ويأخذ معه في أحوال المغرب وفاس ؛ وهو - مع ذلك - يُجَهِّز له المحال ؛ ويسر له البدر² من المال ؛ ثم كساه كسوة سلطانية، وأعطاه عطية زيانية، ثم كسا دخلته، وركبهم ؛ على حسب الطباق التي كان يلي بها رتبهم. فاتفق أن توفي أبو سالم، ونفذ فيه حكم الحاكم ؛ واتفق - أيضاً - أن وصلت حصّة الجزائر ؛ صحبة علي بن يعلى ؛ لما عليها المولى أبو حمو استولى. فكان جملة الحصّة: ثلاثمائة فارس ؛ بين مترجل وراكب ؛ وجماعة من بني مرين. فأقامه /56و/ بهم ؛ إذ هم من الجانب. فلما سلموا على المولى أبا حمو، وبايعوه ؛ أمرهم بمبايعة حلي المذكور، وأن تطاوعوه ؛ فامتثلوا الأمر، وبايعوه للحين ؛ واشتد عضده بقبيلة بني مرين. ثم أمر له ما يقوم به من الأخبية، وما يقوم به من الطبول

¹ الودّ؛ جمعه: أوداد.

² البدر مفردها؛ بدرة؛ وهي: عشرة لآلاف درهم، و((بدر من المال)): كمية عظيمة منه.

والألوية ؛ وأقام له هيكل الخلافة ؛ من كل ما يحتاج إليه ، وأعطاه من المال ما يعول عليه.

واتفق أن محمد بن موسى السبيعي ؛ قدم على مولانا السلطان ، ومدحه بقصيدة ؛ يستعطفه بها ، ويعرفه بما بينه وبين حلي المذكور ؛ ولما شاء الله من المقدور ؛ فاستوزره لحلي بعد أن أفضل عليه ، وبلغه الأمنية ؛ فيما قصد إليه ؛ فكساه وركبه ، وقرنه بوزارة حلي وقربه ؛ فكان حلي وزيراً وبشرف الوزارة كبيراً. وكذلك ؛ قدم ابن يعلى ، ورتب له - من قبيله - من رآه أحق بالرتبة وأولى. ثم كتب إلى عرب سجلماسة ؛ بشأن حلي المذكور وأمرهم أن يقدوا عليه. فهذا المهم المشهور. فأتت الأعراب من جميع الجهات ؛ وأقام على أبي سالم هيكلًا عظيمًا للشنتات.

ولما علم أهل المغرب ؛ أن حليّ حلّ بتلمسان وقع الخلاف في المغرب ؛ في الأوطان. ثم أن أبا سالم ؛ خلع وغدر، وقتل ، كيف قدر. وعندما كملت أسباب الحركة على آخرها ، وتجمهرت بأحسن وفدها ؛ أخرج له المحلة إلى ظهر تلمسان ؛ وأمر بني مريم أن يخرجوا للسكنى بها في الآن. ثم اختار - من عيون جيشه - حصّة وافرة من بني عبد الواد ؛ تسير - معه - حتى يلحق - من أوطنه - بأول البلاد. ثم ودعه ، وخرج معه إلى ظاهر البلد مودعاً ؛ وحليّ المذكور تحت رايته سامياً مشعشعاً ؛ قد أناله المولى أبو حمو سبب الخلافة ؛ لو أراد له الله ببلوغ الأمل ، وسبل الإفافة ؛ لكن القدر حاد عن المراد ؛ والأمر لله رب

العباد. ولم يفارقه /56ظ/ إلا بعد أن أوثق من العرب الإيمان؛ بأنهم يلحقونهم بالمغرب؛ وحيث شاء منه¹ والأوطان. ثم أوصاه بوصايا؛ لو أخذه بالفتح سلطانه، وتوعده النصر؛ إن نكرته أوطانه. ولما أن حلّ ببلد بأول بلاده، واتصل بوطن آبائه وأجداده؛ رجع عنه بنو عبد الواد، وخلفوه مضطرباً على ما يقدم من البلاد.

وقد أردت أن أشمل جانباً من خبر حلي؛ بنظم المولى أبي حمو الهمام العلي. دعاني لذلك قصيدة السبيع؛ والجواب - من المولى أبي حمو - عليها. ومن غير الجواب؛ قصيدة أخرى تنضاف إليها. هذا المولى أبو حمو مولعاً بهاتي الأمور؛ وما يروى عنه من خبر مأثور. فإنه صرف همته عن الركون للذات، ومعاطات الخمر والفتيات؛ ونكب عن المشتغلات عن سلطانه، وأخذ فيما تقلده من التشاغل بأوطانه. ثم ولع بالنظام²؛ يعبر به عن أحواله، ويبيح فيه جميع فعاله. إذ كان ذلك دأب أئمة المسلمين. ومن خصال رجال الدنيا؛ يتأسى بالأشعار؛ كالأوائل؛ وتلك عادة الملوك الأفاضل. ولموجب ذلك؛ قصده السبيع بقصيدته؛ التي أذكرها الآن؛ وأذكر عليها جواب مولانا أبي حمو السلطان. ولموجب ذلك؛ قدمت قصيدة السبيع عليه؛ إذ الجواب مما

¹ هكذا.
² أي: بنظم الشعر.

يعنى به ، ويلتفت إليه. فمما قاله السبيع المذكور ؛ وقصد به المولى أبى
حمو المنصور؛ قوله: ¹

تَطَاوَلَ دَائِي ² فَاسْتَفَزَّ مَنَامِي وَطَالَ سُهَادِي وَاسْتَطَالَ ³ سَقَامِي ⁴
وَحَرَّمْتُ ⁵ سَبْعًا لَيْسَ لِلنَّفْسِ بَعْدَهَا مَقَامٌ وَطَيْبُ الْعَيْشِ جَدَّ حَرَامٍ ⁶
مَنَامِي وَعَقْلِي وَالْفُؤَادُ وَخَبْرَتِي ⁷ وَقَلْبِي ⁸ وَلُبِّي وَالتِّذَاذُ طَعَامِي ⁹
فِيَا سَائِلِي عَنِ شَرْحِ حَالِي مَبِينٍ كَوَاضِحِ مَقْبَاسِ بَقْبَةِ سَامِ
طَوَى الدَّهْرِيَيْنِ الْأَنَامِ مَحَاسِنِي وَبَاحِ بَسْرِ وَاسْتِلَامِ سَلَامِ
وَأَسْلَمَنِي كُلَّ الصَّدِيقِ فَمَا بِهَا صَدِيقِ يِرَاعِي عَهْدَةِ الذَّمَامِ
57/ وَ/فَكَلَهُمْ فِي وَدِّهِ مِثْلَ ثَعْلَبٍ وَأَرُوعِ مِنْهَا بَيْنَ ثَلَاثِ أَعْلَامِ
فَكُلَّ خَلِيلٍ كُنْتُ خَالَتٌ لَا أَرَى عَلَيْهِ مَلَامًا دُونَ كُلِّ أُنَامِ
وَمَا اللَّوْمُ إِلَّا نَحْوُ مَنْ لَيْسَ يَصْطَفِي إِلَى نَفْسِهِ فِي السَّلْمِ كُلِّ هَمَامِ

¹ صاحب هذه القصيدة هو الوزير المريني محمد السبيع بن موسى بن إبراهيم البرنياني. نظمها في البحر الطويل (فعلون مفاعيلن فعلون مفاعيلن) ويجوز في (فعلون = فعول، وفي مفاعيلن = مفاعيلن). لكنه سقط في علة لازمت التفعيلة الرابعة (العروض - والضرب) في معظم القصيدة. هذا؛ وقد أورد صاحب بغية الرواد سبعة أبيات من قصيدة السبيع.

² في بغية الرواد: ((ليلي)).

³ نفسه: ((استطال)).

⁴ في زهر البستان: ((سقام)). وبغية الرواد أصح.

⁵ في بغية الرواد: ((حَرَّم)).

⁶ نفسه: ((طَامُ طَيْبُ الْعَيْشِ جَدَّ حَرَامِي)).

⁷ نفسه: ((سلوتي)).

⁸ نفسه: ((وصبري)).

⁹ في زهر البستان: ((سقام)). وبغية الرواد أصح.

فمبلا عليهم بالأمر مجرب يشاركني في حاله بتمام
أقول له من بعد تجهيز رحله مقالة مضمي كالسنينة ظامي¹
ألا أيها العادي على ضامر الحشى تشابه في مرمى السهام سهامي²
إذا حازه الخوف الجزيل كأنما ظليم تعدى عن فريق نعام
بُعِيد العشا إذ بادر الليل واغتشى عليه من أنواحها وسجام
وإلا كقراد الجليية غايل يلوذ بها من خلفها وأمام
معريدة الأجنان فيها تشارز يصر على أعقابها ويحام
أقام بها المربع منذ ثلاثة شهورا وأيامها بتمام
إلى أن تنحت السَّموم [وحرها]³ وأقلع عنها القيظ بعد أوام⁴
تثنى بها للورد طورا يرودها⁵ وطورا كهيام بشرب مدام
[أموسى وحامي القوم والأرض، من به]⁶ تسود عولي حمير وجذام
ندا مرتج من فضل جودك نفحة فجير انصداعي وقت كل زحام
ونظم سلوك المسلمين بالملك يفيض نداءه مثل فيض غمام
عسى عاجلا مشتق لاسم ينالها بجلم يداوى منه كل هيام

¹ السَّنِينَةُ، جمعها؛ السَّنِين: ما يسقط من الحجر إذا حككته، والأرض التي أُكل نباتها، وظامي من هو: رقيق، قليل اللحم والدم.
² في الأصل: سهام))؛ بدون الياء.
³ وضعنا هذه الكلمة بين حاصرتين؛ في مكان أخرى لم تكن واضحة.
⁴ الأوام هو: العطش.
⁵ يقولون: زاده، يروده، رودا، وريادا: طلبه.
⁶ هذا الشطر مختل الوزن؛ إذ جاء هكذا: ((أيا حمو الحامي الخمار ومن به)). وعليه فقد لزم تعويضه بشطر سليم، ويؤدي المعنى ذاته.

كعادة قصاد الكرام وهل يرى كريم ينيل القصد كابن كرام
فإن كان منهم فالقبول تفضل تشقت منه عرفه بمسام
فبشراي إني عبدكم وعتيقكم وملك محياهم ليوم قيام
[أودعهم عند الوداع بتسليم]¹ وكرر لهم بعد السلام سلام
سلام كريم طيب ما ترنمت طيور وأشجا القلب صوت حمام²

وهذا ما نظممه مولانا الخليفة السلطان إمام المسلمين، ومنقذ
57/ظ/بني زيان؛ جواباً لما بلغه أن حلي المذكور تلاشى عليه الأمر
بالملك أن يسر الله له المولى الأمور³. فقال أيده الله:⁴

تَذَكَّرْتُ أَطْلَالَ الرَّبُوعِ الطَّوَّاسِمِ
وما قد مَضَى من عَهْدِهَا الْمُتَقَادِمِ

¹ هذا الشطر مختل الوزن؛ وجاء هكذا: ((وودعهم وادع وقيل بساطهم)). وعليه فقد لزم تعويضه بشطر آخر يصوب الوزن، وقد ورد أعلاه بين حاضرتين.

² ذكر يحيى بن خلدون - في هذا السياق - أربعة أبيات لم يثبتهم صاحب زهر البستان ضمن هذه القصيدة، وقد قال في هذا يحيى بن خلدون في بغية الرواد، ج: 2، ص: 201: ((ومنها يخاطب بريده: وَجَزْرٌ بِأَفْيَافِهِ دَقْدَقٌ - وَعَادِرٌ وَلَا لَا تَرَعَوِي لِمَنَامِ
فَإِنْ جِئْتَ مَوْلَانِ فَحَلِّكْ حُطَّهَ بِيَابِهِمُ الْأَعْلَى وَبُثَّ سَلَامِي
وَنَادِ بِأَعْلَى الصَّوْتِ مَنْ بَعْدَ مَا تَرَى مُدَيِّئًا إِمَامَ فَوْقَ كُلِّ إِمَامِ
لِمَوْسَى تَخَاضَعْتَ رِقَابَ لَعِزَّةِ فَكَانَ لِدِينِ اللَّهِ خَيْرَ إِمَامِ

³ هكذا.

⁴ هذه القصيدة نظمها في البحر الطويل (فعلون مفاعيلن فعلون مفاعيلن) ويجوز في (فعلون = فَعول، وفي مفاعيلن = مفاعِلن)). وهي موجودة أيضاً في: واسطة السلوك (مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية)، وبغية الرواد وكتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب.

وقفتُ بها من بُعدٍ بُعدٍ أنيسها
 بصبرٍ منافٍ أو بشوقٍ مُلازم
 تهيم بمغناهم وتندبُ ربَّعهم¹
 وأيِّ فؤادٍ بعدهم غير هائم
 تحنُّ إلى سلمى ومن سكنَ الحمى
 وما حُبُّ سلمى للفتى بمسالِم²
 فلا تندب الأطلالَ واسألُ عن الهوى³
 ولا تغلُّ⁴ في تذكاري تلكَ المعالم
 فإنَّ الهوى لا يستفزُّ ذوي النهي
 ولا يستبي إلاَّ ضعيفَ العزائم⁵
 وكلُّ فتى أعطى الغرامَ قيادَهُ
 وباتَ على ضيمٍ فليسَ يحازم
 فما⁶ فازَ بالعليا سوى كلِّ ماجدٍ
 مُشمِّرٍ ساقِ الجدِّ⁷ ماضي العزائم⁸

¹ في بغية الرواد: ((أهيم بمغناهم وأندب ربَّعهم)).
² هذا البيت غير موجود في بغية الرواد؛ بينما هو موجود في مخطوط واسطة السلوك الخاص بالمكتبة الوطنية الجزائرية، والإحاطة، وزهر البستان، ومعنى أندب ربَّعهم: أسرع وأحدث نفسي إلى ربَّعهم.
³ في الإحاطة: ((واسألُ عن الهوى)). وتندب هنا ليست مثل ((أندب)) السابقة، إذ أن معناها هو: البكاء.
⁴ نفسه: ((تغلُّ)).
⁵ في: واسطة السلوك (مخ)، والإحاطة: ((إلا الضعيف العزائم)).
⁶ في بغية الرواد: ((وما)).
⁷ نفسه: ((العز)).
⁸ هذا البيت والبيت الذي سبقه سقطا في الإحاطة.

صَبُورَ عَلَى الْبُلُوى طُهُورٍ مِنَ الْهُوى
قَرِيبٍ مِنَ التَّقوى بَعِيدِ الْمَأْثِمِ
وَمَنْ يَبْغِ ذَاكَ الْمَعْلُواتِ وَيَلْهَى¹
يُسَاوِي حُلُوقِ الشَّهْدِ مُرَّ الْعَلَاقِمِ²
وَلَائِمَةٌ لَمَّا رَكِبْنَا إِلَى الْعُلَى
يَحَارَ الرَّدى فِي لُجَّةِ الْمُتَلَاظِمِ³
تَقُولُ بِإِشْفَاقٍ أَتَنَسَى هَوَى الدُّمَى⁴
وَتَنْثُرُ دُرًّا مِنْ دُمُوعِ سَوَاجِمِ
إِلَيْكَ فَإِنَّا لَا يَرُدُّ⁵ اعْتِزَامَنَا
مَقَالَةٌ بِأَكِّ أَوْ مَلَامَةٌ لِأَيْمِ
أَلَمْ تَرِ⁶ أَنَّ اللَّوْمَ لُوْمٌ وَإِنَّا
لَنَجْتَنِبُ اللَّوْمَ اجْتِنَابَ الْمُحَارِمِ
فَمَا يَسُوى الْعُلِياءِ هِمْنَا جَلالَةٌ
إِذَا هَامَ قَوْمٌ بِالْحِسانِ النَّواعِمِ

¹ في بغية الرواد (نَّ يَبْغِ إِذْرَاكَ الْمَعَالِي وَتَيْلَهَا)).
² في الإحاطة ((لَقَّ يَخْلُقُ الشَّهْدِ)).
³ في واسطة السلوك، والإحاطة: ((في لجها المتلاطم)).
⁴ في واسطة السلوك، ((هوى الدنيا)).
⁵ في بغية الرواد ((لا ترد)).
⁶ نفسه: ((ألم تدر)).

بُرُوقُ السُّيُوفِ الْمَشْرِفِيَّاتِ وَالْقَنَّا
 أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ بُرُوقِ الْمَبَاسِمِ
 ((وَأَحْسَنُ مِنْ قَدِّ الْفَتَاةِ وَخَدِّهَا
 قُدُودُ الْعَوَالِي أَوْ خُدُودُ الصَّوَارِمِ))¹
 وَأَمَّا صَهِيلُ السَّابِحَاتِ لَدَى الْوَعَى
 فَأَشْجَى لَدَيْنَا مِنْ غِنَاءِ الْحَمَائِمِ
 ((إِذَا نَحْنُ جَرَدْنَا الصَّوَارِمَ لَمْ تَعُدْ
 لِأَغْمَادِهَا إِلَّا يَحْزُ الْغَلَاصِمِ²
 تُوَاصِلُ بَيْنَ (...)³ وَالْهَامِ وَالطُّلَى
 يَتَفَرِّقُ مَا بَيْنَ الطُّلَى وَالْجَمَاجِمِ))
 فَيَرْغَبُ مِّنَّا السَّلْمَ كُلُّ مُحَارِبٍ
 وَيَرْهَبُ مِنَّا الْحَرْبَ كُلُّ مُسَالِمٍ⁴
 نَقُودُ⁵ إِلَى الْهَيْجَاءِ كُلِّ مُضْمَرٍ
 وَتُقَدِّمُ أَقْدَامَ الْأَسْوَدِ الضَّرَاغِمِ

¹ لا يوجد هذا البيت في زهر البستان؛ بينما يوجد في بغية الرواد، وواسطة السلوك (مخ)، والإحاطة، ولكن في غير الترتيب المتبع في بغية الرواد وعليه فقد أصفناه هنا.
² هذا البيت والبيت الذي يليه سقطا في الأصل من زهر البستان، وبغية الرواد؛ وغير موجودين إلا في واسطة السلوك، والإحاطة؛ فأصفناهما هنا، ولكن عجز البيت الأول كتبت - في الإحاطة - هكذا: ((لَاغْمَادُهَا الْأَبْحَرُ الْغَلَاصِمِ)).
³ هنا كلمة غير مفهومة في مخطوط واسطة السلوك، بينما كتبت في الإحاطة: ((الهند)). وقد ساير حاجيات هذا.
⁴ هذا البيت غير موجود في بغية الرواد؛ بينما يوجد في مخطوط واسطة السلوك، وزهر البستان، والإحاطة.
⁵ في مخطوط واسطة السلوك: ((نعد)).

وما كُلُّ مَنْ قَادَ الْجُيُوشَ إِلَى الْعِدَى
يَعُودُ إِلَى أَوْطَانِهِ بِالْغَنَائِمِ
وَتَنْصُرُ مَظْلُومًا وَتَمْنَعُ ظَالِمًا
إِذَا شَكَ¹ مَظْلُومٌ بِشَوْكَةِ ظَالِمٍ
/58و/ وَيَأْوِي إِلَيْنَا الْمُسْتَجِيرُ وَيَلْتَجِي
وَيَحْمِيهِ مِمَّا كُلُّ لَيْثٍ ضَبَارِمِ
أَلَمْ تَرَ إِذْ جَاءَ السُّبُعُ² قَاصِدًا
إِلَى بَابِنَا يَبْغِي التَّمَّاسَ الْمَكَارِمِ
وَذَلِكَ لَمَّا أَنْ جَفَاهُ صِحَابُهُ
وَكُلُّ خَلِيلٍ وُدُّهُ غَيْرُ دَائِمِ
وَأَزْمَعَ إِرْسَالًا إِلَيْنَا رِسَالَةً
بِإِخْلَاصٍ وُدٍّ³ وَاجِبِ غَيْرِ وَاجِمِ
وَكَانَ رَأَى أَنَّ الْمَهَامَةَ بَيْنَنَا
فَخَلَّى لِذَاتِ⁴ الْخُفِّ ذَاتَ الْمُنَاسِمِ
وَقَالَ أَلَا هَلْ مِنْ عَلِيمٍ مُجَرَّبٍ⁵
أَبْثُ لَهُ مَا تَحْتَ طِيِّ الْحِيَازِمِ

¹ في بغية الرواد ((إذا شيك)).

² في الإحاطة: ((السُّبُعِيُّ)). وهذا أسلم للوزن.

³ في بغية الرواد ((وَدِّ جَدِيد)).

⁴ في واسطة السلوك: ((بذات)).

⁵ نفسه: ((وقال لأمري من حليم مجرب))، وفي الإحاطة: ((ألا سل من عليم مجرب)).

فَيَلْبِغُ عَنِّي¹ الْآنَ خَيْرَ رِسَالَةٍ
 تُوَدَى إِلَى خَيْرِ الْمُلُوكِ الْأَعْظَمِ²
 عَلَى نَاقَةٍ وَجَنَاءَ كَالْحَرْفِ ضَامِرٍ
 تَخَيَّرْتُهَا بَيْنَ الْقِلَاصِ الرَّوَاسِمِ³
 مِنَ اللَّاءِ يَظْلِمُنَ الظَّلِيمَ إِذَا عَدَا
 وَيُشَبِّهَنَّهُ فِي جِيدِهِ⁴ وَالْقَوَائِمِ
 إِذَا أَتَلَعَتْ⁵ فَوْقَ السَّحَابِ جَرَانُهَا⁶
 تَخَيَّلْتُهَا بَعْضَ السَّحَابِ الرَّوَاسِمِ
 وَإِنْ هَمَلَجَتْ بِالسَّيْرِ فِي وَسْطِ مَهْمَةٍ
 تَرَاءَتْ⁷ كَمَثَلِ الْبَرْقِ لَاحَ لِشَائِمِ
 وَلَمْ يَأْمَنَ الْخِلَآنَ بَعْدَ اخْتِلَالِهِمْ
 فَأَمْسَى فِي أَكْبَادِهِ أَي جَاحِمِ⁸

¹ في الإحاطة: ((عنه)).

² كتب عجز البيت في بغية الرواد واسطة السلك، هكذا: ((تؤدي إلى خير أعلام الملوك الأعظم)). وهذا يخل بالوزن.

³ في الإحاطة: ((خَيَّرَهَا بَيْنَ الْقِلَاصِ)).

⁴ في واسطة السلوك: ((في جريه)).

⁵ نفسه: ((أتلعت)).

⁶ في الإحاطة: ((فوق السحاب جوابها)).

⁷ في: واسطة السلوك (مخ): ((تضاعت)). وفي: الإحاطة: ((نزلت)). وهذا يخل بالوزن.

⁸ هذا البيت - والبيتان السابقان - لا توجد في نسخة بغية الرواد؛ بينما هي موجودة في واسطة السلوك وزهر البستان والإحاطة.

((فَقَالُوا¹ فَحَمَلَهَا الْحَمَائِمُ قَالَ لَا
لِيُبْعِدَ الْمَدَى أَوْ خَوْفَ صَيْدِ الْحَمَائِمِ
وَمَا الْقَصْدُ إِلَّا فِي الْوُصُولِ بِسُرْعَةٍ
فَقَالُوا فَحَمَلَهَا أَكْفَ النَّوَاسِمِ))²
فَقَالُوا³ لَنَعْمَ الْمُرْسَلَاتُ وَإِنَّمَا
لَهَا أَلْسُنٌ مَشْهُورَةٌ بِالنَّمَائِمِ
كِتَابِي⁴ زَهْرٌ فِي كَمَائِمِ طَرْسِهِ
وَبِالرَّيْحِ يُفْشَى سِرُّ زَهْرِ الْكَمَائِمِ
فَلَمْ يَلْفَ فِيهَا لِلْأَمَانَةِ مَوْضِعًا
وَكُلُّ أَمْرٍ لِّلْسَرِّ لَيْسَ بِكَاتِمِ
فَحَيْتَنِيذِ وَافَى إِلَيْنَا بِنَفْسِهِ
فَكَانَ لَدَيْنَا خَيْرَ وَافٍ وَقَادِمِ
يَجُوبُ لَنَا الْيَدَاءَ قَصْدًا⁵ وَيَشْرُنَا
يُضِيُّ لَهُ الظُّلْمَاءَ مِنْ كُلِّ عَاتِمِ⁶

¹ في واسطة السلوك: ((وقالوا)).

² هذا البيت والبيت الذي سبقه غير موجودين في زهر البستان؛ بينما يوجدان في بغية الرواد

وواسطة السلوك؛ فأصفتناهما.

³ في بغية الرواد: ((فقال)).

⁴ نفسه: ((كذري))؛ بينما سقط البيت كله في الإحاطة.

⁵ نفسه: ((لوعا)).

⁶ يأتي هذا البيت في بغية الرواد في غير هذا الترتيب.

طَلَابُ الْعُلَى يَسْرِي¹ مَعَ الْوَحْشِ فِي الْفَلَا
 وَيَصْحَبُ مِنْهَا كُلَّ بَاغٍ وَبَاغِمٍ²
 عَلَى سَلْهَبِ ذِي صَهْوَتَيْنِ مَطْهَمٍ³
 مِنَ الْمُقْرِبَاتِ الصَّافِنَاتِ الصَّلَادِمِ⁴
 ((إِذَا شَاءَ أَيُّ الْوَحْشِ أَدْرَكَهُ بِهِ
 فَتَحْسِبُهُ فِي الْبَيْدِ بَعْضَ النَّعَائِمِ))⁵
 وَيُقَدِّمُهُ طَوْعاً⁶ إِلَيْنَا رَجَاؤُهُ
 حِمَايَتَنَا إِيَّاهُ مِنْ كُلِّ ظَالِمٍ
 أَلَّا أَيُّهَا الْآتِي لِظِلِّ جَنَانِنَا⁷
 نَزَلْتَ يَرْحَبُ فِي عِرَاضِ الْمَكَارِمِ⁸
 وَقَوْلْتَ مِنَّا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
 وَفَاضَ عَلَيْكَ الْجُودُ فَيُضِ الْغَمَائِمِ

¹ في الإحاطة: ((تسري)).
² لم يرد هذا البيت في بغية الرواد، وورد في واسطة السلوك، وزهر البستان، والإحاطة؛ ولكن في ترتيب آخر.
³ في: الإحاطة: ((في صوتين مُطْهَم)).
⁴ في بغية الرواد: ((المغربيات الصافنات)). وفي: الإحاطة: ((هن المغربيات الصافنات)). وهذا البيت لم يأت في واسطة السلوك، أما في الإحاطة؛ فجاء في غير هذا الموضع.
⁵ سقط هذا البيت في زهر البستان، بينما ورد بالإحاطة في هذا الموضع؛ أما في واسطة السلوك؛ فقد ورد بعد البيت الذي يبدأ بـ: ((طلاب العلى)).
⁶ هكذا في واسطة السلوك، والإحاطة، أما في بغية الرواد فكتب ((جبا)).
⁷ في: الإحاطة: ((حناننا)).
⁸ نفسه: ((في عراض المكارم)).

كَذَا دَأْبُنَا لِلْقَاصِدِينَ¹ مَحَلَّنَا
 حَمَى وَنَدَى يُنْسَى بِهِ جُودُ حَاتِمِ
 /58ظ/ وَهَذَا جَوَابٌ عَنْ نِظَامِكَ إِنَّنَا
 بَعَثْنَا بِهِ كَاللُّؤْلُؤِ الْمُتَنَازِمِ²
 وَنَحْنُ دُؤُورُ التَّيْجَانِ مِنْ آلِ هَاشِمِ³
 لَعُمْرِكَ مَا التَّيْجَانُ غَيْرُ الْعَمَائِمِ
 يَهْمَتْنَا الْعُلْيَا سَمَوْنَا إِلَى الْعُلَى
 وَكَمْ دُونَ إِدْرَاكِ الْعُلَى مِنْ مَلَاحِمِ
 شَدَدْنَا لَهَا⁴ أَرْزًا وَشَدَدْنَا بِنَاءَهَا⁵
 وَكَمْ مَكثت دَهْرًا بغير دَعَائِمِ⁶
 نَظَمْنَا شَتِيتَ المَجْدِ⁷ بَعْدَ افْتِرَاقِهِ
 وَكَمْ بَاتَ نَهْبًا شَمْلُهُ دُونَ نَاطِمِ⁸

¹ في الإحاطة: ((للقادمين)).
² هذا البيت غير موجود في بغية الرواد
³ في واسطة السلوك، والإحاطة: ((من آل حمير)).
⁴ في واسطة السلوك: ((بها))؛ وفي بغية الرواد: ((له)).
⁵ في بغية الرواد: ((بناءه)).
⁶ نفسية: ((قد أركان وأقوى دعائم)).
⁷ نفسه: ((شنتيت الملك)).
⁸ جاء هذا البيت في بغية الرواد في غير هذا الترتيب.

وَرَضْنَا جَمَاحَ¹ الْمَلِكِ بَعْدَ جِمَاحِهَا
 فَذَلَّتْ وَقَدْ كَانَتْ صِعَابَ الشَّكَايِمِ²
 مَنَاقِبُ زِيَانِيَّةِ مُوسَوِيَّةِ
 يُدَلُّ لَهَا عِزُّ الْمُلُوكِ الْقِمَاقِمِ
 يَقْصُرُ عَنْ إِدْرَاكِهَا كُلُّ مُبْتَغِ
 وَيَعْجِزُ عَنْ إِحْصَائِهَا كُلُّ نَاطِمِ³
 فَلِلَّهِ مِنَّا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ دَائِمًا
 وَصَلَّى عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ آلِ هَاشِمِ
 وَيَخْتَصُّكُمْ مِنَّا السَّلَامُ الْأَثِيرَ مَا
 تَضَاحَكَ رَوْضٌ⁴ عَنْ بُكَاءِ الْغَمَائِمِ

- ومن قوله أيضاً أمدّه الله بعزه:⁵

كتمت حبي ودمعي باح كتماني⁶

وزاد شوقي على قيس وغيلان

¹ في واسطة السلوك: ((رضنا عباد الملك)).

² هذا البيت غير موجود في بغية الرواد.

³ هذا البيت غير موجود في بغية الرواد؛ بينما هو موجود في واسطة السلوك وزهر البستان، والإحاطة.

⁴ في واسطة السلوك: ((من)).

⁵ قصيدة (كتمت حبي) هذه؛ وردت في واسطة السلوك (مخطوط)، وزهر البستان فقط، ونظمها في

في بحر البسيط (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن)؛ ويجوز في مستفعل = مفاعلن، وفي فاعلن =

فعلن. وفي الأعراب: فاعلن. وفي الأضرى: فاعلن. وفعلن.

⁶ في واسطة السلوك: ((كتمت حبي فأفشى الدمع كتماني)).

يا جيرة الحبي إنني قد قبلت بكم¹
كم تهجروني كأني مذنب جان
ناديتهم ودموع العين هامية²
بأي ذنب رضيت اليوم هجران
يا فتنة القلب كم لي في هواك وكم³
أطلت هجري وحالي صار ضدان
الماء والبان يشكو⁴ من فراقكم
وحبكم قد رمى قلبي بنيران
كم تهجروني وهجري لا يحل لكم
الموت أهون من بُعدي وهجران
وإن عزمتم على بعدي فوا أسفا
بان لزمان بحالي أي تبيان⁵
يا أحسن الناس مالي عنك مصطبر
وكيف حبي وحبي اليوم أعياني⁶

¹ في واسطة السلوك: ((قد فتنت بكم)).

² نفسه: ((هاملة)).

³ نفسه: ((كم لي لا أوصلكم)).

⁴ في الأصل: ((يشكوا))؛ بالآلف؛ وهو تحريف؛ وفي واسطة السلوك: ((والنار تشكو)).

⁵ نقل هذا الشطر عن واسطة السلوك؛ بسبب الأخطاء الواردة في زهر البستان؛ حيث جاء الشطر

الشطر محرفاً هكذا: ((بالزمان بحالي أي تبيان)).

⁶ ورد هذا الشطر في واسطة السلوك؛ هكذا: ((وكيف صبري وصبري اليوم أعيان)).

أنا جلبت الهوى حتى بليت به
وخاض بحر الهوى قلبي وجثماني
نازعت عيني على ما كان من نظر
فقلت العين أن القلب أبلاني
مهما نظرت إلى شيء أرقبه
يميل نحوكم سري وإعلاني
وهذه حالتي يا جيرتي ولكم
تضاعف الوجد من شوقي وأشجاني
59و/إني فتنت بذات الخال يا خولي
وعذبت بجفاها العاشق العاني¹
يا قرّة العين كم ترضى تفارقني²
رفقا عليّ أما يكفيك هجراني
رقت³ لحالي وما قد بان من شغفي⁴
وأعطفت بعد ذاك الهجر سلواني
قالت وحق هواك اليوم ما نظرت
عيناك عيني إلا ذبت من شاني

¹ في واسطة السلوك: ((العاشق الفان)).

² نفسه: ((يا قرّة كم ترضى تفارقني)).

³ الكلمة في الأصل غير واضحة؛ وكتبت هكذا: ((رقيت))؛ وهو تحريف. وفي واسطة السلوك: ((رثت)).

⁴ في واسطة السلوك: ((رثت لحالي وما قد بان من شغفي)).

الحب من شيمتي¹ والوجد معرفتي
والصبر نافلتني يا آل زيان
إني شغفت بكم منذ زمان مضى
وأنت لم تدر ما قد كان أجفاني
رقت حشاشة قلبي من هواك² وقد
تضاعف السقم في روحي وأبداني
إني وحق حياة الحب ما اكتحلت
والله بعدكم بالنوم أجفاني
ولا شغفت بحسن غير حسنكم
ولا أخذت عليكم في الهوى ثاني
ولا شربت لذيذ الماء من عطش
ولا رأيت جمالا³ منك خالاني
ولا جلست إلى⁴ قوم أحدثهم
إلا حديثك مع قاص ومع داني
إن كنت مثلي فنعم الحب منقسماً
فأفعل بفضلك ما أرضاك أرضاني

¹ في واسطة السلوك: ((شيمي)).

² نفسه: ((هواكم)).

³ نفسه: ((خيالا)).

⁴ نفسه: ((مع)). وهو تحريف، والذي ورد في زهر البستان أسلم.

ضممتها حين زارتني ببهجتها
وقلبها عند ما أدعوه لبّاني
بتنا وبات نعيم الدهر يأنسنا
والعيش صاف وروض الوصل ريان¹
ولا رقيب ولا واش يطوف بنا
إلا الحسان بأصوات والحان
من كل غانية رقت² شمائلها
تزهو على ناعمات القضب والبان
وكل عاطرة فاحت نواسمها
من عنبري ومسكي وريحان
هُمُ سبوني وكم أسبوا لذي خطر
من الملوك وحيي اليوم برهاني
قد كان فيما مضى قلبي وإن جهلت
سر³ الحباب وكسرى بن شروان⁴

¹ حرفت هذه الكلمة في زهر البستان؛ فكتبت: ((زيان)).

² في واسطة السلوك: ((راقت)).

³ نفسه: ((مولى الحباب)). وهذا أصح مما ورد في زهر البستان. والمقصود بمولى حباب: يزيد بن عبد الملك؛ الذي مات حياً بحباب.

⁴ هذا الشطر؛ جاء هكذا في زهر البستان. أما في واسطة السلوك فجاء هذا: ((مولى حباب وكسرى نوشروان)).

ذلت لعزتنا¹ أسد الوغى ولقد
يزهوا علينا وأيم الله غزلان
كم من كريم وكم من ماجد بطل
أفنى² الغرام وكم من عابد عان
يا لائمي في هوى الغزلان لا تلمن
فما خلا من هواهم قلب إنسان
وهذه قصتي³ يا عاذلي وكفا
إن الملام قد أعيأك وأعياني
/59ظ/ ولا جعلت بنات الحى من شغلي
حتى شغفت بقد البيض والزان
وقد ألفت من الهيجاء عاطلة
تشب يوم الوغى والحرب نيران
وقد سقيت كؤوس الماء صافية⁴
وقد حميت بحمد السيف أوطاني

¹ في واسطة السلوك: ((لعزتها)).
² هكذا جاء في واسطة السلوك؛ أما في الأصل بزهر البستان؛ فكتب: ((في))؛ وما جاء في واسطة السلوك أصح.
³ في واسطة السلوك (مخطوط): ((صفتي)).
⁴ نفسه: ((وكم سقيت كؤوس الموت من بطل)).

وكم قهرت عدواً ظالماً غشماً
يوم اللقاء بأطعان وأطعان¹
وكم² عمرت دياراً قل عامرها
وقد جعلت ديار الإنس عمران
وقد حييت³ رسوما قل ناصرها
يوم الهياج⁴ وكل الناس عاداني
حتى ظفرت بشيء كنت أطلبه
والحمد لله في سرٍ وإعلان⁵
نعم، ولا بد لي من أخذ أرضهم
بالمهفات وجرد تحت عقبان
حتى أروي سيوفي من دمائهم
ريّ الحجيج إذا حلت بحسيان⁶
وسقط الهام والألباب شائطة⁷
والخيل عارية من غير فرسان

¹ في واسطة السلوك (مخطوط): ((بأطعان وأطعان)).

² نفسه: ((وقد)).

³ نفسه: ((وقد أقمت)).

⁴ في الأصل بزهر البستان: ((الهباء))؛ وهو تحريف يؤدي إلى خلل في الوزن، وما ورد في واسطة السلوك أصح.

⁵ في واسطة السلوك: ((فالحمد لله في سري وإعلان)).

⁶ نفسه: ((ري الحجيج إذا حلت بغيان)). أي إذا حلت الحجيج بالمياه الجارية فوق الأرض.

⁷ نفسه: ((وتسقط الهام والألباب طائشة)).

والبيض تضرم نار الحرب إن خمدت
والشمس¹ مثل شهاب إثر شيطان
والخيل عابسة كَلَّت فوارسها
والأرض كاسية ثوبا كعقيان²
فما ترى غير أبطال مجدلة
ما بين سهل وأهضاب وكتبان
والأرض هامدة والأسد داهشة
والبيض ضاحكة تزهوا على الزان³
هناك يحمي⁴ حماها عندما اشتعلت
والأسد ما بين سكران ونشوان
وتضرم الحرب صدمات يكل لها
ليث⁵ الحروب ويغمرور بن زيان
ويأخذ الثأر ممن قضى ودنا⁶
ويرجع⁷ الشرق بعد الغرب ديواني

¹ في واسطة السلوك: ((والسمر))؛ وهو أصوب.
² نفسه: ((والأرض كاسية من لون مرجان)).
³ نفسه: ((والسيف ضاحكة تزهو على البان)).
⁴ نفسه: ((تحمي)).
⁵ نفسه: ((أسد)).
⁶ نفسه: ((ويأخذ الثأر ممن قد نأى ودنا)). وهذا أفضل.
⁷ هكذا في واسطة السلوك؛ وهو الأصح؛ لأن ما جاء في زهر البستان هو ((وسيرجع))؛ وهذا يخل بالوزن.

عاد الحديث إلى علي بن عمر بن عثمان؛ وما آلت خالغ إليه؛ بعد أن فارق مولانا أبا عمرو السلطان.

وذلك أنه لما أوصلته بنو عبد الواد إلى بلاده؛ تآقت نفسه ببلوغ مراده؛ وأيضاً فإنه كان قبل موت أبي سالم؛ عاملاً على بلاد أبيه السجلماسية؛ فلما مات أبو سالم؛ (عاملاً على بلاد أبيه)¹؛ أضرب عنها، وقصد البلاد الفاسية. فلم يزل يعمل الركاب إليها؛ طالباً للاستواء² عليها. لأنه لما قتل أبو /60/و/سالم، وعوض بأبي عمر؛ ظن أن يبلغ الوطر. فإن أبا عمر هذا؛ قد أشرب في عقله، وظهر عليه ما دل على خبره. وأنه لما أوقفه بنو مرين؛ تخيلاً؛ حتى ينظروا من يستحسنوه؛ من أبناء ملوكهم المعنيين. فبادر - من حينه - فاس القديم، ونزلها، وحل بأرجائها؛ وما أرجفها، ولا زلزلها. فاستحسن أهل فاس البالي فعالة؛ وقالوا هذا يبلغ في أبي عمر أماله؛ فأجمعوا رأيهم على أن يبايعوه، وينبوا إليه، ولا ينازعوه. فخرجوا إليه خادمين، وعلى إمامته عاملين. فبايعوه مبايعة الإسلام، وعلى ما بويح عليه الصلاة وأفضل السلام. وعندما أعطوه صفقة أيديهم، واتخذوه إمامهم، وسيدهم؛ فتحوا له أبواب فاس البالي، وولوه أحسن التولي³. فسرّ

¹ هذه العبارة - الواردة بين قوسين - تكررت خطأ. ولا لزوم لها في هذا الموضوع.

² هكذا.

³ في الأصل: ((التوالي)).

بذلك، وسرّوا به، وجروا على مراده، ومذهبه. فلما دخل البلد، وسكن القصبة، واتخذ الأولياء والنصراء والعصبة؛ والتفت عليه الخدام، ووالته الأيام. فأخذ في شأن البلد الجديد، وحصاره؛ وهم أن يأخذ في أبي عمر بثأره. فبعث إلى الأحشاد، وإلى القبائل والحماة الأنجاد؛ فولى وعزل، وغير وبدّل، وقدم القواد، وبعث لولاية البلاد؛ وشرع في الرماة، وأخذ في عمل الآلات، وأظهر النجابة، ولبي الناس دعوته بالإجابة؛ فاهتزّ المغرب لسلطانه، وأبقي أبو عمر - عند ذلك - بخذلانه. فجعل أهل البلد الجديد يعملون على الحصار، ويتأملون ما يصدر عن حلي المذكور؛ من النجابة والانتصار. ولما كملت له الأحشاد، وأتته من كل جهة الأعداد؛ حصر أبو عمر بفاس الجديد، وظهرت حلي المذكور إمارات التأييد؛ إلا أن سوء رأيه؛ دعاه إلى ما فيه هلاكه، ويسره لما فيه انتهاكه. ولما استولى على فاس القديم؛ مدّ يده إلى مال أهلها؛ وليس من الطبع الكريم. فعندما عاين أهل فاس ما لحقهم من ظلمه، وما قابلهم به في أول يوبة؛ ساءت ظنونهم بخلافته، وطلبوا الوصول إلى أمته¹. وتلك العادة في العالم؛ أن تشمئز نفوسهم من العادي² الظالم. فبعثوا /فاس الجديد لأبي عمر؛ لنصرتهم؛ ورجعوا عن بيعتهم. فعندما علم أبو عمر؛ أن إبداءه بالظلامه؛ علم أنه المنصور عليه؛ بغير سهامه. فخرج من حينه لملاقاته، وقصد بساقته

¹ يقولون: أمت الشيء يأمنه أمنا وأمنه قدره وحرره.
² أي: المعتدي.

نحو ساقاته ؛ فهزمه ، واستولى عليه ؛ وفرّ حلي المذكور ؛ خوفاً أن يحمل إليه. فهذا ما كان من خبره ، ولا حاجة إلى غاية أثره.

وفي عام ثلاثة وستين وسبعمائة¹ ؛ من هذا العام ؛ وصل عمر بن مسعود² ؛ كيرا من بني مرين ؛ ممن يعتبر في التصرف بين السلاطين ؛ يطلب من المولى أبي حمو المصالحة ؛ عن مولاه ، والمهادنة ، والموالاة ، والمحاسنة ؛ كما تقدمت مع أبي سالم ؛ على شروط لوازم.

اعلم أنه ؛ قد تقدم حديث حلي - المذكور - ابن عمر بن عثمان ، وموت أبي سالم السلطان ، وتولي أخيه عمر بن أبي الحسن ؛ وأنه لم يأت في خلافته بشيء حسن ، وأنه لا قدرة له على إخماد الفتن . وعندما عاينته بنو مرين ؛ على هذا الأسلوب ؛ خلعوه ، وقدموا ابن أخيه أبي عبد الرحمان ؛ ليتوصلوا لنيل المطلوب . فقدموا محمداً³ ؛ المدعو بأبي زيان ابن الأمير أبي عبد الرحمان ، وبايعوه مبايعة ملوك الإسلام ، وعلى ما بويح عليه النبي صلى الله عليه وسلم . ولما جلس على سرير ملك جدّه ، وحكمت الأقدار له بحده ؛ أخذ ينظر في مصالحه وأموره ، ويدولب ما يراه من تدييره . فأول شيء رآه من المصالح ، والإتقان ؛ مصالحة المولى أبي حمو السلطان . فصرف الرسول المذكور ؛ طالباً لذلك . ولعمري لقد سلك أحسن المسالك .

¹ 1361م

² هو عمر بن مسعود التبريعي

³ هو أبو زيان محمد بن أبي عبد الرحمن بن أبي الحسن . حكم من 763هـ/1361م - إلى 767هـ/1365م .

وأما خبر المولى أبو حمو؛ فإنه لما صرف حلي المذكور؛ إلى المغرب؛ وكان ما كان من قلة اتصاله بالمطلب؛ وأنه استقر بسجلماسة؛ تركه يدولب بها أمر سلطانه. فإنه أوصله إلى أوطانه؛ أخذ ينظر في شأن أبي عمر وسلطانه؛ وما يكون من شأنه. فبينما هو مرتقب لخبره؛ إذ أتاه الخبر بخلعه؛ وغيره، وإجماع قبيله على نزعته؛ وأنه عوض بابن أخيه أبي زيان ابن الأمير أبي عبد الرحمان. فأخذ أيضاً ينظر ما يصدر عنه، وما يحدث منه؛ وتاقت نفسه؛ /61و/ بأن المغرب تلاشت خلافته، واستمرت بقتل الملوك آفته. إذا¹ أتى مولد النبي عليه السلام؛ الذي هو عقده الإسلام. فأخذ في شأن المولد السعيد، واستعد له كما يستعد للعيد. احتفل في النفقات، وأعد الأموال للصدقات؛ ولم يبق شيء يستحسن إلا جمعه، ولا طيب من طعام إلا صنعه. أقام ليلة عظيمة؛ جمع فيه الحاضر، والبادي، والمقيم، والغادي. وقبيله على المولى، وجمهور أهل تلمسان: الأدباء²، والأعلى³. فكانت ليلة غراء، باهية، وبشرى النبي صلى الله عليه وسلم سامية؛ أتت الشعراء بالأمداح؛ فأجاد، ومنح غاية الأمانح؛ فوهب الجزير⁴ الوافرة، وأبدى المآين⁵ الفاخر.

¹ هكذا، والصحيح: ((إذ)).

² في الأصل: ((الأدبا))؛ بدون الهمزة.

³ هكذا.

⁴ الجزاير هنا؛ هي الشياخ المذبوحة.

⁵ هكذا جمع كلمة المونة التي تجمع على مؤن.

فمما قاله الفقيه الأديب البارع أبو عبد الله محمد بن يوسف

القيسي؛ أحدث شهود البيت؛ نفعه الله بها، وعفا عنه¹:

ذَكَرَ الحِمَى فَتَضَاعَفَتْ أَشْجَانُهُ

شَوْقاً وَضَاقَ بِسِرِّهِ كِتْمَانُهُ

دَنَفٌ تَذَكَّرَ مِنْ عُهُودِ وِدَادِهِ

مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ شَأْنِهِ نِسْيَانُهُ

يَهْفُو² لِبَرْقِ الأَبْرَقَيْنِ تَعْلُلاً

وَالقَلْبُ مِنْهُ دَائِمٌ خَفَقَانُهُ

وَيَسْأَلُ الرُّكْبَانَ عَن ذَاكَ الحِمَى

فَتُثِيرُ كَامِنَ وَجْدِهِ رُكْبَانُهُ

وَيَرُومُ سُلُوانَ الهَوَى فَيَجِيئُهُ

أَنَّ المَحِبَّ مُحَرَّمٌ سُلُوانُهُ

وَيَشُوقُهُ مَرُّ النِّسِيمِ إِذَا سَرَى

مِنْ نَحْوِ طَيِّبَةٍ طَيِّباً أَرْدَانُهُ³

¹ نظم الشاعر هذه القصيدة في بحر الكامل (متفاعلن متفاعلن متفاعلن)؛ ويجوز في متفاعل = مستفعلن.
² في الأصل: ((يهفوا))؛ بالألف؛ وهو تحريف، وفي بغية الرواد أصح.
³ طيبة: هي المدينة المنورة، والرَّذَنُّ؛ جمعه أَرْدَانٌ؛ الغزل والخز، والرُّذَنُّ؛ جمع أَرْدَانٌ؛ أصلُ الكَمِّ.

أُتْرَى أَرَى وَاوْدِي الْعَقِيقِ وَرَامَةَ¹
وَيُلُوحُ لِي رَنْدُ الْحِجَازِ وَبَأْنُهُ²
وَأَعَايِنُ الْحَرَمَ الشَّرِيفَ وَتَنْجَلِي
عَنْ قَلْبٍ صَبَّ مُدْنِفٍ أَشْجَانُهُ
وَأَطُوفُ بِالْبَيْتِ الْعَقِيقِ وَيَعْتَلِي
بِي لِاسْتِلَامِ الرُّكْنِ شَاد.....³
وَفَدَتْ عَلَيْهِ رِكَابُ أَرْبَابِ التُّقَى
وَالْمُذْنِبُ الْخَطَّاءُ كَفَّ عِنَانُهُ
مَنْ لِي يَزُورَةَ رَوْضَةَ الْهَادِي الَّذِي
رَحِمَ الْوُجُودَ يَبْعَثُهُ رَحْمَانُهُ
الْمُصْطَفَى خَيْرُ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا
وَأَجَلُّهَا قَدْرًا تَعَازَمَ شَأْنُهُ
هُوَ خَاتَمُ الرُّسُلِ الْمَكِينِ مَكَانُهُ
وَهُوَ الْمَقْدَمُ وَالْأَخِيرُ زَمَانُهُ
/61ظ/ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ⁴ النُّبُوَّةَ وَالْهَدَى
شَرَفٌ حَوَاهُ فُوَادُهُ وَلِسَانُهُ

¹ العقيق: وادي مجاور للمدينة المنورة، ورامه: موضع بوادي العقيق.
² الرند: شجر من الغاريات، له رائحة طيبة يصلح للتزيين ويستعمل في الطبخ، والبان: شجر من فصيلة البانيات، معتدل الطول، له ورق لين؛ غالباً ما يشبه به الشعراء قد المرأة.
³ هذا حيز يتسع لكلمة؛ ليست واضحة في الأصلين: بغية الرواد، وزهر البستان.
⁴ هكذا في بغية الرواد بينما كتب في زهر البستان: ((سر)).

عَنْوَانُ طِرْسِ الْأَنْبِيَاءِ خِتَامُهُ
 وَالطَّرْسُ يُكْمِلُ حُسْنَهُ عَنْوَانُهُ
 لَوْلَاهُ مَا وُجِدَ الْوُجُودُ: سَمَاوَةٌ
 أَوْ أَرْضَةٌ أَوْ أَنْسُهُ أَوْ جَانُّهُ
 فَجَمِيعُ مَا فِي الْكَوْنِ كَانَ لِأَجْلِهِ¹
 شَرَفُ الْوُجُودِ بِأَنَّ فِيهِ كِيَانُهُ
 فَالْدَّهْرُ أَفْقٌ أَحْمَدُ إِصْبَاحُهُ
 وَالْخَلْقُ جَفْنٌ أَحْمَدُ إِنْسَانُهُ
 يُعْلَوُّهُ [من] فَوْقَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى²
 وَيَقَابُ قَوْسَيْنِ اسْتَبَانَ مَكَانُهُ
 مَاذَا عَسَى يُثْنِي عَلَيْهِ مَادِحٌ
 وَيَمْدَحُهُ أَيْضًا³ أَتَى فُرْقَانُهُ
 عَجِزَ النَّظَامِ⁴ عَنِ الْوَفَاءِ يَمْدَحُهُ
 إِذْ لَا يَصِحُّ لِنَاظِمٍ إِمْكَانُهُ
 فَأَعِدْ عَلَى الْمُشْتَقِ ذِكْرَ مُحَمَّدٍ
 يَزِدُّ بِهِ إِيمَانَهُ وَأَمَانُهُ

¹ هكذا في بغية الرواد بينما كتب في زهر البستان ((من أجله))، وما ورد في بغية الرواد أفضل.
² هذا الشطر مختل الوزن. وجاء هكذا في بغية الرواد أيضاً، والخلل في التفعيلة الثانية؛ إذ ينقصها سبب خفيف (0/). وعليه فقد أضفنا كلمة ((من)) بين حاصرتين للتصويب.
³ في بغية الرواد ((صاً)).
⁴ أي: نظم الشعر.

يَا حَادِي الرُّكْبَانِ نَحْوَ مُحَمَّدٍ¹
تَلْوِي إِلَى عِلْمِ اللّوَى أَطْعَانَهُ
إِنْ جِئْتَ أَرْضَ مِنِّي وَبَلَغْتَ الْمَنَى
وَحَلَلْتَ رَبْعاً شُرِّفَتْ سَكَانُهُ
أَبْلِغْ عَنِ الْمَوْلَى أَبِي حَمُو الرِّضِيِّ
أَلْمَعْتَلِي فِي كُلِّ فَضْلٍ شَأْنَهُ
أَزْكَى سَلَامٍ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
كَالرَّوْضِ صَافِحِ رُوحَهُ رِيحَانُهُ
فَهُوَ الَّذِي حُبُّ النَّبِيِّ وَآلِهِ
مَا زَالَ مُنْطَوِيّاً عَلَيْهِ جَنَانُهُ
كَمْ قَامَ مُعْتَبِياً بِمَوْلِدِهِ² وَكَمْ
سَهَرَتْ بِهِ شَوْقاً لَهُ أَجْفَانُهُ
يَرْجُو شَفَاعَتَهُ وَسَوْفَ يَنَالُهَا
وَيَنَالُهُ مِنْ رَبِّهِ رِضْوَانُهُ
زَانَ الخِلَافَةِ بِالْمَكَارِمِ وَالنَّدَى
مَلِكٌ، نَمَاهُ إِلَى الْعُلَى زِيَانُهُ

¹ في بغية الرواد (جو مدله).
² هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب في زهر البستان: (بمراده).

وَحَمَى جَمَاهَا بِالصَّوَارِمِ وَالْقِنَى
 يَوْمَ الْكِفَاحِ إِذَا التَّقَتْ فُرْسَانُهُ
 ((مُوسَى بْنُ يُوسُفَ لَا نَظِيرَ لِمَجْدِهِ
 مَجْدٌ يُزِينُ حُسْنَهُ إِحْسَانُهُ))¹
 مِنْ آلِ زَيْنِ الْأَلَى شَهِدُوا زَانُوا² الْعَلَى
 وَالْمُلْكَ³ إِرْتُهُمْ وَهُمْ تَيْجَانُهُ
 مَلِكٌ يَسُوسُ بِرَأْيِهِ كُلَّ الْوَرَى
 فَكَأَنَّهُ رُوحٌ وَهُمْ جُثْمَانُهُ
 مَلِكٌ أَعَادَ الْمُلْكَ بَعْدَ دُورِهِ
 لَوْلَاهُ لَمْ تَثْبُتْ⁴ لَهُمْ أَرْكَانُهُ
 مَلِكٌ وَحِيدٌ فِي الْمَعَالِي مَا لَهُ
 إِلَّا الْمَكَارِمُ وَالتُّقَى خِلَانُهُ
 مَهْمَا يَجُودُ فَالْعَيْثُ دُونَ عَطَائِهِ
 مَا إِنَّ يُعَارِضُ جُودَهُ هَتَانُهُ⁵

¹ سقط هذا البيت في زهر البستان.

² في بغية الرواد ((زَانُوا)).

³ نفسه: ((فالملك)).

⁴ نفسه: ((يثبت)).

⁵ هَتَانٌ هَتَانًا وَهَتُونًا وَهَتَانَتِ السَّمَاءُ: تتابع مطرها وانصب وتهيأت الدمع: قطر. وغيث هتان: مندفق.

62/و/فالجود¹ يَنْفَعُ في الوُجُودِ² دَوَامُهُ
وَالغَيْثُ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذْمَانُهُ
مَلِكٌ تَخَافُ الأَسَدُ سَطَوْتَهُ إِذَا
حَمِي الوَطِيسُ وَضَمَّهُ³ مِيدَانُهُ
وَخُفَا⁴ النَّهَارُ يَلِيلٌ نَقَعِ أَغْبَرٍ⁵
وَبَدَتِ كَمِثْلِ نُجُومِهِ خُرْصَانُهُ⁶
تَلْقَى الخَلِيفَةَ عِنْدَ ذَلِكَ⁷ بِاسِمَاءُ
يَفْنِي⁸ الطُّعَاةَ ضِرَابُأَهُ وَطِعَانُهُ
وَحَسَامُهُ يَنْهَلُ بِالدَّمِ كَلَّمَا
أَضْحَى يُضَاحِكُ دُرَّهُ عَقِيَانُهُ⁹
فَكَأَنَّهُ رَوْضٌ تَفْتَحُ زَهْرُهُ
وَدَمَ العِدَى في خَدِّهِ¹⁰ نُعْمَانُهُ¹¹

¹ في بغية الرواد: ((والجود)).
² هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب في زهر البستان: ((في الجود))؛ وهو تحريف يخل بالوزن.
³ في بغية الرواد: ((صَمَّهْم)).
⁴ نفسه: ((وِخْفِي)).
⁵ النقع جمعه نقاع ونقوع: الغبار.
⁶ الخُرْصُ وَالخُرْصُ جمعهُ خُرْصَانٌ: حلقة الذهب أو الفضة.
⁷ هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب في زهر البستان: ((ذاك))؛ وهذا يخل بالوزن.
⁸ حُرِفَت هذِهِ الكَلِمَةُ فِي بَغِيَةِ الرُّوَادِ؛ فَكُتِبَتْ: ((بِغِي)).
⁹ الدُّرُّ وَاحِدُهَا دُرَّةٌ؛ اللُّؤْلُؤَةُ العَظِيمَةُ العَقِيَانُ: الذهب الخالص.
¹⁰ فِي بَغِيَةِ الرُّوَادِ: ((فِي صَفْحِهِ)).
¹¹ إِشَارَةٌ إِلَى زَهْرٍ شَقَائِقِ النُّعْمَانِ الَّتِي تَنْتَشِرُ فِي الحُقُولِ فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ.

سَيْفٌ شُعَاعُ الشَّمْسِ دُونَ فِرْنْدِهِ¹
مَهْمَا تَبَدَّى² سَاطِعاً لَمَعَانُهُ
أَمِنْتَ تِلْمَسَانُ مَخَافِهَا بِهِ
فَلَقَدْ حَمَاهَا سَيْفُهُ وَسِنَانُهُ
مَلِكٌ سَعِيدٌ لَا يُعَانِدُ مُلْكُهُ
إِلَّا شَقِيٌّ قَدْ دَنَا خُسْرَانُهُ
مَلِكٌ تُقْرُ لَهُ الْمُلُوكُ بِأَنَّهُ
مَوْلَاهُمْ الْأَسْنَى وَهُمْ عِبْدَانُهُ
مُتَوَكِّلاً³ أَبَدًا عَلَى مَوْلَاهُ فِي
عَلْيَاهُ، وَافَقَ سِرَّهُ إِعْلَانُهُ
حَكَمَتْ لَهُ الْكُتُبُ الْقَدِيمَةُ أَنَّهُ
سَيْشِيدٌ مُلْكاً شَامِخاً⁴ بُنْيَانُهُ
مِنْ نَحْوِ أَرْضِ الزَّابِ يُقْبَلُ⁵ طَالِباً
تَأْرَاءُ، وَمِنْ أَنْصَارِهِ عُرْبَانُهُ

¹ الفِرْنْدُ: نَدْبُ جَوْهَرِ السَّيْفِ وَوَشِيهِ.

² فِي بَغِيَةِ الرِّوَادِ: ((تَالِقٌ)).

³ نَفْسُهُ: ((مُتَوَكِّلٌ)).

⁴ هَكَذَا فِي بَغِيَةِ الرِّوَادِ؛ بَيْنَمَا حَرَفَتِ الْكَلِمَةُ فِي زَهْرِ الْبِسْتَانِ؛ فَكُتِبَ: ((مَخَا))؛ وَفِي الْهَامِشِ كُتِبَتْ كَلِمَةٌ غَيْرُ مَفْهُومَةٍ.

مَفْهُومَةٍ.

⁵ فِي بَغِيَةِ الرِّوَادِ: ((بِقَدَمٍ)).

فَيَمَهْدُ الدُّنْيَا وَيَمْتَهِنُ الْعِدَى
وَجَمِيعُ ذَلِكَ قَدْ بَدَأَ بُرْهَانُهُ
أَدْنَى¹ الْبِلَادِ إِلَيْهِ عَزْمٌ صَادِقٌ
فَالنَّجْحُ مَوْقُوفٌ عَلَيْهِ ضَمَانُهُ
لَا زَالَ فِي الْعِزِّ الرَّفِيعِ مَمْكِنًا²
وَالنَّجْمُ عَنْهُ كَلِيلَةٌ أَجْفَانُهُ³
وَأِلَيْكَ يَا خَيْرَ الْمُلُوكِ قَصِيدَةٌ
كَالسُّلْكِ فَصَّلَ دُرَّهُ مُرْجَانُهُ⁴
مِنْ نَاطِمٍ سَحَرَ الْبَيَانَ بَدَائِعًا
لَكِنْ يُقَصِّرُ عَنْ⁵ حَلَاكَ بَيَانِهِ
لَا يَسْتَوِي حُرُّ الْكَلَامِ وَعَبْدِهِ
يَوْمًا وَلَا حَصْبَاؤُهُ مُرْجَانُهُ
((وَالْعَبْدُ مِنْ مَوْلَاهُ يَلْتَمِسُ الرُّضَى
إِنَّ الْخَلِيفَةَ شَامِلٌ إِحْسَانُهُ))⁶

¹ هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب في زهر البستان: ((يزن)).

² في بغية الرواد: ((الْ فِي الْعِزِّ الْمَكِينِ مَرْقَعًا))

³ هكذا.

⁴ الدر سبق شرحه المرّجان والواحدة مرّجانه؛ اللؤلؤة الصغيرة.

⁵ في بغية الرواد: ((في)).

⁶ سقط هذا البيت في زهر البستان.

لَا زَالَ مَوْلَانَا أَبُو حَمُو حَمَى
لِلْمُلْكِ دَامَ مُؤَيِّدًا سُلْطَانَهُ

لشهر ربيع في الشهور فضيلة¹

ومكرمة خبر الزمان بها حالي²

وما ذاك³ إلا أن فيه بدا لنا

نبي كريم طيب القيل والقال⁴

نجينا به من كل خطب يروعا

وأنقذنا من كل خوف وأوجال⁵

¹ جاءت هذه القصيدة - في هذا الموضع من زهر البستان - بعد قصيدة محمد بن يوسف القيسي مباشرة؛ دون أن يرد اسم ناظمها؛ ولا حتى البيت الأول ذكر. ولكنها ستأتي فيما بعد مكررة؛ منسوبة للتلاسي؛ وذلك في ورقات هذا المخطوط الآتية؛ 87، و87 ظ، 88، و دون أن يسقط البيت الأول منها - كما حدث الآن - وقد اتضح أيضاً أن صاحب بغية الرواد أورد هذه القصيدة؛ ذكراً أنها لأبي عبد الله التلاسي؛ وهي في البحر الطويل (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن)، وقافية واحدة (اللام). غير أن بعض أبيات قصيدة زهر البستان هذه؛ لم ترد في بغية الرواد؛ بينما سقطت أبيات أخرى من زهر البستان ووردت في بغية الرواد وكذا الحال بالنسبة للقصيدة نفسها في الصفحات المقبلة، كما أن ترتيب الأبيات اختلف كثيراً بينما ما أثبت في بغية الرواد وبين الترتيب المعمول به في زهر البستان. وتعرضت كذلك بعض الأشرطة والعبارات والكلمات إلى التبديل أو الحذف. وبهذا اتضح - كما سيرد لاحقاً في زهر البستان، وفي بغية الرواد أيضاً - أن هذه القصيدة لطبيب السلطان أبي حمو أبي عبد الله بن أبي جمعة التلاسي. وتعرضت القصيدة للقص والبتر. وربما للإثراء والتنقيح. وربما يعود السبب في ذلك الخلط والزيادة والنقصان؛ إلى كونها نشرت في زهر البستان كاملة في مبدئها؛ قبل أن يدخل عليها الشاعر بعض الإصلاحات والتنقيحات.

² سقط هذا البيت في قصيدة التلاسي الواردة في بغية الرواد

³ في الأصل: ((ذلك))؛ وهو تحريف يخل بالوزن.

⁴ تغير موقع عجز البيت هذا؛ في القصيدة المشابهة الواردة في بغية الرواد؛ فأضحى صدرًا في بيت آخر ترتيبه (15)؛ هكذا: ((نبي كريم شرف الله قدره - وفضله في القبل والبعد والحال)).

⁵ جاء هذا البيت في القصيدة المشابهة ببغية الرواد؛ في ترتيب (19) هكذا:

((نجونا به من كل خطب يروعا وأنقذنا من كل خوف وأوجال)).

62/ظ/فمن ظن أن يحصي فضائل أحمد

- فذلك شيء لا يمر على بالي¹
نبي به سدنا على كل أمة
فلا أمة إلا لنا تحت إذلال²
لمولده نور على الأرض قد بدا
غدا دونه بدر الدجى بعد إكمال³
سرى لإله العرش والليل قد بدا
من المسجد الأقصى إلى المنزل العالي⁴
بأمداحه يا نفس لوذي فإنها
شفائي من وجدك الذنوب وإبلالي⁵
عليه صلاة تملأ الأرض والسما
يحط بها وزري يخفف أثقالي⁶

¹ ورد هذا البيت نفسه في قصيدة التلاسي ببغية الرواد في ترتيب (25)؛ هكذا: ((فمن رام أن يحصي فضائل أحمد فذلك شيء لا يمر على بالي)).
² جاء هذا البيت في القصيدة الواردة ببغية الرواد؛ في ترتيب (16) هكذا: ((نبي به سدنا على كل أمة فلا أمة إلا لنا تحت إذلال)).
³ البيت نفسه ورد في قصيدة التلاسي ببغية الرواد؛ في ترتيب (18) هكذا: ((لمولده نور على الأرض قد بدا غدا دونه بدر الدجى بعد إكمال)).
⁴ ورد هذا البيت في قصيدة التلاسي ببغية الرواد في ترتيب (17) هكذا: ((سما لإله العرش والليل أيل من المسجد الأقصى إلى المرتقى العالي)).
⁵ ورد هذا البيت في قصيدة التلاسي ببغية الرواد بترتيب (24) هكذا: ((بأمداحه يا نفس لوذي فإنها شفائي من وعك الذنوب وإبلالي)).
⁶ جاء هذا البيت في قصيدة التلاسي ببغية الرواد بترتيب (26) هكذا: ((عليه صلاة تملأ الأرض والسما يحط بها وزري تخفف أثقالي)).

وبعد الرضى¹ عنه وعترته معا
وأصحابه أهل الفضائل والآل²
إلا فاسمعوا النصح الذي هو واجب
فنصح إيماني وأفضل أعمال³
أنبيوا أجيوا للخليفة إنه
لخير إمام في ذرى شرف عال⁴
إمام سرى زاده الله رفعة⁵
وفضله في القبل والبعد والحال⁶
تلمسانا أضحت به وبيمينه
تتية على كل البلاد بإدلال⁷

¹ هذه العبارة - في الأصل - غير واضحة؛ فنقلت عن بغية الرواد
² ورد هذا البيت في قصيدة التلاسي ببغية الرواد بترتيب (27) هكذا:
(وبعد الرضى عنه وعن آل بيته وأصحابه أهل الفضائل والآل).
³ سقط هذا البيت في قصيدة التلاسي الواردة ببغية الرواد
⁴ جاء هذا البيت في قصيدة التلاسي ببغية الرواد بترتيب (28) هكذا:
(أقوم وأدعو للخليفة إنه لخير إمام في ذرى شرف عال).
⁵ لم يرد صدر البيت هذا في بغية الرواد بالتام، بينما ذكر غيره هنا؛ وهو:
(نبي كريم شرف الله قدره). في بيت ترتيبه (15).
⁶ أدمج هذا العجز في قصيدة التلاسي ببغية الرواد مع صدر بيت ترتيبه (15) هكذا: (نبي كريم
شرف الله قدره وفضله في القبل والبعد والحال). بينما ورد هذا العجز المذكور؛ في قصيدة زهر
البيستان؛ بمثابة عجز للبيت الثاني من هذه القصيدة؛ وجاء في صدرها: ((وما ذاك إلا أن فيه بدا لنا)).
⁷ ذكر هذا البيت في بغية الرواد؛ بترتيب (35)؛ ولكن بعد تغيير وتنقيح؛ هكذا: ((تلمسانا أضحت
به وبيمينه تتية على فاس الجديدة والبال)).

فذاك أمير المؤمنين لنا به
سمو على من كان في الزمن الخالي¹
أتانا بجيش من رياح وعامر
وما كان فيها من ملوك وأقيال²
حماة سراة أهل بأس ونجدة
أسود عرين حاميات لأشبال
أطاحوا بنا من كل أوب ووجهة
كمثل سوار أو حلقة خلخال
هناك رأينا الموت فوق نحورنا
سيوفا وأرماحا كأنياب أغوال
وطاشت عقول الناس من هول ما رأوا
ولم يك بيننا لا خاليا³ ولا سال
وبتنا برغم اليأس منا على الرجا⁴
وقلت أيا نفسي دنا منك ترحال⁵

¹ هذا البيت؛ زائد الأبيات الخمسة الموالية؛ كلها؛ لم ترد في بغية الرواد
² الأقيال؛ مفردتها؛ القيل؛ وهو الملك أو الرئيس عند قدماء اليمن من حمير.
³ في الأصل: ((لا خليا))؛ وهذا يخل بالوزن؛ فوجب التصويب.
⁴ لم يرد في بغية الرواد؛ وقد استبدل؛ كما شرح في التعليق الموالي.
⁵ ورد هذا العجز ضمن بيت آخر في بغية الرواد؛ بترتيب (7) وجاء هكذا:
(فحرمت سلواني وحزني أبحته وقلت لنفسي قد دنا منك ترحالي)).

ولم يغن عنا جمعنا وجنودنا
وما كان فينا من رماة وأبطال¹
فلما رأينا الأمر شد نطاقه
ولا حيلة بيننا تبين لمحتال
غدا نخوه سادتنا ووزيرنا
وبعض أناس في خضوع وإذلال
وقالوا اغتفر يا أكرم الناس ذنبنا
فكم من نساء باقيات وأطفال
فمال إلى العفو الذي هو أهله
ومَن علينا بالنفوس وبالمال
63/ وفنحن به في طيب عيش وغبطة
وتجديد أفراح وفسحة آمال²
قبائل عبد الواد سعدكمُ به
ودولتكم عادت إلى أشرف الحال³
ولست أراها تنقضي عنكمُ ولا
تزالون فيها في نعيم وأفضال⁴

¹ هذا البيت؛ زائد الأبيات الأربعة المالية؛ سقطت كلها في بغية الرواد
² ورد هذا البيت بهذا الشكل في قصيدة التلاسي ببغية الرواد؛ ولكن في ترتيب (36)؛ وهو مغاير لما هو عليه في زهر البستان.
³ جاء هذا البيت هكذا في قصيدة التلاسي ببغية الرواد؛ بترتيب (37).
⁴ ورد هذا البيت - هكذا - في قصيدة التلاسي ببغية الرواد؛ بترتيب (38).

وموسى أمير المؤمنين مؤيد¹
بنصر وتمكين ويمن وإقبال²
فها أنا مذ بايعته وخدمته
أجر على أهل البسيطة أذالي³
وأطلب نفسي بالوقوف ببابه
ليرفع من شأني ويصلح من حالي⁴

¹ في الأصل: ((مأيد))؛ وهو خطأ.
² ورد هذا البيت - هكذا أيضاً - في بغية الرواد؛ بترتيب (39).
³ هذا البيت ورد هكذا في بغية الرواد؛ بترتيب (40).
⁴ هذا البيت والبيت الذي يليه سقطا في بغية الرواد.

وأجعل امدح إليه وسائلي

فذلك أولى لي وذلك أسما لي¹

- وللطالب أبي القاسم بن ميمون السنوسي موشحة حسنة²:

¹ ثمة أبيات أخرى من قصيدة التلاسي هذه؛ وردت في بغية الرواد؛ ولكنها لم ترد في زهر البستان؛ نرقمها حسب موضعها في القصيدة ببغية الرواد مع ترك الأبيات المتوافقة مع ما جاء في زهر البستان؛ وقد سبق ذكرها.

- | | |
|-----------------------------------|------------------------------|
| (1) أصبوا ورأسي بالمشيب غدا حالي | وحال لذاك الشيب لما بدا حالي |
| (2) وكيف لمثلي بالتصابي وبالهوى | وهل للتصابي أن يمر على بالي |
| (3) وعني شبابي قد تولى وقد مضى | فقلبي منه لا هنيئ ولا سالي |
| (4) علا مفريقي جيش المشيب فما أنا | جديد شبابي مذ ألمّ به بالي |
| (5) نفانس أنفاس الشباب قد انتضت | وما لي من بعد الشيبية من مال |
| (6) ونادى لسان الحال شمر إلى متي | ترى غير ناس للتصابي ولا قالي |
| (8) فجدي بحزم في نجاتك وانظري | بعزم لما فيه الصلاح لأحوالي |
| (9) ألا فارحلي قصدا لطيبة وانزلي | بها قبل أن أقضي وترفع أعمالي |
| (10) تقدم أقوام لتقيل تربها | وأصرت تسعي في عناء وتضلال |
| (11) أمن بعد أنس كان لي بجوارها | فأبلى يا ويحي لسيء أفعالي |
| (12) ترفق خليلي إن إنسا فقدته | جدير بأن أبكي عليه ويبيكي لي |
| (13) شتيع ركباً بعد ركب لطيبة | ويقعدي غيبي وكثرة أمالي |
| (14) يقرب رسول الله طاب ترابها | وأضحى لها جيد بأنواره حالي |
| (20) هو المصطفى ساد الأنام وقدره | على كل مخلوق تطقت به عالي |
| (21) حليم رحيم مؤثر متفضل | رؤوف عطوف مانج دون تسأل |
| (22) ربيع بشير الأنام أنا به | فكل ربيع فيه راحة إلال |
| (23) وهل من شفيغ غيره يرتجى إذا | عرى الناس سكر من عذاب وأهوال |
| (29) على الله في أحواله متوكل | وما إن له إلا التوكل من حال |
| (30) يشيد أمر الملك طول نهاره | وإن جته الليل البهيم يرى تال |
| (31) فكل امرئ يأتيه يطلب نائلا | يعود غنيا مثيرا بعد إقلال |
| (32) وصارمه أسد الكفاح تخافه | فها هو قتال به كل قتال |
| (33) أنارت معاليه وأشرق فضله | كبدر تيدى للورى بعد إهلال |
| (34) وأوجد عبد الواد بعد دثورها | وأظهر رسما دارسا بعد إحمال |
| (41) فإن نالني منه قليل عناية | فما هذه الدنيا وحقك إلا لي |

² وكما هو معلوم - في معظم الأحيان - ليس للموشح وزن محدد، ولا قافية ثابتة، ولا حتى روي واحد، وإنما يترك ذلك الأمر إلى ذوق الشاعر وحسن صياغته. بالإضافة إلى ما دخل عليه - مع الوقت - من كلمات دارجة؛ وتراجع شرط الفصحى فيه؛ بل تغاضوا فيه كذلك على القيود اللازمة في قواعد اللغة من إعراب وغيره. وإن كان صاحب هذه المنظومة قد أدخلها في عداد التواشيح؛ فإن هذا الفن يتفاوت النظم فيه بين الجيد والمتوسط والرديء. ومع ذلك فقد اختار ابن ميمون السنوسي الخوض في هذا الفن؛ فنظم قصيدته على شكل رباعي؛ وتنقل في أوزانه بين: (فاعلن

ففت يا شهر جميع الأشهر فاشمخ الآن إذن وافتخر
أنت في الأشهر مثل القمر طالعٌ بين نجوم السَّحر
جئت يا شهر ربيع بالمنى فلنا البشرى إلينا والهنا
وخلنا ليلة الإنس بما نصل الأفراح طول العمر

في ربيع لاح نور الحِكم وانجلا عنا غلاس الظلم
ولد المختار خير الأمم أحمد فيه سراج النشر
أحمد مولده معظم نطق اللوح به والقلم
يعلم الله بذا والأمم وكذا جاء صحيح الخبر

أحمد في الأنبياء أفضل ذكره به الحديث يحمل
كل من يجهل هذا يسأل جاء في الآي أتى والسور
إن مع الباطل خوفاً وجداً منه لما أظهر الحق الهدى
فاهتدى للرشد من قد اعتدى واعترى بعد العمى ذا بصر

سيد الرسل جميعاً أحمد فضله بينهم لا يُجحد

مفتعلن مستفعلن * فاعلن مفتعلن مفتعلن)، و(فاعلن مفتعلن مفاعلتن * فعلن مفتعلن مفتعلن)، (فاعلن مستفعلن مفاعل * فاعلن مستفعلن مفاعل)، (مفاعيلن فعولن فعلن * فعلن مستفعلن مفتعلن)، (فعلن مفاعلن مفتعلن * فعلن مفاعلن مفاعل)، (مفاعلن مستفعلن مفاعلن * فاعلن مستفعلن مفتعلن)، وهكذا دواليك؛ كما عرف في نظم التواشيح، فلامس بحر البسيط أحياناً، ودغدغ بحر السريع أحياناً أخرى، حرصاً منه على البقاء مجال التواشيح.

كلهم بفضلهم قد شهدوا قبل أن يوتي به من مضر
سُيد الدين به وسددا أوضح الرشد لنا ومهدا
أورث العمي بعدله الرؤا وبنور شرعه المشتها

63/يا له من مولد مولده هذه ليلته ترصده
سعد من مات بها بشهره جفنه عن ذوق طعم الصهر¹
ليلة الإثنين خير لمة قادها الدهر لخير ملة
شرفت من أصل نور غرة من ضيائها ضياء القمر

ليلة الإثنين لذ المشرب² ليلة الإثنين صح المذهب
ليلة الإثنين لاح الكوكب في السماء بالهدى للبشر
ياله من كوكب قد طلعا فاستنار نوره وارتفعا
عرف الحق به فاتبعوا فهو لا يخفى على ذي نظر

كم خَبِرَ الخلق من معجزة تجتلى أنوارها مشرقة
يا لها من حكمة محكمة ظهرت عند انشقاق القمر
في ذراع الشاة شيء عجب ووقوف الشمس منه أعجب

¹ رسم هذا الشطر هكذا، وبسبب غموضه؛ نقترح ما بين حاصرتين بدلاً منه؛ [سعد في مولد مشتهر].
² للحفاظ على انسجام هذا الشطر مع الشطر الموالي؛ حذفنا كلمة غامضة في الأصل؛ أفسدت المعنى؛ إذ ورد الشطر هكذا: ((شرفت ليلة الإثنين لذ المشرب)).

وحدث الضبي لا يكذب لمحمد ونطق الحجر

أوقف القاعد أيدي الأجر ما¹ صير الأعمى يرى بعد العمي
أشبع الألف بصاع بعدما أصبحوا من الطوي في كدر
ظماً الجيش روي من حينه بزلال فاض من يمينه
في حنو الجذع أو حينه حكمة وفي سجود الشجر

ليلة الإسراء بات يصعد نوره فوق السماء أحمد
ناظرا ذاك الجمال يشهد حاضرا لذي المقام الأكبر
معجزات المصطفى لا تختصر [في حديث سار أو خبراً²
فضل تلك قد حوته السير يجد الطالب ذا في السير

أحمد له الشاء الأرفع أحمد في المذنبين يشفع
يوم قول المرء ماذا أصنع وجههم رجت بالشرر
يوم حر مذهل يلتهب يوم لا ينفع فيه الكذب
أيها الغافل هذا اللعب لمتى قم فانتبه وازدجر

¹ هكذا.

² هذا الشطر غير واضح؛ وجاء هكذا: ((لا ولا طيف بعد الشجر)). وعليه فقد نظمنا بدلا منه شطرا آخر، ووضعناه بين حاصرتين، لتسهيل الفهم.

64/و/غرك الآن الرجا والأمل
فإلى كم يعتريك الكسل
عائب النفس على عيش مضى
والتزم [باليسر]¹يا باب الرضى
وألوا العزم نأوا وارتحلوا
إصحب التوبة باقي العمر
في ضلال وتولى وانقضى
واقطع الليل بطول السهر

فإن باللذة قوم سهروا
ودعوا ربهم وافتكروا
ها هو الموعد أين المهرب
عجبا [ف]ايعيد العجب²
ليلهم واعتبروا وازدجروا
عذرهم يوم دخول القبر
ما جواب من عليه الطلب
كيف يخفي³ الشمس عن ذي بصر

إنما يوقظ من ينتفض
بك يا مولاي مالي عوض
هذه الحالة قد نعلمها
من لها سواك من يرحمها
ليس في قولي إليكم عرض
يا أمان الخائف المنكسر
قبحها من حسنها أعظمها
يا مقيل عشرة المعتذر

هب⁴ أنا العبد فأنت الموءل
لم أزل منك قديما أسأل
ألإله الأزلئ الأول
ألرضى من صغري للكبر

¹ عبارة - هنا - غير واضحة؛ فعوضناها بما ورد بين حاصرتين.

² أضفنا الفاء للتوضيح والحفاظ على وزن البيت.

³ هكذا، والأفضل: ((تخفى)).

⁴ هكذا.

سيدي مولاي ذخري أملي عدتي كهفي، الجفا من قبلي
لا تؤاخذني بأسوأ عملي لم أكن لولاك بالمعتبر

فاصلح اللهم ما قد فسدا وأحمد الفتنة مهما اتحدت
وجدت نفوسنا ما وجدت لطفك الله بنا في القدر
وانصر الأسنى الإمام الضيغمي من سمت به المعالي فسما
من يحاكي الصبح إن تبسما من نواله كَوْبَلِ المطر

مضرم الهيجاء موسى البطل [منذ]¹ مرَّ بها تشتعل
من به تزها الطوال الأسل زهو تلك البيض بين السمر
ألهمام ذا الحروب الأشجعا ألكريم اللوذعيّ المصقعا²
64/ظ/الإمام الأعظم المرفعا عدة البدو ملاذ الحضر

ملكه سعوده قد ظهرت في البلاد كلها وانتشرت
نصر الدولة لما دثرت بدوام سعده المشتهر
يا له من ملك صولته لا تطاق ولا هيته

¹ في الأصل: ((من ذا))؛ وهي عبارة غامضة ولا تتسجم مع وزن القصيدة؛ لذا فقد عوضناها بما ورد بين حاصرتين، للتوضيح والحفاظ على الوزن.
² اللوذعيّ: الذكيّ الذهن الفصيح اللسان. المصقع: عالي الصوت البليغ.

ضيغم لذي الوغي وثبته وثبت الليث المهاب الذكر

يقطع الأرض كمثل الأسد بلداً في بلد في بلد

فذاب سيفه¹ أرهقه ولواء جيشه المظفر

[جال في الأرض فحاز الغلبا]² طالباً للثأر لا مطالباً

مشاركاً قد طاف أو مغارباً هكذا في الأفق فعل القمر

سخر الله له كل الورى مدّه بنصره فانتصرا

قدر الله بهذا قدراً كل شيء سابق في القدر

وللطالب الأديب أبي عبد الله محمد البطيوي عفا الله عنه³:

لك يا ربيع قدوم أشرف مولد تزهوا مطالعه بسعد الأسعد

لك يا ربيع على الشهور مزيّة عُرِفَتْ بميلاد الرسول محمد

يا شهر جئت لنا بأكرم مرسل للعالمين هدى وأفضل مرشد

من خُصَّ قَدَمًا بالشفاعة واللوى واختصَّ بالحوض الشريف المورد

بظهوره الأصنام والأوثان قد سجدت إلى الصمد العلي الأوحد

¹ ذباب السيف: طرفه الذي يضرب به.

² هذا الشطر غير مفهوم بالمرّة؛ وتعذر استخراج كلماته بالتمام، لذا فقد عوضناه بأخر، ووضع بين حاصرتين.

³ نظم الشاعر هذه القصيدة في بحر الكامل (متفاعلاً متفاعلاً متفاعلاً)، ويجوز في متفاعلاً = مستفعلن.

والنهر جف ولم يسئل والنار قد خمدت وكانت قبله لم تحمد
وقصور قيصر هدمت شرفاتها من بعد تأسيس وحسن تشيد
وارتج إيوان لكسرى عندما ظهرت براهين¹ ليوم المولد
فبيمنه فزنا بأفضل ملة تهدي لنهج الحق كل موحد
وهدى إلى سُبُل الهداية بعدما كنا بجهل في ضلال الأربد¹
فالشرك أضحى وهو في ضيق به والدين في سعد ببعثة أحمد
/65و/كم آية ظهرت له ودلائل جاءت بصدق هداية للمهتدي
منها انشقاق البدر والجذع الذي أبدى لفرقة حين توجد
وسلام أشجار إليه قد أقبلت وكلام أحجار بغير تردد
والذئب أفصح ناطقا بسلامه أدى الشهادة حين قال له اشهد
وشكى البعير له بضرٍ ومشقة² من معتد فأزال ضرَّ المعتدي
وغزالة نادت محمَّدَ إنَّ لي خشفاً أرضعه وخفت تصيدي
فأجازها من صائد قد صاها وأنالها الأمن³ السني المقصد
وله ذراع الشاة أخبر بالذي [دس له من أبشع السمّ الردي]⁴

¹ يقولون: عام أربد: أي مقحط، والربدأ: المنكرة.

² الكلمة في الأصل رسمت هكذا: ((متفة))، وواضح أنها محرفة؛ فعوضناها بالكلمة الواردة بين حاصرتين، ويشير الشاعر هنا إلى جمل لأحد الأنصار؛ شكا إلى رسول الله ظلم صاحبه؛ الذي يجيئه ويواصل العمل عليه دون انقطاع، وأورد هذه الرواية مسلم في صحيحه.

³ في الأصل: ((بالأمن))؛ فحذفنا حرف ((الباء))؛ لتصويب الوزن.

⁴ جاء الشطر في الأصل هكذا: ((قد أودعته عداه من سم رد))، وواضح أنه نسخ بشكل رديء؛ لذا فقد عوضناه بآخر وضع بين حاصرتين.

وبكفِّه لله سبحتِ الحصى بتواضع كالعابد المتجهد¹
والضرع² درَّ له ومن بركاته جاءت أنامله بأغرب مورد
وأزال عن عيني عليّ تفلّه رمداً فلم يشكوا بجفن أرمد
وكذاك³ عين قتادة قد ردها بعد الذهاب كأنها لم تفقد
وحذيفة أعطاه عود أراكة في كفه سيفاً لحرب الملحد
ولكم له من معجزات أعجزت بدلائل من قبله لم تعهد
نعم الرسول له الهداية في الدنا للمهتدي وله الشفاعة في غد
لله مولده السعيد وحسنه أكرم به من موسم متردد⁴
فليهنَّ مَوْلانا بليلة مولد طلعت بطالعتها نجوم الأسعد
أسنى الملوك أجلها المولى أبو حمو المؤيد ذو العلى والسؤدد
غيث [جرى عبر السنين]⁵ ليث الردى للمعتدي بحر الندى نور الغد
يكفي العدى في الحرب هيبة بأسه [ويراعه في السلم زاد المرشد]⁶
وإذا بدا بين الملوك بحاله مولا همُّ وهمُّ له كالأعبد
منصور رايات ويوم خلاده يحمي بقائم سيفه المتجود

¹ في الأصل: ((المجتهد))؛ وهذا تحريف يخل بالوزن.

² في الأصل: ((والدرع))؛ وهو تحريف.

³ في الأصل: ((وكذلك))؛ وهو تحريف يخل بالوزن.

⁴ لم يوفق الشاعر بكلمة (متردد))؛ وأفضل منها كلمة ((متجدد)).

⁵ هذه العبارة الواردة بين حاصرتين؛ وضعناها عوض عبارة أخرى؛ تعذر فك كلماتها، وفهم

معناها. وقد رسمت هكذا: ((الجرى للمجتري)).

⁶ رسم هذا الشطر في الأصل هذا: ((عرض ططي وسل فهند)). وهذا الكلام غير مفهوم، وعليه؛

فقد عوضناه بشطر آخر وضع بين حاصرتين؛ لتمكين القارئ من متابعة القصيدة.

من رام أن ييغ¹ عناد مليكنا تبّت يدها وما له من مسعد
/65ظ/ هذا هو الزابي الذي نطقت به الحدّثان يقهر كل باغ معتد
مفني العدى قسراً مبيد قصورهم قهراً فمنصور اللواء [المأيد]²
مولاي يا خير الملوك ومن سما فوق السماك بمجده والفرقد
أما تلمسانٌ فقد تاهت على فاس بطالع سعدك المتجدد
لا زلت من مَلِكٍ وعبد الواد في عزٍّ بدولتكم ورفعةً سؤدد
وولي عهدك عابد الرحمان من تأييد أمرك في نعيم سرمد
وتقر عينك فيه من ولد كما تعطى المراد بفضل يوم المولد
ثم الصلاة على النبي المصطفى خير الأنام الهاشمي محمد
وعلى المقام المولوي المرتضى أزكى تحيات تروح وتغتدي

ولما انقضى أسبوع المولد السعيد؛ أخبر في شأن التسديد والتمهيد.
إذ أتى رسول المذكور³؛ قد وصل لأول بلاده. فأتاه الخبر به؛ من قبل
قواده. فأمر أن يخرج للقائه؛ ليظهر عليه آية اعتناؤه. ولما وصل حضرة
تلمسان الكريمة، ووفد على خلافتها الصميمة؛ سلم على المولى أبي
حمو؛ حين دخوله؛ أمر بإنزاله، وأراه من البشاشة غاية مأموله. فأقام
بدار كرامته ثلاثة أيام؛ ثم استحضره، واحتفل له مجلساً؛ من وجوه

¹ في الأصل: ((بيغي))؛ بالياء؛ وهو خطأ نحوي؛ ويحل بالوزن.
² كتبت الكلمة هنا هكذا: ((ماند))؛ وهو محل بالوزن؛ فأضفنا الألف واللام؛ للتصويب.
³ أي: رسول السلطان المريني أبي زيان ابن الأمير أبي عبد الرحمان.

قبيله الكرام؛ وسأله عن المغرب، وأحواله؛ وخَلَعُ أبي عمر، عاقبة مآله؛ وسأله عن أحوال أبي¹ زيان ابن الأمير عبد الرحمان؛ فعرفه بجميع الأحوال، وما اتفق من التغيير، والإبدال؛ وعن أحوال حلي وفراره؛ وما اتفق من أخباره. فأخبره بجميع المستجدات². وانجر الحديث من الماضي إلى الآت. ثم سأله عن إتيانه. وبشأن حديث سلطانه. فقال: أصلح الله مولانا أمير المسلمين؛ جئت لما فيه الخيرة لجميع المسلمين، ولبني عبد الواد، ولبني مريم. بعثني مولاي للمهادنة، والموالات، والمحاسنة، /66و/ وكف اليد العادية؛ من أية جهة؛ حدثت وتحسم المدة منها متى تمت؛ وأن تكون يد الإسلام واحدة؛ على من سواهم، وقاهرة للمشركين. وما³ والأهم؛ فإن مولاي أبا زيان هذا؛ ظهر له ما لا يظهر لأسلافه؛ من إتباع العدل، وأوصافه؛ وأن تبقى المصالحة؛ على نحو ما أبرمها عمه أبو سالم؛ فإنه لا يجنح إلا إلى الجانب السالم. فقال له المولى أبو حمو: نعم ما ذهب إليه أبو زيان، ونعم السجية الأمان من السلطان؛ هذا رأي يجب أن يساعد عليه شرعاً، وينقاد إليه المسلم طوعاً؛ لا سيما ألفة كلمة الإسلام؛ التي هي عمدة الاعتصام. يا عمر بن مسعود؛ ارجع إلى مولاك بالمساعفة؛ فإنه لا تحل لنا. ولا لسوانا. المخالفة؛ وهذا من إصلاح ذات البين؛ فأين ينقلب المسلم عن

¹ في الأصل: ((بني))؛ وهو تحريف.

² في الأصل: ((المتزادات))؛ وهو تحريف.

³ هكذا.

هذا إلى أين؟ ثم قال للمذكور¹: ومن يعقد عن مولاك صلحه، ويتولى نيابته ونصحه. قال: يا مولاي؛ إنما أتيتك سعيداً، وبالكيفية خبيراً؛ فليأتك نائب سلطاني، ومقيم الدليل ببرهاني. ثم طلبه في الوداع؛ ليرجع إلى سلطانه بما أسعف به؛ من تجديد الصلح وشأنه. فعند ذلك؛ أمر له المولى أبو حمو بكسوة سنوية، ووصله بجائزة من المال مرضية؛ فرجع الرسول المذكور قافلاً؛ لمولاه ظافراً بجائزته، وبرغبة ما تمناه

قال الراوي: ولما وصل إلى سلطانه؛ وصف له ما كان من المولى **أبي حمو**، وإحسانه، وانقياده إلى المصالحة، واستحسانه. وأخذ الرسول يطنب على مدحه المولى **أبي حمو** عند سلطانه، ويخبره بما لقي من بساطة أخلاقه، وجميل إحسانه؛ وجعل يؤكد عليه؛ توكيد الموالاتة، ويعرفه الحالات. فسرّ بذلك **أبوزيان**؛ وقال إن ملوك بني عبد الواد الأعيان؛ من أولي شرف، وإحسان. وثاقت نفسه؛ أن بالمهادنة يبلغ الوطر في سلطانه، وبالمحاسنة تتأتى له الخلافة في أوطانه. ثم قال له رسوله المذكور: **66ظ/** أنه طلب منك من يعقد عنك الصلح؛ ليتجدد السرور. قال نعم؛ هذا عين المحالفة؛ وترجمت الوثيقة؛ فاختر قاضي بلده الجديد؛ الفقيه **أبا القاسم البرجي**²؛ من وجوه الطلبة الجللة؛ مجيد، رسين في الكتابة؛ وماهر في الطلبة؛ عالم بالإقدام على الخلافة؛ ممن تقدمت له الخدمة مع الأعيان، والشرفاء. ثم قال **لعمرو**

¹ أية: للرسول عمر بن مسعود.
² هو القاضي أبو القاسم محمد بن يحيى البرجي.

ابن مسعود المذكور: وأنت معه ؛ لتمام الصلح المذكور. وعندما تعين هذان الرسولان ؛ أمر ونزمار¹ بن عريف، ومحمد بن النوار² أن يسيرا لتلمسان ؛ فودعاه وارتحلا من يومهما ؛ وتوقف الفقيه³ ، وعمر بن مسعود ؛ حتى اتصلا بتحقيق خبرهما. وذلك أن ونزمار المذكور ؛ جاء برسم إحكام الشروط ، وضبط ما يكون عليه الربط ، واتفاق المربوط ؛ حتى لا يبقى إلا كتب العقود ، والإعلام على شهادة الشهود. ولما وصل ونزمار⁴ المذكور ؛ حضرة تلمسان ؛ ودخلا - من فورهما - على مولانا أبي حمو السلطان ؛ أكرم نزلهما ؛ كما جرت العادة أن يتركهما. فكان وصولهما في سادس عشر ربيع الأول ؛ فأقام (ماية وارتحل بجملة المتهجد)⁵. وعندما دخلا عليه ؛ تحدثا معه ؛ في شأن المصالحة ؛ على ما تنعقد ، وتبرم ؛ وعلى أي الشروط تقع ، وتحتكم. فقال المولى أبو حمو: على سراح بني عبد الواد ؛ إذ لم يكن له في سوى ذلك من واد. فقال ونزمار⁶ المذكور: قد حملت عن مولاي شرطك. ثم قال له المولى أبو حمو: ما شرط مولاك ؛ إنه ليضع ربطك. قال: يقول لك مولاي ؛ لا يتعدى حلي البلاد السجلماسية ، ولا يتحدث في سواها من البلاد ؛ ما دامت الخلافة المحمدية ؛ فإن تعداها ، وطلب الفساد في غيرها من

¹ كتب في الأصل: ((أونزمار))؛ والصحيح: ((ونزمار)).

² هكذا ذكر في بغية الواد؛ وقد اقتصر صاحب زهر البستان على إسم ((محمد)) فقط.

³ أبو القاسم البرجي.

⁴ في الأصل: ((أونزمار)).

⁵ هذه العبارة غبي واضحة؛ ورسمت هكذا.

⁶ في الأصل: ((أونزمار)).

البلاد؛ فيد القبيلتين عليه طائلة؛ من: بني مرين، وبني عبد الواد. وأنه متى فرّ من أحد من الخدام - من الجانبين - رد إلى جانبه؛ من غير شين. قال: نعم؛ فانظروا ما بقي لكم؛ نمضوه¹، وما تحتاجون إليه نقضوه². قال /67/ وونزومار³: يا مولاي؛ قد ظفرت - بحول الله - بالمراد، وسراح قبيلك بني عبد الواد. فطلبه في الوداع فودعه؛ بعد أن أناله - ومن جاء معه - المنفعة أتخفهما بكسوتين سنيتين، وبما أرضاها به من العين. فارتحلا - بعد ثمانية أيام - إلى سلطانهما؛ وبقي الأمر موقوف على شأنهما. فلما وصلا إلى سلطانهما أبي زيان؛ أخبراه بما كان عليه العهد؛ مع المولى أبي حمو السلطان؛ وأنهما تضامنا حفظ الشروط المذكورة؛ ولم يبق إلا الإشهاد في هذه الصورة. فعند ذلك؛ أمر السلطان أبو زيان؛ الفقيه البرجي، وعمر بن مسعود - المذكوران - بالمسير؛ ليكتب عقود المصالحة؛ من غير توان، ولا تقصير. فودعا مولاها، وخرجا؛ طالبين مدينة تلمسان؛ عاملين على حضرة المولى أبي حمو السلطان. فكان وصولهما في أواخر جمادى الأخيرة. وعندما حلّا بأول البلاد؛ وصل التعريف بهما على المعتاد؛ فبعث للقائهما من يليق؛ من وجوه حضرته، وكبار مجلسه وعترته. وعندما دخلا على المولى أبي حمو؛ أمر بإنزالهما بدار الإكرام، وأجرى لهما النفقات،

¹ هكذا.

² هكذا.

³ في الأصل: ((أونزومار)).

وما يختص بهما ؛ من الطعام. وبعد ثلاثة أيام ؛ استحضرهما ؛ بعد أن احتفل مجلساً (.....)؛¹ فهش إليهما اهتشاش² الإيناس. وتحدث معهما بما يسمع به الملاء من الناس. فسألهما عن أحوال سلطانهما، وعن عافية أوطانهما. ثم أخذ في شأن المصالححة، والموالاة، والمناصحة. فقالا له: إن مولانا أبا زيان ؛ شكر إسعافك، واستحسن إنصافك، وسره موالاتك، وأطنب على جميل حالاتك. فقال لهما المولى أبو حمو: إن أبا زيان ؛ خير من يوالى، ويعرف، ويرعى، وينصف. فأخذا في الإطناب بعضاً على بعض ؛ وأتيا من الأمداح بالنقل والفرض. ولما سكنوا إلى السكوت، وثابوا إلى عقد الصلح، والثبوت ؛ قال لهما المولى أبو حمو: أشرعا فيما أتيما بسببه، وبيننا /67ظ/ لكل واحد منا ؛ عين مطلبه. قال نعم يا أمير المؤمنين. فشرعا في الكتب من غير توثيق ؛ فعندما كمل ؛ كتب العقد المعقود ؛ قرئ على رأس الملاء ؛ من أهل الحضرة، والقاضي، والشهود ؛ فشهدوا على المولى أبي حمو ؛ بما ضمن من الشروط. فنزلت الشهادات، ووقع الإعلام على تلك الخطوط. وعندما كمل الإشهاد على المولى أبي حمو السلطان ؛ قال له الرسولان: يا أمير المؤمنين ؛ من ينوب عنك ؛ في هذا الشأن. قال: نعم ؛ الفقيه العالم المفتي الشريف، ووادفل بن عبد الله بن مسلم ؛

¹ يوجد هنا فراغ، لعل ما كان فيه هي كلمة ((حافلا)).
² هش هشاشة للشيء: سر به وفرح.

ولد الوزير المنيف. ثم دعا للشريف المذكور هذا وظيفك¹ فتولاه. ثم قال لابن وزيره: وأنت تسير معه؛ حتى يتم الأمر لأقصاه.

هذا الشريف المذكور؛ هو السيد المفتي، العالم العلامة، نخبة زمانه، وأستاذ المغرب بجملته؛ في العلم، والعمل، وما يتعلق بهما من الفضل وشأنه. اسمه محمد بن أحمد الحسني؛ تلمساني الدار، كريم الخيم والنجار. وعندما تعين الشريف، وولد الوزير؛ وأخذ المجلس حقه؛ من إبرام الصلح الشهير. أمر للرسولين بكسوتين فاخرتين سنيتين، وبدرتين من العين. ثم ودعاه؛ وهما جذلانان؛ بما ناله من تكملة الفرض، والإحسان. فارتحلا لسلطانهما؛ قابلين. وخرج السيد الشريف وولد الوزير؛ على أثرهما راحلين. فكانت وجهتهما؛ من جمادى الأولى من العام المذكور؛ تمام الصلح والسرور. ولما حلا بفاس الجديد؛ ودخلا على أبي زيان؛ الملك المجيد؛ لقيهما بالترحاب، وفتح لإكرامهما كل باب. أنزلهما بدار الكرامة خير إنزال، وتوعدهما ببلوغ الآمال. وبعد ثلاثة؛ استحضرهما لحضرته؛ بعد أن احتفل مشوره بوجوه نصرته. وسألهما عن أحوال المولى أبي حمو؛ سؤال الإيناس، والاحتفال؛ فأجابوه على حبك وودادك؛ على نحو ما كان من المقال. ثم إن قاضيه المبعوث؛ استحضر العقود المشهودة، وقرأها على الملاء الحاضرين؛ حتى سمعوا /68/ وعقودها المعقودة. ثم قال للسيد

¹ هكذا.

الشريف : هذه عقود سلطانك ؛ وردت على الكمال والتمام ؛ فلم يبق إلا الإشهاد ؛ على مثل هذا النظام. فأقام¹ إليه السيد الشريف وقال : يا أمير المؤمنين ؛ لا أحد أنصف - من نفسه - من أئمة المسلمين. ثم أخذ في الإطناب ؛ وفيما تلاه في إصلاح ذات البين ؛ من الثواب ؛ وتناول الحديث بكلام يلين النفوس ، ويذهب بالبؤس. ثم سكنت هممة الأصوات ، وطمحت الأبصار بالالتفات. فعند ذلك (...)² بنو زيان ؛ إلى شهوده وقضاته. وقال أكتبوا عني بقبول هذا الشرط ؛ كلياته ، وجزئياته. ثم أمر - عند شروع الكتبية³ في العقود - بسراح بني عبد الواد ، وفكهم من القيود. ولعمرك لقد كان على رغم بني مريم ؛ في التحقيق إلا أن⁴ الله سبحانه ؛ مدة الفسحة ، والتصديق ؛ إلا أن القهر والاضطرار ؛ يدعو المرء أن يرتكب الأخطار. فكان أول بواعث الخير ؛ تسريح بني عبد الواد ، وأول السعادة ؛ خلوصهم من دار البوار ، وقهر الأعداء. ثم أمرهم بالمسير إلى بلادهم ؛ بجملة أهلهم وأولادهم ؛ فوصل البشير بسراحهم ، وجبرهم ؛ بعد انتزاعهم⁵ . فكان وصولهم في العشر الأواخر ؛ من الشهر المذكور ؛ وذهب الله عنهم ؛ ما كانوا فيه من القهر ، والنفور. فكان جملتهم ثلاثمائة نفس ؛ دون الأولاد ؛

¹ هكذا.

² هنا عبارة محمية ؛ ربما تكون : (شرط) .

³ هكذا. ويقصد بها: كتاب العقود

⁴ يوجد في الأصل هنا فراغ ؛ لا يعرف إن كانت به كلمة أم لا.

⁵ انتزح عن دياره ؛ ابتعد عنها.

كلهم من وجوه بني عبد الواد؛ فسبحان محيي الرسوم الفانية؛ المانح
بعد البؤس العافية.

فهذا السلطان المنصور؛ المولى أبو حمو المشهور؛ أشهر الله به
قبيله، وبلغ في أعادته مأموله. قام بأن نصر قومه، وأخذ - بالجد والحزم
- فظهر، وقهر؛ واعتبر خلف سعادتهم، وأقيم لأعادتهم؛ بما تصف
الألسن؛ ما له عليهم من الفضل؛ بسلطانه وما وقىهم الله¹ به؛ من
ذلّ العدو وسنانه. فيا لها من بقية؛ ما أسعدها، ومن قبيلة؛ ما
أنجدها؛ إن يطلقوا فهم عفو لشأنه؛ وإن (.....)² فهم نشأة
/68ظ/إحسانه. ولما كمل الإشهاد؛ على أبي زيان؛ بعد تسريح بني عبد
الواد الأعيان؛ أمر لهما بكسوتين، ووصلهما بما أرضاهما؛ من
العين؛ ثم ودعهما، وانصرفا قافلين؛ وبما نالاه؛ من الحبا؛ شاكرين.
ولما وصل بنو عبد الواد؛ إلى سلطانهم؛ واتصلوا بأوطانهم؛ وصل
الرسولان؛ على إثرهم؛ بما سنى الله للجميع؛ من تيسير أمرهم.
فأتت الشعراء بالأمداح، ووقع في النفوس الانشراح، وأتت أشياخ
البلاد للتّهاني؛ وكتب العدو الشاني³. فكان من شعراء الأندلس
بتلمسان؛ الأديب النجيب اليقظان؛ أبو محمد عبد العزيز بن علي بن
يشت؛ أغرناطي الدار، ظريف الأشعار. أنشده - في المعنى - قصيدة

¹ وقاهم الله.

² كلمة هنا غير مفهومة.

³ هكذا.

حسنة؛ حزته للإكرام (.....)¹ أية غير لها إثابة الملوك الكرام. أعطاه الأمر كوباً²، وبلغه من الحبا مرغوباً. ثم أردف القصيدة؛ بمثلها في المعنى؛ فبلغه من العطية؛ ما تمنى. ثم سافر إلى الأندلس³؛ بعد الفقر غنياً، وبعد القلة ملياً. ثم بعث له من الأندلس قصيدة أخرى؛ فوجه له جائزة أسنى وأسرى. ثم لم يزل يبعث له القصائد؛ فيستظهر بها، ويرتاح إلى إنشادها بين يديه، وينصفها؛ فانتعشت حال ابن يثت ببلاده، وبصت⁴ له السعادة؛ منه بنيل مراده. وسأذكر - الآن - من قصائده أربعاً؛ لترى من شأنها منزعاً. وهذه أول قصيدة أنشدها بين يديه؛ فكانت سبب الجري، المجري عليه⁵:

عرج على الدار من سلمى نُحِيَّها

واستوقف العيس في أطلال ناديها

وناديا دارها بالجزع من كذب

حييت من دمنة راقته⁶ مغانيها

¹ توجد هنا كلمة محيت؛ حسب الفراغ الموجود

² هكذا.

³ يكتب الناسخ - في أغلب الأوقات - كلمة الأندلس بالواو بعد اللام؛ هكذا: ((الأندلوس)).

⁴ بصيَّبَرَقَ وتلألأ.

⁵ نظم الشاعر قصيدته هذه في بحر البسيط (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن). يجوز في مستفعلن = مفاعلن، ويجوز في فاعلن مفعولن، في الأعراب مفعولن، وفي الأضرع مفعولن أو فاعلن.

⁶ في بغية الرواة ((رافت)).

يا دارها والهوى يدني تألفها¹
ويافع العمر يدنيني ويدنيها
إذ قد تباعد هجرًا من يقاربها
ولا تداني بوصل من يدانيها²
كم بتُّ من شغف مضمي³ ومن أسف
أبدي الصبابة أحياناً وأخفيها
أسامر البدر من شوقي لرؤيتها
فالبدر في الأفق تحكيه ويحكيها
/69و/ [وسائل]⁴ الريح من تلقاء تلعتها⁵
إذا حدى من ربي الأبطاح⁶ حاديها
فكم طرقت حمى سلمى بذى سلم
ولذة الحب تصيني وتصيبها⁷

¹ في بغية الرواد: ((تألفنا)).

² ورد هذا البيت في بغية الرواد؛ وسقط في زهر البستان؛ إذ ترك في موضعه فراغ.

³ في زهر البستان: (مضمي)؛ وهو تحريف.

⁴ في زهر البستان وبغية الرواد: ((واسأل)). وهذا يخل بالوزن؛ لذا فقد جعلناها: ((وسائل))؛ للتصويب.

⁵ تلج تلعا وتلوعا التهار: طلع وارتفع

⁶ البطحاء؛ جمعها: بطاح، وبطائح، وبطحاوات، والأبطح؛ وليس كما ورد أعلاه في زهر البستان.

أما في بغية فكتب: ((البطحاء))؛ وهو صحيح.

⁷ في بغية الرواد: ((تصيني وتصيبها)). وهذا يخل بالوزن في التفعيلة الثالثة؛ إذ يسقط حرف سامن.

سامن.

وَحُضْتُ هَوْلَ السُّرَى فِي مَهْمِهِ قَدْ
يَقُودُنِي نَحْوَ سَلْمَى فَرَطَ حَيْفَهَا¹
إِذَا الشَّبَابُ رَدَاءٌ وَالصَّبَا أَنْفٌ
وَحَاكِمُ الوَصْلِ لَا يَصْنَعِي لَوَاشِيهَا
وَجَنَّةُ الأَنْسِ قَدْ حَفَّتْ بِزَخْرَفِهَا
وَأَكْوَسُ الوَصْلِ قَدْ دَارَتْ بِمَا فِيهَا
فَأَجْتَنِي الدَّرَّ مِنْ أَثْنَاءِ مَنْطِقِهَا
وَأَرشَفَ الرِّيقَ إِذْ أُسْقَاهُ مِنْ فِيهَا²
وَرَبَّ دَاجِيَةَ دَرَعَاءِ دَامِسَةَ
وَلَعْتُ³ مِنْ شَغْفِي أَثْنَا دِيَاجِيهَا
وَمَا سَيَجْرِي بِهَا⁴ [صَرُوحًا رَفَعْتُ]⁵
كَصَرْحِ بَلْقَيْسٍ تَمَثِيلًا وَتَشْبِيهَا

¹ في بغية الرواد: ((فرط حيفها)).

² سقط هذا البيت في بغية الرواد.

³ في بغية الرواد: ((ولجت)).

⁴ نفسه: ((وما سميري فيها)).

⁵ هذا الشطر مضطرب المعنى، ومختل الوزن؛ سواء في زهر البستان، أو بغية الرواد؛ إذ جاء فيهما هكذا: ((وما سيجري بها غير منصلت))؛ مع بعض التباين كما ورد في التعليق 3. وعلى هذا فقد غيرنا عبارة وضعت بين حاصرتين ليستقيم الوزن والمعنى معاً.

وأجرد سابح من نسل أعوج لا
 يشكو¹ الوغى² حين تشكوه [القنا فيها]³
 يعارض البرق إذ يعدو براكبه
 ويسبق الريح إذ تعدو⁴ عواديها⁵
 وإذ تقول رعاك الله كيف بنا
 إذا [انتبهت لجرحي⁶ دامياً فيها]⁷
 وبادرتك حماة الحي من كتب
 وجمعت لك دانيها وقاصيها
 فأسرتي الأزد أسد في الوغى صبر
 عند الهياج إذا ما اهتاج داعيها
 فقلت حسبك لسنا من تورّعه⁸
 كماء قريك⁹ أو من قد يضاهيها

¹ في الأصل بزهر البستان: ((تشكوا))؛ وما ورد في بغية الرواد أصح.
² في بغية الرواد: ((الوجى))، وما ورد في زهر البستان أسلم.
³ هذا الشطر مختل الوزن؛ وقد صوبناه بوضع عبارة بين حاصرتين؛ بدلا من كلمة: ((مذاكيها)) أو ((مزاكيها))، الواردة في بغية الرواد وزهر البستان.
⁴ في الأصل بزهر البستان: ((تغدو))؛ وهو تحريف.
⁵ العواد؛ مفردا العادية وهي الخيل المغيرة.
⁶ في بغية الرواد: ((إذا تنبهت الجرعا))، وهذا غير سليم.
⁷ ورد هذا الشطر في زهر البستان هكذا: ((إذا انتبهت لجرحي فيمن فيها))؛ فاختل الوزن. وفي بغية الرواد هكذا: ((إذا تنبهت الجرعا بمن فيها))، وقد اختل الوزن فيهما، وعليه فقد وضعنا بين حاصرتين شطرا يعوض ما ترك.
⁸ في بغية الرواد: ((تروعه))،
⁹ نفسه: ((قومك)).

ولست أحجم إن ثار العجاج ولا
يزال بأسى لنار الحرب يذكيها
فذو الهوى لا ترزع¹ الحرب حوزته
وإن داهته من الهيجا دواهيها
فاسمر الخط لا² تخطي مواقعه
وأسمر اللحظ منها حين لاقبها
فيا ليال مضت عنا ببهجتها
هل عطفة منك في المحيا نرجيها
لا عيش يعدل عندي عيش ذي سلم
ولا مودة سلمى الدهر أسلوها
فكم طويت السرى طيَّ السجل وكم
منيت نفسي منى راقت أمانبها
وقد نظمت ضروب الشعر ممتدحاً
نظم الفرائد تجلو الخط قاريها³
وكم عملت على أعمالٍ يعملني
وعزمة ليَ أبدبها وأخفيها

¹ كتب في الأصل بزهر البستان: ((بروع))؛ وما جاء في بغية الرواد أصح.

² في بغية الرواد: ((قد)).

³ هذا الشطر ورد هكذا في بغية الرواد؛ بينما سقطت كلمة ((الخط)) في زهر البستان؛ الأمر الذي يخل بالوزن؛ ويربك المعنى.

69/ إلى مقام إمام واحد¹ علم
كالشمس عزاً وترفعاً وتشبيها
إلى جواد إذا ما مدَّ أئمة
حكى الغمام إذا جادت عزاليها²
فلا فضيلة إلا وهو مالکها
ولا رعية إلا وهو راعيها
ولا مآثر إلا وهو لابسها
ولا مفاخر إلا هو يحويها
ولا مجادة إلا وهو موجدتها
ولا مكارم إلا وهو ثانيها³
فمن كموسى أبي حمو بن يوسف أم
من قد يجاريه في العلياء يبغيتها
ومن كموسى إذا تتلى مناقبه
قد حاز مجداً على الأنام⁴ تاليها
لم يرض بالدون من دنياه مذ سطعت
آيات سؤدده تتلى معاليها

¹ في بغية الرواة ((واحد)).
² عزَّ عزّاً وعزّازة الماء: سال. العزّ: المطر الشديد.
³ في بغية الرواة ((بانيها))؛ وهذا أفضل.
⁴ نفسه: ((على الأيام)).

كم خلة إن رآها ظل يسترها
ومنة في الورى ما زال يسديها
ونعمة في الدنا قد راح ينشرها
وزلة عن عيون الخلق يطويها¹
سمت به عن حضيض الذل همته
لما غدا لرسوم الملك يحياها
لم تلته لذة من دون مطلبه
ولا تنعم بالدنيا وما فيها
حتى تسنم في الأملاك منزلة
وحل من رتب الدنيا² أعاليها
وشاد³ ملك بني زيان ثانية
وردها دولة [خصت أهاليها]⁴
أتى بها دولة قل النظير لها
كأنما لم تدلها كفّ شانيها

¹ ورد هذا الشطر في بغية الرواد؛ بينما سقط في زهر البستان؛ حيث ورد في موضعه عجر البيت الذي سبقه؛ وهو: ((ومنة في الورى ما زال يسديها)). فأثبتنا ما جاء في بغية الرواد في بغية الرواد: ((العليا)).
² كتب في الأصل بزهر البستان: ((أشاد)).
³ جاء هذا الشطر في زهر البستان مضطرب المعنى مختل الوزن؛ هكذا: ((وردها دولة عن الأهليها))؛ وفي بغية الرواد: ((وردها دولة غرا لأهليها)). والشطران غير سليمين؛ لذا فقد وضعنا عبارة بين حاصرتين للتصويب.

فكم شكت وَصَبًا¹ مما أَلَمَّ بها
حتى شفاها من التبريج شافيتها
جرى فأدرك ما قد شاء من وطر
جَرِيَّ الجياد جرت في شأو مجراها²
فإن تكن حلبة الأَقوام³ قد سبقت
فها هو اليوم سباقاً⁴ مُجَلِّها
فمن⁵ يلد مثل موسى أو كوالده
يرى العواقب للحسنى مساعيتها
هُمُ الأُلَى جددوا آثار دولتهم
واستنقذوها ولكن من أعاديتها
يَا بَنَ الملوك الأُلَى جَلَّتْ مآثرهم
لك الإمارة تعليةا وتسميتها
ظَهَرَتْ بِالزَّابِ والزايي [به]⁶ صدعت
بأمره الكتب تصريحاً وتنبيةا

¹ الوصب جمعه أوصاب: المرض والوجع الدائم، ونحول الجسم.

² في بغية الرواة ((يجريها)).

³ نفسه: ((الأقدام)).

⁴ نفسه: ((سباق))؛ بدون تنوين؛ وهذا يخل بالوزن.

⁵ نفسه: ((فلم))؛ وما ورد في زهر البستان أفضل.

⁶ في الأصل بزهر البستان، وبيغية الرواة ((فد))؛ وهذا يخل بالوزن؛ لذا فقد وضعنا كلمة: ((به))؛

((به))؛ بين حاصرتين لتصويب الوزن.

فَصُلِّ عَلَى الدَّهْرِيَا بِنِ الأَكْرَمِينَ فَقَدْ
حَوِيَتْ مَمْلَكَةٌ جَلَّتْ مَعَانِيهَا
70/ و/مولاي حُبِّكُمْ قَدْ حَلَّ فِي خَلْدِي
فَأَنْتَ لِلنَّفْسِ مِنْ أَسْنَى أَمَانِيهَا
إِنْ غَابَ وَجْهَكَ عَنْ عَيْنِي مَشَاهِدَةٌ
فَالذِّكْرَ لِلنَّفْسِ يَجِيئُهَا وَيَبْقِيهَا
أَوْ عَاقَنِي الدَّهْرَ عَنْ تَقْبِيلِ كَفِّكُمْ
وَلَمْ أَزَلْ لِأَقْتِنَاءِ الْمَجْدِ أَبْغِيهَا
فَقَدْ¹ بَعَثْتُ كِتَابِي كَيْ يَقْبِلَهَا
يَهْدِيهِ مِنْ نَفْحَاتِ الشُّوقِ هَادِيهَا
فَهَاكُهَا بِنْتُ فِكْرِي قَدْ بَعَثْتُ بِهَا
وَلَيْسَ إِلاَّ إِلَى عَلِيَاكَ أَهْدِيهَا
أَصْحَبْتُهَا مَحْضُ وَدِي عِنْدَ وَجْهَتِهَا
فَالْحُبُّ يَجْنِبُهَا وَالشُّوقُ يَزْجِيهَا
(فَقَلْتُ لِلنَّفْسِ كَفِّي عَنْ مَعَاتِبِي
فَقَدْ حَوِيَتْ الدُّنَا² طَرَأَ بِمَا فِيهَا³)

¹ سقطت كلمة: ((فقد))؛ في زهر البستان؛ إذ ترك في مكانها فراغ.
² في الأصل بيغية الرواد: ((الدنيا))؛ وهذا يخل بالوزن. فوجب التصويب.
³ هذا البيت والبيت الذي يليه؛ وردا في بيغية الرواد؛ ولم يردا في زهر البستان.

أليس مولاي ذو الإحسان وجهني

حتى بلغت منى ما زلت تبغيها)

أعملت ركب قلوصي في لقاءكم¹

فالنفس قد بلغت أسنى ترَجَّيها²

ونلت غاية ما أمَّلت من وطر

فظلت أسحب ذيلي في الورى تيهها³

فمن⁴ يصل بأبي حمو حبائله

جادت دناه وكفت من تجنيها

فليغضُ مولاي عن تقصير مادحه

فالنفس رهن صبابات تقاسيها⁵

والقلب مشتعل والفكر مشتغل

لأجل أندلس ضاقت مناحيها

جئناك والفتنة العمياءُ تخبط في

أرجائها وعدو الله راجيها

¹ لم يرد صدر البيت هذا في بغية الرواد؛ وورد بديلا له؛ وقد تمت الإشارة إليه في التعليق الموالي.

² جاء هذا العجز في بغية الرواد ضمن بيت آخر؛ وفي ترتيب مخالف؛ هكذا:

((وظلت أنشر شعري في بساطكم * فالنفس قد بلغت أسنى تمنيتها))؛ مع تغيير في الكلمة الأخيرة التي كانت في زهر البستان: ((رَجَّيها)).

³ كلمة: ((الورى))؛ كتبت في بغية الرواد ((الدرا)).

⁴ في بغية الرواد ((ومن)).

⁵ الكلمة الأخيرة: ((نقاسيها))؛ لم ترد هكذا في زهر البستان؛ بل كانت كلمة غير مفهومة ولا موزونة.

وظلت أنشر شعري في بساطكم¹
فالنفس قد بلغت أسنى تمنّيها²
ضاقّت مسالكها مما ألمّ بها
فالدين من حزن قد ظل يبكيها
ما بين بحر خضم واعتداء عدا
وفتنة أعضلت سحقاً لبانيها
وقد تطاول أعناق العدا لها
يبغونها بالأذى³ تباً لباغيها
تبكي لها أعين الإسلام حين ترى
ما حل بالدين فيها من أعاذها
هل ناصر يرتجى عند⁴ الإله لها
أم عاضد لرسوم الدين يحييها⁵
هل مشفق راحم يرثي لغربتها
أم هل مجير من الأعداء يحميها

¹ لم يرد صدر هذا البيت في زهر البستان؛ وورد عجزه في بيت آخر؛ وجاء هكذا: ((وظلت أنشر شعري في بساطكم * فالنفس قد بلغت أسنى تمنّيها)).
² عجز هذا البيت ورد في زهر البستان مع صدر آخر؛ تمت الإشارة إليه في تعليق سابق.
³ في بغية الرواة ((الأذى)).
⁴ نفسه: ((بعد))؛ وهو تحريف.
⁵ نفسه: ((يحييها))؛ وهو تحريف.

هل منقذ من أكف الكفر حوزتها
أم كاشف ضررها المودي¹ بأهليها
أم هل معين على من سامها ضرراً
فقد جنى الحرب فيها كف جانيها
واهاً لغربتها بين البقاع فمن
لجبر صدعتها إن راح يجريها
تلك الرزية إن سدت مسالكها
وصادف الغرض المقصود راميتها
إن كنت قصرت في مدحي فعذري قد
شرحته لك تفصيلاً وتمويهاً
70/ظ/أقبل عليها وقابلها بفضلكم
فقد حوت بك تشريفاً وتنويهاً
لا زلت في أفق العلياء مرتقياً
تمضي الأوامر في الدنيا وتجريها

¹ في بغية الرواد (المؤدي).

- وقال أيضا في المعنى وبعثها من الأندلس¹:

شوق ثريٌّ بين الضلوع أواره وحوى بشعر في الفؤاد سراره
عجا لقلبي كيف باين صبره ويربعه [آماله و] قراره²
فارتاح لما راح في أحبائه من بعد ما ألوى وشط مزاره
فَلِمَ البكاء وقد دنت آماله لما دنت أوطاره ودياره
[فأصالها من]³ لاعج زفرتي ومدامعي سجما لمن أوطانة أوطاره
من يعتذر بوفى العهود وحفظها لا بد تقبل في الوفى أعضاره
من لي بعودة معهد خلفته مع أن بعدي عنه لا أختاره
حسبي تلمسان وحسن عهودها بالقلب في أبنائها استغفاره
بلد جنيت به المنى غض الجنى وفتحت لي بالندى أزهاره
فلقد رحلت عن الديار وخاطري في ربعها تحدوا به أفكاره
هل لي إلى تلك المعاهد رجعة طوبى لمن دار الأجابة داره
كم راحة قَضَيْتَهَا وَقَضَيْتَهَا في ظل [غيم أمطرت]⁴ أمطاره
أو يوم أنس في ذاره قطعها دارت علينا للسرور عقاره
لهفي على زين تضرم بالحمى قد ساعدتني بالمنى أقداره

¹ في الأصل: ((الأندلس))؛ وهو تحريف. وقال الشاعر هذه القصيدة في بحر الكامل (متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن)؛ ويجوز في متفاعِلن = مستفعِلن. ويجوز في الأعراب متفاعِلن أو قَعِلن. أما الأضرِب فيجوز فيهللنتفاعِلن، قَعِلاتن، مفعولن، فَعِلن، قَعِلن.

² تعذر استخراج بعض الكلمات في هذا الشطر. وعليه فقد عوض ما هو غامض؛ ووضع بين حاصرتين.

³ كتب في هذا الحيز؛ كلمة غير مفهومة؛ لذا فقد عوضت بعبارة وضعت بين حاصرتين.

⁴ العبارة - في الأصل هنا - غير واضحة؛ فعوضت بما ورد بين حاصرتين؛ لاستكمال معنى البيت.

والسعد يلحظنا بلحظٍ مساعد قد نال من دنياه ما يختاره
 أيه بعيشك يا حمامة خبري كيف الحمى وأراكه وغراره¹
 [فتمايلت أشجاره وتراقصت]² أطيّاره وتفتحت أزهاره
 أم أبطح الصفصاف سال بمائه فجرت تجر على الحمى أنهاره
 روض كأن النهر فيه صارم قد شيم للأفراح منه غراره
 أم جيرة العباد قد حفظوا لنا عهد الهوى أم ضيعت أسراره
 /71و/ أم ضيعوا ذمم الجوار ومارعوا عهد تقادم سره وجهاره
 فكم وإن بانوا وشط مزارهم [فعرفت فيها]³ أمنه وفخاره
 كم ليل وصل بالمنى قضيته في دوح روض أينعت أشجاره
 وما رب بلغتها في معهد طلعت علينا بالمنى أقماره
 فمتى ذكرت معاهدي بفنائها وزمان إنس قد صفت أكاره
 فالجفن يهمي للنوى من بعدهم والشوق في طي الضلوع أواره
 فأنا [إذن] لا أنثني عن ذكرهم⁴ حسب المشوق على العدّ وتذكاره⁵
 يا هل لذاك العهد بعد مضائه من عودة أم هل يعود جواره

¹ هكذا.

² هذا البيت مضطرب المعنى ومختل الوزن؛ إذ جاء هكذا: ((أرئحت أشجاره وترطت)). فصوب كما ورد أعلاه بين حاصرتين.

³ العبارة هنا غير مفهومة؛ فعوضت بعبارة أخرى بين حاصرتين؛ لتسهيل قراءة شطر البيت.

⁴ هذا الشطر مختل الوزن في تفعيلته الأولى؛ ويبدو أن كلمة - بقدر وتد مجموع (0//) - تنقص التفعيلة؛ لذا فقد أضفنا كلمة [إذن]؛ للتصويب.

⁵ ثمة خلل بسيط في آخر الشطر.

أم هل لأيام مبلغها مضت من عطفه أم هل يرى مضماره
 لم أنس يوماً موقفي بفنائيه في موكب ما إن يشق غباره
 فكأنه فلك الغزاة دائراً ومليتها قطب عليه مداره
 وكأنه وجيوشه من حوله بدر ولكن لا يخاف شراره
 جيش يدور كأنه بركابه كالزند دار على حماة سواره
 فكان أدهمه وغبرة وجهه ليل تعرى عن دجاء نهاره
 وكان أشقره يلعب بارق أو سال فوق الجسم منه نضاره
 وكان أحمره تفشي حلوه شفق الدجى فاستحسنت آثاره
 من كل طرف تحت ذمير أشوس¹ حسن لدينا كرهه وفره
 في ظل أمن تحت راية أروح طابت محامده وطاب نهاره
 ومن افتككت من الأسارى معتلا قد استبان بوجهه إصراره
 من كل مقصوص الجناح مهيصه خذلته في استرفاقه أنصاره
 أعتقتهم ورفعت من أقدارهم وفككت منهم من سجل² أساره
 أمضيت رحلهم سنام ظهره وكسوت منهم من وهت أظماره
 [فهم على سبل الهدى أجريرتهم فغدوا من الموالى هم أحراره³]

¹ الطرف هنا: الكريم من الخيل؛ من جهة الأم والأوالد. مير والدمير والدمير؛ جمعها أدمار؛ الشجاع، والأشوس: الرافع لرأسه في أنفة وتكبر.

² في الأصل: ((سجلك))؛ وهذا يخل بالوزن؛ فوجب التصويب.

³ هذا البيت مضطرب بكامله، وتنقص صدره كلمة محيت بعض حروفها؛ وجاء البيت هكذا: ((فهم على دهم الهدى عر * على حكم المولى أحراره)). وعليه فقد وضعنا بيتا آخر - بين حاصرتين - بدلاً منه، تسهيلاً لتسلسل القصيدة.

/71ظ/ملك إذا عاد الظلوم يحله غفر الذنوب إذا بدا استغفاره
 من آل زيان الذين إذا سموا فوق العلى لاحت به أقداره
 من مثل موسى في الملوك إذا انتمى ركب الأصول فصيح منه فخاره
 فازت فراح الملك منه بمالك سطعت بآفاق العلى أنواره
 رحب الجناب إذا العفاة قصدته¹ فاضت لديهم بالنوال نجاره
 ومتى كبا ذو عثرة فجوابه يكبوا الجواد وقد تقال عثاره
 شهم إذا ثار العجاج وأعملت أسد الوغي وتنمرت أذماره²
 أردى المجد وهو غير مدجج بالعزم جد والمضاء شعاره
 مولاي يا قطب الملوك ومن عدت قبلي مناقبه ويحمي جاره
 إن كان عبدك قد نوى في ربه ودنت بجمع الشمل منه دياره
 وأراح في غرناطة قتب³ النوى لما رمته إلى حماه عشاره
 مازال حبك في حشاه كامنا فالقلب نحوك حيث كان مطاره
 لم يثنه عن حبكم بُعد المدى كلا ولم تهج بكم أفكاره
 لم لا وقد أنسته ورفعته حتى اعتلا أعلى العلا قراره
 وأنلته ما سره من دهره حسب الخديم إذا أتى إقراره
 أرسلت سحب نداك يهمني سكه فجنيت روضا بالمنى أثماره

¹ هكذا.

² أذمار؛ مفردها: الذمير؛ أي الشجاع.

³ القتب؛ جمعها أقتاب؛ الرحل.

وأفضت بحرَ الجود يجري زاخراً وأنلّني فوق الذي أخّاره
فالعبد لا يثني أعنة مدحه عنكم وإن بعدت به أمصاره
فلقد ذهب من أمداحك مذهباً تتلى على مرّ الدنا أسطاره
بيدي علاك بيانه ويبينه إذ ما ترى يتلوه [بل] أسفاره¹
خذها إليك من البديع بديعة فمن البديع لديه أو بهاره²
كم شاعر ترك القريض بلاده حتى عناك فأفحمت نظاره
72/و/ وتزينت بياكم أقواله واستحسنتم بديكم أشعاره³
[فلا زمن] ⁴ حمدَ الزّمان وشكره إذ بان من صبح اللقاء أسفاره
ويرى خديمك في بساطك آمنة من دهره قد [أينعت أزهاره]⁵
وليغفرن ذنوب إن [ذي] أصبحت⁶ تجري إلى ذلك المقام قطاره
ويرى بمشورك المعظم منشدا فأراق منه نظامه ونثاره
لا زال دهرك والسعود نجية ما عاقبت أصله أثماره

¹ التفعيلة الأخيرة غير سليمة؛ إذ ينقصها سبب خفيف (0/)؛ وعليه فقد أضفنا كلمة: ((بل))؛ بين حاصرتين لتصويب الوزن.

² البهار: الجمال.

³ في الأصل: ((أشغاره))؛ بالغين المعجمة الموحدة الفوقية.

⁴ نسخت في الأصل هكذا: ((فلا لزمن)) وهذا يخل بالوزن والمعنى معاً؛ لذا فقد صوب الخلل بكلمة أخرى وضعت بين حاصرتين.

⁵ التفعيلة الأخيرة في هذا الشطر غير سليمة؛ إذ زاد بها سبب خفيف؛ يقابله: ((أو)) بأوطاره. لذا وجب حذفها لكي تسلم التفعيلة؛ وعليه؛ فقد غيرت في شطر العبارة الأخيرة؛ ووضعت أخرى بين حاصرتين.

⁶ التفعيلة الأخيرة غير سليمة؛ وينقصها فرقان بقدر سبب خفيف (0/). وعليه فد أضفنا كلمة: [ذي] بين حاصرتين للتصويب.

- وله أيضاً في المعنى؛ وبعث له جائزتها¹ إلى الأندلس؛ ولم يزل يتعاهده ببعث القصائد²:

يرى تآلق في سماء فؤادي فجرت سحائب دمعي المنقاد
فيمن ترقرق للهوى علا لي فلقد ترفق للنوى كجساد³
خلت الهوى حلوا الجنى فإذا به كره المراد مضاعف الأنكاد
خفت النوى والهجر هجر تذلل وكرهته والوصل وصل طراد
حتى تحكم فيهم حكم النوى فبقيت أندب عهد وصل سعاد
يا هل لدهر سالف من عطفه ولوصل سعدى اليوم من ميعاد
هلا سریت ولو خبالا طارقا فأبتُ شوقا بتّ في الأعضاء
[هلا شرعت بمدّ حبل الوصل في زمن بدا يدعو إلى الإبعاد]⁴
حتى أناجي من وميضك موهنا ما قد ثوى في أضلعي وفؤاد
أم هل إلى دار المحبة رجعة فأحل بين خيامها والواد
[وأرى محيا وجهه متهللاً يجلي سماحة حكمه المعتاد]⁵

¹ في الأصل: ((جازتها))؛ وهو تحريف.

² نظمت هذه القصيدة في بحر الكامل (متفاعلن متفاعلن متفاعلن)؛ ويجوز في متفاعلن = مستفعلن، ويجوز في الأعراب متفاعلن أو فعولن، أما الأضراب فيجوز فيها: متفاعلن، فعولن، مفعولن، فعولن، فعولن.

³ هكذا.

⁴ هذا البيت - كما يبدو - نسخ بشكل خاطئ، أو سقطت بعض كلماته؛ فجاء هكذا:

((مل ولو صب صبوها * أو تحت فرقا غاد))، وعليه فقد عوضناه ببيت آخر؛ وضع بين حاصرتين.

⁵ هذا البيت مضطرب المعنى ومختل الوزن؛ وكلماته غير مفهومة؛ إذ نسخ هكذا:

((وأرى أسوة وجه من الأوه يعلي * سجاياها يصبو عهاد))، وعليه فقد وضعنا بيتاً بديلاً له؛ وجعلناه بين حاصرتين؛ لتسهيل قراءة ما يليه.

ملك إذا ذكر الهياج وجدته مأوى الطريد ورافد الرفاد
يعطي الحبا قبل السؤال عفاته فخلاله أربت على التعداد
مأوى الرياح إلى السماح فنها وبدا به كالكوكب الوقاد
جدلان يملأ بهجة ومكارما أيدي العفاة وأعين القصاد
72/ظ/طلق الجبين كأنها شمس الضحى تحكيه في صور وفي أبراد
متهلل يرجى إذا ظن الجبا فتجود سحب بيانه بعهاد
فمتى نظرت لكفه وعفاته أبصرت سر البحر والوراد
وطي السماك من التواضع رفعه فسما على النظراء والأضداد
ملأ القلوب محبة شهدت له من شاسع الأغوار والأعاد
ورد البلاد مليكها أبدى سنا من آيها طوداً من الأطواد
جمع القبائل بعدما طاحت بهم أبدى التعرف بعد طول طراد
غربت شمسهم بأفق مغارب واستبدلوا الأخدان بالأصفاد
ردّ البلاد لأهلها فكأنها طلعت ذكاء سيرها المعتاد
فخرت تلمساناً به ولطالما لبست لفقدهم ثياب حداد
كانوا بدوراً في مطالع أفقها بعدت عليهم فالعباد عواد
حتى أباح لها الزمان لقائهم [وأدام وصل قد أتى بجهاد]¹

¹ جاء هذا الشطر هكذا: ((وأراح حملة صعبة المساد))؛ فكان مضطرب المعنى ومختل الوزن. لذا فقد عوض بشطر آخر؛ وضع بين حاصرتين.

ثارت بموسى سورة ملكية¹ تسموا إلى الآباء والأجداد
فأعادها غراء يسطع نورها [وافتك]² ربعها من الأعداء
فكأنما زيان قد أوصاه في أبنائه وكرام عبد الواد
حقاً على الأبناء بسط حدودهم ليطأ عليهم رائحا (أو غاد)³
عزوا بملكك قد جمعت شتاتهم وسموا وقد وافوا على الإخماد
قل للذي أبدى العداوة منهم [خابت جهودك كلها بجداد]⁴
.....
أَوْ بَعْدَمَا أَلْبَسْتَهُمْ مِنْ عِزَّةٍ ثَوْبَ التَّظَاهِرِ طَامِي الإِمْدَادِ
[وتمهدت أوطانهم وأمالهم لكنَّ فيهم من يعض الأياد]⁶
هلا بصرت زمان كنت مذمما تمسي وتصبح في لظى الأصفاد
هذا الذي فتح [البلاد] وحاطها⁷ [برعاية وحماية الأجداد]⁸

¹ في الأصل: ((ملكه))؛ وهو تحريف.
² الكلمة في الأصل هنا غير واضحة؛ وقد وضعنا بدلاً منها بين حاصرتين.
³ لم يوفق الشاعر هنا، فقد توجي هذه العبارة بما لا يقصده.
⁴ نسخ هذا الشطر - في الأصل - هكذا: ((ظفرت بذاك تخيبة الآساد)). وهذا غير مفهوم ولا
موزون. لذا فقد نظمنا شطراً آخر - لتسهيل متابعة البيت - وضع بين حاصرتين.
⁵ ترك في هذا الحيز فراغ؛ يبدو أن بيتاً سقط في موضعه.
⁶ نسخ هذا البيت في الأصل بشكر رديء؛ بحيث اضطرب معناه، واختل وزنه؛ هكذا:
((وترتب من أمانه مامن * فكفرت ما قد كان من إلحاد)). لذا فقد نظمنا بيتاً آخر؛ وضعناه بين
حاصرتين؛ لكي نسهل متابعة القراءة.
⁷ اختل وزن هذا الشطر - في الأصل - بسبب خلل في التفعيلتين: الثالثة والرابعة؛ فوجب إضافة
كلمة: [البلاد]؛ لكي يستقيم الوزن ويكمل المعنى.
⁸ نسخ هذا الشطر - في الأصل - بشكل رديء؛ تعذر فهمه، أو نسخه، لذا فقد عوضناه بنظم شطر
آخر؛ ثم وضعناه بين حاصرتين.

73/و/ من رام إطفاء النور طلعة أرداد سوء مراده بفساد¹
من كان طالبه الإله وسيفكم فوريدة زرع دنا لحصاد
لكن عفوت وسرت سيرتك التي كادت تكون سنا لهدي الهاد
وعدلت [إذ] للحلم أعدده² لجهالة الجهال والأوحاد
لا تلتفت ما جمّعوا من كيدهم أو أظهروا من مظهر الأحقاد
فلأنت منصور اللواء مؤيد مبد المهند في الطلا والهاد³
فالدهر والأقدار طوع مرادكم وبنوا الدنا من حاضر أو باد
فاحكم على الأقدار في حركاتها فلقد ظفرت بنيل كل المراد
وجرى القضاء [بها كما]⁴ أملتة وحداه طوعا نحو أمرك حاد
وعنا الزمان لأمر ملكك خاضعا وجرى بسعد دائم الأسعاد
مولاي يا خير الملوك ومن جرت أيامه عيدا من الأعياد
ما للخلافة في البسيطة غيركم فانفذ لها بعواتك الأنجاد
فلسوف تملكها على رغم العدى وتجود جودة كل قطر باد
حتى تحج ومكة في حوزكم وترى بطيبة نور أعظم هاد
ما إن لها إلا أبو حموا الذي مولى الملوك وصفوة الأنجاد

¹ ثمة خلل بسيط في التفعيلة الأخيرة.

² ثمة خلل في وزن هذا الشطر؛ سببه التفعيلة الأولى؛ التي ينقصها سبب خفيف (0/)؛ لذا قد أضفنا كلمة: [إذ] للتصويب.

³ للتصويب.

⁴ هكذا.

⁴ ترك في هذا الحيز فراغ - في الأصل - بمقدار تفعيلة؛ ينقصها حرف متحرك؛ مثل: (././.) أو (././.)، وعليه فقد وضعنا كلمة مناسبة بين حاصرتين لاستكمال معنى الشطر، والحفاظ على الوزن.

موسى بن يوسف الإمام المرتضى أمل العباد ونجبة المرتاد
والمالك الزابي [هو الذي] أخبرت¹ أن سوف يملكها إلى الأمد
أهل المباحث في الكيان ومن صفت أفكارهم كالقطب والأوتاد
فانهض لها فلأنت صاحب أمرها حتى تزلزل صفها بقياد
وبضمّ شرقيّ البلاد لغربها وتقود من لم ينف بالمتقاد
مولاي لست بقانع حتى يرى ملك الورى من طارق وتلاد
في ملك ملكك سرّمد لا ينقضي أبدا وفي الآباء والأجداد
فلقد حرقت القلب مني والحشا وسريت مسرى الروح في الأجساد
73/ظ/فلذكركم أحلى لدي من المنى والدمن من ورد الزلال لصاد
ولأنتم أسنى إذ أجن الدجى ولأنت فخري عند حفل الباد
لم لا وقد أعليت ذكرى في الورى وأنلتني في الدهر فوق مراد
وأفضت بحر الجود يزخر موجه بسوابغ النعمى ويبيض أياد
أوليتني منك الجميل تفضلا وجريت نحو كمالك المعتاد
أنستني وأنلتني ما [أشتهي]² لما هداني نحو بابك هاد
ثم أتيت في بلادي وافيًا وسنى لحظك عمدتي وعماد
في صحبتي الأمر العزيز فصح لي عزا وجاهاً سابغ الأبراد

¹ هذا الشطر مختل الوزن؛ إذ جاء هكذا: ((والمالك الزابي من قد أخبرت))، والخلل في التفعيلتين الثالثة والرابعة؛ وعليه فقد وضعنا عبارة أخرى بين حاصرتين للتصويب.
² في الأصل: ((تسيته))؛ وهذا تحريف؛ يخل بالوزن؛ ويفسد المعنى. لذا فقد وضعنا كلمة أخرى بين حاصرتين؛ لكي تسهل مواصلة القراءة.

وكتبت لي مولاي منك عناية أضحي الزمان لها من الحساد
خطبت عندك فاعتلا بخطابكم وغدا علاك الكوكب الوقاد
وحبوتني بنظار رفدك منعماً أعظم به من أعظم الأرفاد
وشفعت [الآن لي]¹ شفاعاة فأتت في الدهر سبل رشاد
ماذا عسى أثنى عليك وأنت لي من ريب دهري عترتي وعتاد
لم تنس عبدك عند بعد مزاده فجعلت رفدك [راية الأمجاد]²
من ذا يقوم بشكر ما أوليتم فهباتكم أربت على التعداد
قد طبق الآفاق عرف ثنائكم وبدا سناه بأوج كل فواد
إن كان عبدك قد وني³ في شكره وبدت لديه من القصور بواد
فالصفح منك كما عهدت سجية فاصفح فصفحك روضتي ومراد
لا زلت ترفل في ملابس غبطة ما حنَّ قُمريُّ ببانة واد

¹ في الأصل؛ ترك في هذا الحيز فراغ بقدر تفعيلة + حرف متحرك. وعليه فقد وضعنا كلمة بين حاصرتين تملأ الفراغ، وتكمل معنى الشطر.
² جاء هذا الشطر - في الأصل - هكذا: ((فجعلت رفدك من العواد))؛ وهذا يخل بالوزن. لذا فقد أضفنا كلمتين؛ وضعنا بين حاصرتين؛ للتصويب.
³ وني؛ فتر وضعف.

- وله أيضاً في المعنى بعث بها من الأندلس حاطها الله تعالى¹:

عج بتلك الرُّبى² وتلك المغاني³ واسأل الربع³ أين تلك الغواني
أَلنَجْدِ تَرَحَّلُوا أم لسلع⁴ أم⁵ أناخوا رحالهم بعمان⁶
فلعل الديار تُنبئُ عنهم أين حلّوا بظبى تلك المغاني
فلقد قُفِّرت⁷ خيام لسلمى ونأى عني⁸ بعدما كان داني
ونأى بدر حسنها عن جفوني لهف نفسي لريب⁹ هذا الزمان¹⁰
كنت أرجو الزمان يجمع شملي وأهاب النوى وهجر الحسان
وأخاف الفراق منها كما قد¹¹ خافتا منه نخلتا حلوان¹²
فإذا الدهر قد سَقَانِي كاساً من تنائي أحبتي إذ¹³ سقاني
كيف لي بالسلو عن حب رود صيرتني في ربة الحب عاني

¹ نظم الشاعر هذه القصيدة في بحر الخفيف (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن). ويجوز في فاعلاتن = فعلاتن، وفي مستفعلن = مفاعلن، وفي الأعاريض = فاعلن، وفي الأضرِب = مفعولن، وفاعلن.
² هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب - في الأصل - بزهر البستان: ((الذنى))؛ بالألف المقصورة.
³ في بغية الرواد: ((الركب)).
⁴ اضطرب الناسخ في زهر البستان؛ فكتب لسلع هكذا: ((لسلغ)).
⁵ في بغية الرواد: ((أو)).
⁶ ثمة خلل بسيط في التفعيلة الثالثة؛ بسقوط حرف ساكن.
⁷ في بغية الرواد: ((أقمرت)).
⁸ نفسه: ((الحي)).
⁹ هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب - في الأصل - بزهر البستان: ((ريب)). وهذا يخل بوزن العجز.
¹⁰ اختل الوزن في التفعيلة الثالثة.
¹¹ هكذا في بغية الرواد بينما ورد هذا الشطر - في الأصل - بزهر البستان هكذا: ((وأخاف فراقها مثل ما مر))؛ وهذا يخل بالوزن.
¹² في بغية الرواد: ((خافتها منه نخلتا حلوان)). وهذا يخل بالوزن.
¹³ نفسه: ((قد)).

وبرتني بأسهم من لحاظ تركتني صريع ما قد براني
لو عرفت¹ اللحاظ تملك فتكاً لثيناً² أعنة اللحظان
ويح من بالجفون يشكو هيماً قد عراه من النوى ما عراني
فسهام اللحاظ يا عمرو أمضى من سهام القسي يوم الرهان
فصريع الغواني أودى صريعاً ونجا في الهياج زيد الطعان
لا تزدني مع الغرام عتاباً خلني فالعتاب ما قد شجاني
لك في الناس راحة فاطرحني يا عدولي فلست تعرف شاني
بعد بعد الحبيب أرجوا سروراً ونواه قد جنّ منه جناني³
أضحك العاذلين⁴ بعدك عني ولقد سر للوشاة هواني
بلغ الحاسدون ما أملوه ورثي الشامتون مما دهاني
لهف نفسي على زمان تولى طيب ذكراه في فمي ولساني
كنت أسطو على النوى باقترابي وأباهي⁵ بساميات الأماني
فتودّ الشعري العبور دنوي ويودّ السهى رفيع مكاني
ومصلي الوصال يقصر عني ومجلىه عن لحافى وان

¹ في بغية الرواد: ((عرفنا)).

² هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب في زهر البستان: ((لثين))؛ وهذا يخل بالوزن. ولهذا السبب كتب في صدر البيت كلمة: ((عرفنا))؛ لكي تتوافق مع ما ورد في عجز البيت.

³ هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب - في الأصل - بزهر البستان: ((حسان)). وهذا يخل بالوزن في التفعيلة الأخيرة؛ إذ يسقط منها حرف ساكن.

⁴ في الأصل بزهر البستان: ((العاذلون))؛ وهو خطأ نحوي.

⁵ هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب في زهر البستان: ((وأصول)). وهذا يخل بالوزن؛ بسقوط حرف حرف ساكن في التفعيلة الأولى.

ورياض الوصال غض جناها¹ ونسيم الرضى بها متدان²
 فإذا الدهر قد عدا بنواه وسطا بي ولج في عصياني
 /74ظ/هدّ ركن الوصال منه بصد بعدما كان للتوصل بان³
 ليس عتب على قلب دهر قد عرفنا انقلاب هذا الزمان
 فاترك اللهو قد مضى فيه دهر فهوادي المشيب عين الهوان⁴
 واصرف النفس نحو مدح إمام أوحده في الذكاء والإحسان
 ماجد يملأ البسيطة نورا⁵ [وجودا به تنال] الأمانى⁶
 عمّ إحسانه البرايا فأحيا يمن يناه كل قاص ودان
 يتلقى العفاة منه بجدوى دونها البحر وانسجام⁷ العنان
 يصل المنح والعطاء ببشرٍ يهتدي من سنائه القمران⁸
 فأياديه في الورى ليس تحصى أو تحصى الأنفاس بالحسبان
 بيت ملك قد أسستّه كرام وبتته على رضى الرحمان
 من يضاهى لآل زيان يوماً وهو⁹ الصدر والملوك ثوان

¹ هكذا في بغية الرواد؛ وهو أسلم؛ بينما كتب في زهر البستان: ((جناه)).

² في بغية الرواد ((متوان)). وما جاء في زهر البستان أفضل.

³ سقط هذا البيت في زهر البستان؛ بينما ورد في بغية الرواد

⁴ في بغية الرواد ((فالهوى بالمشيب عين الهوان)).

⁵ نفسه: ((عدلا)).

⁶ بتر عجز البيت هذا في زهر البستان؛ إذ ترك فيه فراغ بقدر كلمتين؛ كما

هو واضح أعلاه. وكل ما ورد هو: ((وجودا.....الأمانى)).

⁷ في بغية الرواد ((وانسكاب)).

⁸ هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب في زهر البستان: ((الثقلان)).

⁹ في بغية الرواد ((هُم)).

يا سناء الملوك حبك فرض¹ واجب في الورى على الأعيان
يا إمام القريض والحرب والمح راب والجود والحجى والرهان²
قد دعاني إلى امتداحك حبّي غير أنني مقصّر في البيان
فامرؤ القيس لو أتاك بمدح كان عن درك بعض عليك وان³
فارض بالوزن والروي ودعني لا تؤاخذ بضعف هذي المعاني
فلوآن قد ظهرت في عصر وحي⁴ لوصفت⁵ في محكم القرآن
إن تأخرت في الزمان فرشد قد تجلى لأهل هذا الزمان⁶
من يطل مدحه⁷ مجده البرية طراً كيف تحصى أوصافه باللسان
غير أن البشير وافى بغرب⁸ منك فارتاح خاطري وجناني
وأتى بالوصال رايد بشرى فخرنا شكراً على الأذقان
واصطحبنا من السرور عقاراً تعقرهم لا عقار الدنان
فهنيئاً لي اللقاء هنيئاً قد بلغنا به المنى والأمانى

¹ هكذا في بغية الرواد؛ بينما جاء هذا الشطر في - الأصل - بزهر البستان هكذا:

((يا سمى الكليم حبك فرض)).

² اختل هذا البيت في بغية الرواد، وسقطت منه ((والمحراب))؛ فجاء هكذا:

((يا إمام القريض والحرب والجو* د والحجى والرهان)).

³ هكذا ورد الشطر في بغية الرواد؛ بينما كتب في زهر البستان هكذا:

((كان عن بعض درك عليك وان)). وهذا يخل بالوزن، ويفسد المعنى.

⁴ هكذا في بغية الرواد؛ بينما سقطت في زهر البستان عبارة: ((في عصر وحي)).

⁵ في بغية الرواد ((لوصفتهم)). وهذا يخل بالوزن.

⁶ هكذا في بغية الرواد؛ وهو أسلم للوزن؛ بينما كتب في زهر البستان: ((قد أريد بأهل هذا الزمان)).

⁷ في بغية الرواد ((مجده)).

⁸ نفسه: ((بغرب)).

75/و/فمحيالك مذ تراءى لعيني لم نخف¹ من مصارف الحدثان
واهنبا السلم² يا إمام البرايا وسراج الورى وقطب الأوان
فملوك الزمان جاءتك طوعاً تبتغي السلم جُنْحاً للأمان³
رغبوا منك في الأمان فأنعمت عليهم في السر والإعلان⁴
وتصدقت منعماً بأمان فلك السبق واعتلاء المكان
ولك الأمر فأقضى ما أنت قاضٍ وتحكم في الملك والسلطان
فلك الفضل مذ أجبت نداهم وتبعتم وصية الرحمان⁵
فَنَحَكَّكُمْ على الملوك فكلُّ قد أتاكم بالعفو والإذعان
يا ملاذ الورى وكهف البرايا وعماد الدنا وفخر الزمان
أبتغي من نَدَاكَ طَرْفاً كريماً ليس يعزى إلى الخيول الهجان
فخدِيمَ المقام قد ضاق ذرعاً بامتطاء البغال⁶ ذات الحران
فأرحني مِنْ أَمْتِطَاءِ بغال⁷ واجبر العبد مولياً⁸ بحصان

¹ في بغية الرواد: ((لم أخف)).

² هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب في زهر البستان: ((واهنبا فالسلم)). وهذا يخل بالوزن.

³ هكذا ورد هذا الشطر في بغية الرواد؛ وهو أسلم، أما الذي ورد في زهر البستان فهكذا:

((تبتغي في السر والإعلان)).

⁴ سقط هذا البيت في زهر البستان؛ بينما ورد في بغية الرواد

⁵ ورد هذا البيت في بغية الرواد كما جاء أعلاه؛ بينما جاء في زهر البستان مبنوراً؛ إذ سقطت منه

كلمات وأحرف؛ فاختلف وزنه، وغمض معناه فجاء هكذا: ((ولك الفضل مذ أهبت برأيهم * وتبعتم

..... وص..... بان)).

⁶ في بغية الرواد: ((النعال))؛ وهو تحريف.

⁷ حُرِفَتْ في بغية الرواد: فكنيت ((نعال))

⁸ في زهر البستان: ((مولي)).

كيف أبقى أمشي على الأرض هوناً أشتكي برح شدة الدميان
أو أرى في الدنا ومرتع عزي¹ مجذب أو أخاف² داء الهوان
والأمير الإمام موسى المعلى³ غير ناء ولا عطاه بوان
من يرد حوض جوده كيف يخشى في دناه اعوجاج هذا الزمان
حاش لله أن أرى ومحلي منك فاض ومعهدي⁴ غير دان
فودادي يقضي بأنك ركني وملاذي وعاضدي وأماني
فابق يا أوحد الزمان⁵ ربيعاً في العلى ما يضاعف⁶

¹ في بغية الرواة ((أو أرى في الورى ومربع عزي)).

² نفسه: ((أو أخاه)).

³ نفسه: ((وإمام الملوك موسى المعلى)).

⁴ نفسه: ((ومطلي)).

⁵ نفسه: ((الملوك)).

⁶ هكذا؛ وفي بغية الرواة ما تصاحب).

ولما (.....)¹ الرسولان، ورفع الله سبحانه (....)² والشتات؛ شاع
الخبر في الأقاليم، وفرح الخاص والعام؛ بهذا الصبح الدائم. علم الناس
أن المولى أبو حمو محظوظ بالساعة؛ مساعد بالأقدار والإرادة؛ وأن
اليمن حالف الخلافة الزيدانية، وقضى لها بالنصر؛ في السرّ والعلانية.
75/ظ/ واتصل الخبر ببلاد التوحيد³ وردّ أهل تلك البلاد⁴؛ أن يكونوا من
من جملة العبيد. فدعا أهل تدلس داعي المحبة؛ إلى خدمته، والدخول
تحت أمره العزيز وحرمته.

¹ ترك هنا فراغ يتسع لكلمة؛ قد تكون: ((رجع)).
² ترك أيضاً فراغ هنا بقدر كلمتين تقريباً؛ مثل: ((المعاناة والظلم)).
³ يقصد الحفصيين.
⁴ حرفت هذه العبارة في الأصل؛ فكتبت هكذا: ((وردت تلك أهل البلاد)).

ذكر

خدمة أهل تدلس ورجوعهم عن بيعت الموحدين وخدمتهم
المولى أبو حمزة أمير المسلمين

ولما سمع أهل تدلس المذكور بمآثر المولى أبي حمزة السلطان المنصور وأن صاحب المغرب أطلق قبيله وصالحه ووالاه¹ أيقن كل ذي لب أنه منة الله؛ لم يمنّ بها عليه سواه. هجت نفوسهم للدخول في طاعته والانتظام في سلك جماعته؛ وهم تحت بيعة الموحدين، وبجبل إمامتهم مستمكنين. ولم يكن بين المولى أبو حمزة وبين الموحدين مشاجرة، ولا مناكرة، ولا منافرة؛ فتوقف أهل تدلس في شأن الخدمة؛ لأجل بقاء الحرمة؛ إلا أنهم يرسلون قائد بني عبد الواد الذي يليهم بأطراف البلاد؛ يعرفونه أنهم يريدون خدمة المولى أبي حمزة السلطان، والإضراب عن خدمة الموحدين؛ لقلّة الأمان، أو لعلّة ما أضرت بهم في بلدهم أو اختيار النيل² مقصدهم. فعندما كاتبوا عمر بن موسى³ قائد بني عبد الواد؛ كتب القائد للمولى أبي حمزة؛ يعرفه بما عوّل عليه أهل تدلس من الخدمة والاقتصاد؛ فكتب إليه بمحاولتهم، وأن يعمل على مراسلتهم. فلم يزل يحاولهم ويحاولونه، ويراسلهم. هذا وقائدهم الموحد؛ لا شعور له بذلك، ولا يعرف ما أضمر له من المهالك؛ إلى

¹ في الأصل: ((ولاه))؛ وهو تحريف.

² هكذا.

³ عمر بن موسى المطهري.

أن تمّ الأمر بين القائد وأهل البلد؛ وتواعدوا على أن يكون الوثوب على القائد في يوم الأحد؛ بادروا حيلتهم، وأدخلوا رجال بني عبد الواد في الليل؛ واغتالوا القائد الموحد /76 و/أبي غيل؛ فدخلوا عليه البلد خدعة لقي بفجعة يا لها فجعة؛ سلب عن كل شيء، وصار شبه ميت في حي. فمن عليه قائد بني عبد الواد ببقاء نفسه؛ ولو شاء ألحقه برسمه؛ ثم صرفه في البحر إلى سلطانه؛ وتملك عمر بن موسى على أوطانه. فكان دخوله يوم الأحد الحادي عشر لصفرة [763هـ/1361م]¹. وبلغ من المكيدة - في دخولها - أسنى الوطر. فلما وصل قائد الموحد إلى سلطانه؛ أعلمه كيف عمل على خذلانه؛ ثم قال: يعطني² المحلات؛ أحاصره وأضايقه وأفاتنه وأراهقه. واتفق أن كان ببجاية جماعة من مغراوة؛ وهم الذين أجلاهم المولى أبو حمو؛ حين أظهروا العداوة؛ فساعده على العناد، وعلى حصار البلد؛ مع طائفة بني³ تدلس المذكور؛ من مصالة؛ أخذتهم النعرة بموجب هذه الحالة؛ فعمل المولى أبو حمو على حصار تدلس براً وبحراً؛ وأن يضيّق جهاتها سهلاً ووعراً. وارتحلت المحلة من رشا ببجاية إلى الخميس؛ عاملين على فساد تدلس على وجه التنكيس. فلما تحقق الخبر عند عمر بن موسى؛ حسّ لذلك حسيساً؛ فبعث إلى المولى أبي حمو؛ يعلمه بما عوّل عليه صاحب

¹ جاء في بغية الرواد؛ أنه دخل تدلس في أوائل جمادى الأولى من عام 763هـ/1361م.

² هكذا.

³ في الأصل: ((يلي))؛ وهو تحريف.

بجاية؛ من الإرجاف لأهل تدلس، والنكاية بهم؛ وأنه أراد أن يبطش بها براً وبحراً؛ وإن ظفر بها؛ فتركها قفراً. ولما تحقق المولى أبو حمو مقالة قائده؛ خاف ما يتطرق عليه من عمل الموحد¹ ومكائده؛ أمر بإخراج المحال، وأمر بالحشد في نفس الحال؛ فأتت الأحشاد، وتوافرت الأعداد. وعندما توفرت الحركة؛ أعطى الأجياد المرتبات، وانهالت عليهم البركة؛ ثم قدم وزيره الأكبر وحشام دولته الأشهر عبد الله بن مسلم؛ على محلاته؛ وأمره أن يسير إلى الأوطان ببجاية؛ ويظهر للموحد² عن معاداته.

¹ في الأصل: ((من حمل الموحد))؛ وهو تحريف.
² هكذا. أي الموحد.

ذكر

خروج الوزير المكرم عبد اللع بن مسلم للبلاد الشرقية واتصاله بالأحوال البجائية

السبب /76ظ/ في خروج الوزير عبد الله بن مسلم للجهات الشرقية، واتصاله بالأحوال الجرجرية؛ هو ما قدمناه من خبر تدلس المذكور، وما عوّل عليه الموحد من ترفيع أهلها في الشور¹. ولما سمع الموحد أن محال بني عبد الواد قاصدة إليه، ومعولة على فساد بلاده؛ وعليه أضرب عن تدلس صفحاً، وأحجم عن المراد قهراً لا صلحاً؛ خشية ما يتطرق من الأنكاد من جهة محال بني عبد الواد. فأعصى على ما في جفنه من القذى، وتحمل ما أصابه من الأذى؛ وصرف محلته لجهاته الشرقية، وترقب ما يصدر من الأخبار لعبد الوادي. فلم يزل الوزير يرحل بمحاله، وينزل تارة ويعجل وتارة يمهل؛ لا يأتي على قبيل إلا مهده، ولا بلدة إلا وأصلحه² وسدده؛ إلى بلغ³ جرجرة منبعت الوادي الكبير إلى بجاية، وأول بلاد التوحيد؛ ومن بلاده النهاية. فتزلزلت الأوطان لإتيان (.....)⁴؛ خلاف الموحد؛ من نار شيطانية؛ وطلب المسألة في بلده؛ فضلاً عن الوطن⁵. ونشأت بهذا السبب المحن

¹ رسمت هكذا.

² هكذا. والصحيح: ((وأصلحها)).

³ يريد: ((إلى أن...)).

⁴ ترك هنا فراغ؛ ربما كانت به عبارة: ((بني عبد الواد)).

⁵ هكذا ورت هذه العبارة في الأصل.

والإحن. وعندما توغل¹ في البلاد؛ أته القبائل والأعراب؛ وأناب له من لم يقل أنه قط أناب. فشرع في تغريم تلك البلاد؛ واتسع الخبر لبني عبد الواد؛ فأخذ وأعطى، وقهر ووطأ، وسدد وصلح، وأطلق وسرح، وتوغل في البلاد كيف أراد، وبلغ في الأعداء المراد. فاتته القبائل بالهدايا، وأذعنت لأحكامه الرعايا، ورغب أهل البلاد في خدمته، وثابوا إلى عدله وحرمته؛ يجباً² الجبايا من الأعراب؛ وأجرى العطايا لمن أناب³؛ وهم أن يدخل البلاد الزاوية، وأن يشهر هنالك الكلمة الزيانية. هذا كله والسعادة الموسوية⁴ تعضده، واليمن الزياني يقدمه ويرشده. فنشر بتلك البلاد أعلامه، وأنفذ في أهلها أحكامه. ولم يزل **77/و** أمره (....)⁵ بخاصها، وواصل إلى أقاصيها؛ إلى أن استوفى خروج السعة، وأنس أهل تلك البلاد بفعاله الحسنة. ولم ينته⁶ لحضرة لحضرة تلمسان إلا كتاب المولى أبي حمو السلطان. وذلك لسبب أذكره، وخبر وجب أن (....)⁷؛ وذلك أن المولى أبا حمو؛ لما صرف وزيره عبد الله ابن مسلم للبلاد الشرقية؛ لأمر تدلس المهم، وتوغل بتلك البلاد، وقهر جميع الأعادي⁸؛ بقي بتلمسان مع أعيان حضرته،

¹ أي: الوزير عبد الله بن مسلم.

² هكذا. والصحيح: ((يجبي)).

³ حرفت في الأصل؛ فكتبت: ((انات)).

⁴ نسبة إلى السلطان موسى بن يوسف سلطان بني زيان.

⁵ ترك فراغ في هذا الحيز؛ الذي يسع كلمة، ربما يصلح فيه: ((يتعزز)).

⁶ أي: (ولم يرجعه...).

⁷ كلمة هنا غير واضحة تماماً؛ قد تكون: ((نشهرة)).

⁸ في الأصل: ((الأعاد)).

ووجوه قبيله وعترته ؛ وكتب وزيره تتواتر عليه بالفتوحات ، وبشائر
ينسي ماضيها الآتي¹ في كل الأوقات ؛ إذ أتاه آت ؛ أخبره بهروب ابن
عمه محمد بن المولى أبى سعيد ؛ وأنه جاء في جيش من الأعراب شديد ،
وأنه يريد تلمسان ، وأنه أطمع الأعراب بأن يعطيهم الأوطان ، ويليهم
الموالة الكلية ، وأنهم يكونون عين الحضرة الزيانية ؛ فتاقت نفوسهم
لذلك ، فأوردهم الطمع مورد المهالك .

¹ في الأصل: ((الآت)).

السبب في هروب محمد ابن المولاي أبي سعيد المذكور وخروجه من فاس على أعين الجمهور

وذلك أن محمد هذا لم يزل تحت ثقاف بني مرين؛ من حين هلك المولى أبي سعيد نحو ثمان سنين في ذل واقتهار، وإهمال واحتقار؛ وملوك بني مرين تختلف عليه بالخلع والممات، والغدر والشتات؛ وهو - مع ذلك - يسوم نفسه من كل يوم، ويحوم على الفرار أي حوم؛ إلى أن وقعت الفترة بموت أبي سالم، وتولى أخوه أبو عمر؛ ولم يكن في سلطانه بالحازم. ووقعت هرجة حلي بن عمر بن عثمان؛ المصروف من قبل المولى أبي حمو السلطان؛ واشتعلت نار الفتنة. وأراد الله أن تذهب عنه أيام المحن؛ فخرج في حشو خباء من الباب؛ وستره الله من الوشاة والرقاب. وعندما حل بخارج البلد حيث يملك نفسه؛ علم أن الله أزال نكسه؛ فسار إلى البلاد **77ظ/السجلماسية؛** فاراً، ولنفسه في الحقيقة أصبح عاراً؛ لا يأمن من يجرده¹ إلى عدوه، ويأخذ وجهاً به؛ لشرفه في قومه، وسموه. ولم يزل يعالج وغبار² السفر إلى أن لحق بالأعراب، ودخلهم دخيلاً أن يجيره من الانتكاب؛ ثم توعدهم إن أعانوه على أخذ بلاده؛ فيجعلهم من أنصاره وأنجاده؛ ثم تسامعت به الأعراب وانجلبت إليه، وتبادرت صعاليك العرب من حينها إليه؛ فأطعمهم بما

¹ هكذا. ولعلها: ((يجره)).

² هكذا. ولعلها: بدون واو.

لم يقدر على الوفاء به ؛ ليتوصل بذلك إلى أربه. ثم اتصل خبره ببني عامر؛ أنه بالمعقل الأعراب؛ فأتاه خالد بن عامر؛ لينال به السمو، ونيل الأرب¹؛ لأن المولى أبا حمو أعطى الشياخة لأخيه شعيب؛ لما علم من وفائه، وجميع تأتية؛ فحقد لذلك خالد المذكور، وظهرت عليه من الخلاف أمور؛ فلذلك بادر بالخدمة لمحمد بن المولى أبي سعيد، وقرب عليه من الأمر البعيد، وقال له: أنا أمكنك من تلمسان؛ فإنها خالية من الفرسان؛ وأن وزير السلطان أبي حمو متوغلاً بالبلاد الشرقية؛ ونحن العرب في عصابة قوته؛ وزين له أساطيره التي سطرها، ومهدها له باللسان وغيرها؛ وعرفها ونكرها؛ ولم يقتصر به؛ أن أنزله بظاهر بني ورنيد؛ من حوز تلمسان؛ وحوله جميع العربان.

هذا خبر محمد ابن المولى أبي سعيد؛ وأما خبر المولى أبي حمو البطل الشديد؛ فإنه لما سمع؛ أمر من حينه بإخراج المحال، وحشد أهل حوز تلمسان، ومن بقي به من الأبطال؛ فتيسرت له محلة وافرة، وأحشاد متكاثرة؛ خرج على المحلة وزيره عمر بن موسى؛ حامية من الحماة يأخذ العزمة سهماً رئيساً؛ فبادره بظاهر بني ورنيد المذكور؛ وقاتله قتالاً شديداً؛ لقي الأعراب منه البون؛ ثم أن المولى أبا حمو لم يقتنع بمحلة عمران وزيره؛ إلا أنه أخرج محلة /78و/ أخرى؛ وذلك من حسن تدبيره؛ فأخرج بعد المحلة محلة أخرى سنية، وعصابة من بني

¹ في الأصل: ((الأراب)).

عبد الواد سرية ؛ قدم عليها ولده الأمير أبا تاشفين ؛ وأرسله إثر وزيره عمر بن موسى للحين. ولما اختلطت المحال على المحال، واشتدت الأبطال بالأبطال ؛ أيقنت العرب بالتلف ؛ وقدم محمد بن المولى أبى سعيد ندامة الآسف ؛ فأظهر الجلد للأعراب ؛ وتقدم بنفسه للطعان والضراب ؛ فقاتل قتالاً شديداً ؛ ولم يزل في وجه المعترك جليد¹ ؛ إلى رأت² الأعراب بأن لا قبِلَ لها به، ورأى خالد بن عامر ما لم يكن في حسابه ؛ ففرت الأعراب على أعقابها نكصاً ؛ بعد أن كان لهم في القتال شدة وحرصاً ؛ فجفلوا إجمال النعام ؛ وتبعهم الأمير أبو تاشفين بالحسام ؛ فوقع فيهم القتل الذريع ؛ وفي أموالهم النهب الشنيع ؛ وفرّ محمد المذكور ؛ يطلب النجاة برأسه ؛ والأبطال خلفه يطالبه³ في أنفاسه. ولو لا أن الأجل حماه، وأدخله في ظل حماه ؛ لكان هو وخالد من الهالكين. وتلك سعادة المولى أبو حمو سرت إلى ولده الأمير أبو تاشفين ؛ على أموال العرب بالانتهاب والسبي ؛ بعد القتل والانتكاب. أقبل بالمحلتين غانماً ؛ إلى حضرة أبيه ظافر من الأمل بما يشتهي.

هذا خبر الأمير أبى تاشفين والوزير عمران، وما كان من فعالهما في هذه الأوطان. وأما خبر الوزير عبد الله بن مسلم وشأنه ؛ فإنه توغل في البلاد الشرقية، وظهر تمكنه ومكانه ؛ يدعوا إلى الخلافة الزيانية

¹ هكذا. ولعلها: ((جَدِيد)).

² هكذا. ولعلها: ((إلى أن رأت)).

³ هكذا. ولعلها: ((نطالبه)).

أهل تلك البلاد؛ يلبونه أفواجاً وأفراداً؛ لم يدر ما وقع بوطن تلمسان، ولا بهذا الفتح العجيب الشأن؛ حتى بعث إليه المولى أبو حمو يعرفه بالخبر، وبانهزام محمد ابن المولى أبي سعيد على الأثر؛ ثم أمره بالإتيان على حضرة تلمسان؛ وأن يترك تلك البلاد، ولا ينظر لها في شأن؛ فانقلب الوزير عبد الله بن مسلم بمال وافر /78ظ/ من الخراج، وانبسطت أحوال بني عبد الواد بهذا النصر والابتهاج. ولما وقعت هذه الملاقاة الشنيعة، والمقتلة الفظيعة¹ الذريعة؛ انتشر خبرها في الآفاق، وسرت بذكرها أهل الرفاق²؛ إنكبتت الأعداء³، وسُرُّ الأولياء، وأقبلت أشياخ البلاد للتهاني، واستُسِرَّ الناس بنيل الأماني، وأتت الشعراء بالأمداح؛ لما عودوا من كريم الأشياخ⁴. فاتفق أن ورد في تلك الأيام كاتب من الكتبة الأعلام؛ بعثه سلطانه إلى المولى أبي حمو؛ في بعض مآربه؛ فوافق هذا الفتح في لنيل مطالبه؛ مع أنه وحيد البراعة؛ ماهر البراعة؛ من أفراد الإنشاء المهرة الكفاة، مذكور بالنظم والنثر، وحسن الإيقاع⁵ على السجلات. فصنع قصيدة تدل على ذكائه؛ يعني فيها المولى أبا حمو؛ على ما منح الله ولده من النصر على أعدائه؛ ويعرض بمحمد ابن المولى أبي سعيد وأعرابه بأس المولى أبي حمو وذاباً

¹ كتبت في الأصل هكذا: (الفاضة)؛ وهو تحريف.

² هكذا.

³ في الأصل: ((الأعداد)).

⁴ هكذا.

⁵ آية: التوقيع.

به. وهذه القصيدة المشار إليها. قال الفقيه الكاتب الأبلغ إبراهيم بن

عبد الله بن الحاج الغرناطي¹:

بشراك بالسعد قد وافت عساكره

والنصر قد عمّت الدنيا بشائره

والفتح قد طلعت زهرا كواكبه

في أفق عز عدت تسمو نظائره

أهلا وسهلا فهذا الصنع طالعنا

بروض نعمى يروق العين ناظره

ومرحبا بزمان نير بهج

حكّت مواردّه نجحا مصادره

وقد أتتك التهاني الغر مقبلة

كالغيث تابع سقيا الروض باكره

قل للأعارب جُو في الضلال ولم

يبين لهم من صباح الرشد سافره

¹ سُمِّيَ في بغية الرواد بـ ((أبي البركات محمد بن إبراهيم البليقي))؛ واسمه بالكامل هو: أبو البركات محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البليقي المعروف بابن الحاج (ت: 771هـ/1369م. وهو من الشعراء الممتازين ومن شيوخ ابن الخطيب، نظم الشاعر هذه القصيدة في بحر البسيط (مستعلن فاعلن مستعلن فعلن))، ويجوز في مستعلن = مفاعلن، وفي فاعلن = فعلن، وفي الأعراب: فاعلن، والأصرب: فعِلن، وفعِلن.

خلوا لجاجكم لا در دركم
فالحق أبلج بادي النور ظاهره
وأذعنوا لأمير المؤمنين أبي
حمو بن يوسف إن الله ناصره
وقد أعدّ ابنه الأرضى لحربكم
فالشبل مؤتمر والليث أمره
أتاكم للوغا رجفا وقد حنقت
رماحه وازدرت حقداً بواثره
79و/في جنح ليل عجاج قد أطل فما
غير الأسنة إذ تبدوا زواهره
حتى انهزمتم وبلا سباق أوردكم
بجراً من الموت عمّ الأرض زاخره
لله فرع يطيب الأصل طاب فما
في دوحة الملك من فرع يفاخره
يهني الإمام أبا حمو وحوله
هذا الهناء الذي طابت محاضره
من مثل موسى أمير المؤمنين إذا
علا العجاج وعمّ الأفق ثائرته

وكثرة الخيل بالأبطال صائلة
[ووحدة الصف بالآمال تؤثره¹
من مثل موسى أبي حمو إذا اضطربت
أمور ملك أرت لنا مكاسره
من مثل موسى إذا جفّ القرى وشكا
بالجوع والخوف باديه وحاضره
فخر الملوك الذي جلت مناقبه
وصارت الغاية القصوى مآثره
أعطى الألوفا ولم يعبأ بذي قبل
كان عاد له في الجود عاذره
وكرّ بالسيف للهيحاء منصلتا
[والزند² مذ رجفت خوفاً بوادره
فالغيث يوم الندى فما بدا له
والليث يوم الوغى فما يحاذره
ملك كريم حلیم فاضل شرس
ماسدّ شاطيه لكن سرّ شاكره

¹ هذا الشطر غير واضح؛ ومضطرب في وزنه وفي معناه. ونسخ هكذا:
(في مازق تبلى لمردى تبلى سرائره)).
² كلمة هنا غير مفهومة؛ فوضعنا كلمة [والزند] بدلا منها بين حاصرتين.

إذا جبا بالندى طابت مدائننا
كالروض أثر الحيا يزكو أزاهره
وزاد في عدله حمى لقد هدرت
أن تولم المرء إن جالت خواطره
وعز ملك تلمساناً بدولته
حتى لقد حط قدر النجم باهره
[مولاي يا ملك الملوك جد فأنا]¹
عبد على حبك استولت ضمائره
أدى رسالة عن أمر خير أخ
لخير ملك على التقوى بظاهره
وقد دعاك لنصر الدين معتضدا
بالناصر الملك الميمون طائره
فكن معنيا له في وقت هدنته
من قبل أن يوهن الإسلام غادره
حتى [انجلا]² السلم والأعداء قد طمعت
والكفر قد نام ما قد شاء قاهره

¹ هذا الشطر مختل الوزن في التفعيلتين الأولى والثانية؛ إذ جاء هكذا: ((مولاي وليك من أرجاء أندلس)). وعليه؛ فقد صوب الخلل؛ من خلال الشطر الذي نظمناه؛ ووضع بين حاصرتين.
² ترك هنا فراغ؛ بقدر وتد مجموع (0//)؛ فملئ بكلمة مناسبة؛ وضعت بين حاصرتين.

أنت المرجى أمير المؤمنين بما
فيه الصلاح الذي تغني دجائره
وأنت مولاي بعد الله ناصرنا
على العدو الذي دارت دوائره
/79ظ/وقد أتيت بمدح فيك منتظم
قد طاب أوله طولا وآخره
فمد كف قبول منك تكفيني
به اعتناء لسان الحمد ذاكره
واعلم بأن رسول الله فاز بها
رجا من الجود والإكرام شاعره
لا زلت في دولة تعلوا مراتبها
مازال ربيع الحمى بالشوق زائره
والله يبيحك ما انهلّ الحيا وسرى
عرف النسيم جلى للروض عاطره¹

ولما قرأ هذه القصيدة بين يديه، وأشار بالنيابة فيها عن سلطانه
إليه؛ أمر له بكسوة سنية، وبلغه في الجبا غاية الأمانة، وقضى له
جميع مآربه، وما رغب من مطالبه؛ فأثنى عليه بلسان شاكر، وقلب

¹ جاء هذا الشطر - في الأصل - مختل الوزن؛ هكذا: ((عرف النسيم مجليا للروض عاطره)). وقد عوض بما ورد أعلاه بين حاصرتين.

جدلان بما نال من بحر نداء الزاخر. ثم تواترت الأمداح عليه، وقصد من كل مكان إليه؛ فنال كل أحد منهم ما كتب له وبلغه في مقصده أمله. وفي هذه السنة كثرت الفتن ببلاد الأندلس، وطمع فيها كل صائل من أهل الصليب. نكس قتل سلطانها أبو الحجاج، ثم خلع ولده محمد؛ فامتد أليم (.....)¹، واستولى عليها ابن عمه؛ ثم فر هارباً بعد استقلاله وحكمه؛ وفرّ الآخر لجهة الفنش؛ برأسه مع عترة من أهل نجدته وبأسه؛ وتعاضم أمر الفتنة، وضافت الأندلس لهذه المحنة. ولولا أن الله تداركهم بعفوه؛ لاستولى عليها الفنش الطاغية، ولذهبت وتلاشت؛ حتى لم يبق منها باقية. فخاف أهل الأندلس من وقوع هذه الفتن ومن الجلاء في البلاد والمحن؛ فجعلوا يبعثون بالقصائد إلى ملوك العدو؛ يترجمون عن أحوالهم ويطلبون نصر الدعوة. فبعثوا لأهل المغرب قصيدة يطلبون الإنجاد، وبعثوا بأخرى للمولى أبي حمو سلطان بني عبد الواد؛ ويستعطفون إخوانهم المسلمين أن يمدونهم² بالدعاء، بالمعونة على الطغاة الكافرين؛ لعلمهم بالمولى أبي حمو صاحب القبلة؛ أنه أهل لكل جميل في كل فعله؛ لعل أن يصلهم /80/ بما يقصدون بلادهم، وأن يواسيهم من صدقاته وأرفاده، ويعرفون أن الطاغية الفنش - قصمه الله - شديد التكالب عليهم؛ يريد الإيقاع بهم، والتوصل إليهم؛ فطلب الإرجاف عليهم برجله، وحمله في نهاره وليله؛ ولا

¹ كلمة هنا غير واضحة، ولعلها: [الخصام].
² هكذا. والأفضل: أن يمدوهم.

سيما حين وقع هذا الخلاف، ورميت الأندلس بالإرجاف. فهم من شدة المخالفة؛ كادت قلوبهم تحترق؛ لئلا يظفر بهم؛ فيكونوا تحت رق؛ جبر الله صدعهم؛ ولا يعرف جمعهم؛ وأن يعينهم على ما أولاهم من الجهاد؛ وأن يجعل الكلمة بهم باقية فيهم؛ إلى يوم ينادي المنادي؛ بمنه وكرمه¹:

هل من مجيب دعوة المستنجد

أم من مجير للغريب المفرد

هل من ولي ناصر دين² الهدى

أو ذي حمى يحمي حنيفة أحمد

هل من معين أو كريم يرتجى

أو مرشد أو مسعد أو منجد³

هل من جواد في الزمان مؤمل

أو آخذ عند الشدائد باليد

هل راحم لعصابة مقطوعة

ما بين أعداء وبين مزيد⁴

¹ لم يشر صاحب زهر البسان هنا لقائل هذه القصيدة؛ فوجب التوضيح بأن صاحبها هو أبو البركات محمد بن إبراهيم بن العباس بن المرداس الأندلسي المعروف بابن الحاج البلقيقي، وهي في بحر الكامل (متفاعلن متفاعلن متفاعلن)، ويجوز في متفاعلن = مستعلن. وفي الأعراب: متفاعلن، وقولن. وفي الأضرِبِ فعلاتن، ومفعولن، وفعلن، وقولن.
² كلمة: (دين) سقطت في بغية الرواد؛ فاختل الوزن فيها.
³ في بغية الرواد: ((أو مسعد أو مرشد أو منجد)).
⁴ نفسه: ((ما بين أعداء وبحر مزيد)).

هل ناظر فيهم بنظرة رحمة
يرجو بها نيل الشفاعة في غدٍ
هل واصل لذمامهم أو سامع
لصريخهم في نصر دين محمد
هل من طيب ماهر متدارك
رمق الجزيرة قبل حثف مجهد
تالله إن لم يأتها فرج ترى
منها¹ لطائف صنعه فكأن قد
أين الألى شادوا المعقل قبلنا
فيهم² يحق لعقل أن يقتدي
لعبت بهم أيدي الزمان فأصبحوا
ما بين نائي الدار أو مستبعد
أين الألى عمروا البلاد ومهدوا
أرجاء هذا القطر أي تمهد³
أين الألى كانوا بها في غبطة
واستوطنوا في ظل عيش أرغد

¹ في بغية الرواد: ((فيه)).

² نفسه: ((فيهم)).

³ هذا البيت والبيت الذي يليه؛ سقطا في زهر البستان.

هذا وآماد البلاد فسيحة
وقواعد الإسلام ذات تعدد
إيه وكيف وما بقي فيها سوى
ما عُدد في التمثيل شبه المربد
لا غرو إن ضاقت بنا أقطارها
واستنزلونا للحضيض الأوهد
والعقد إن تنثر جواهر سلكه
متبدد لا شك أي تبدد¹
هذا الصليب تكالبت عباده
وسطت على توحيد كل موحد
80/وتناولت أعناقها لما رأت
نار الخلاف [شرارة] لم تخمد²
فاستشعرت³ أشياعها وجموعها
واستكثرت من كل باغ مفسد
واستقبلت أرجاء أندلس وقد
غص الفضاء بكل طاغ معتد

¹ هذا البيت سقط في زهر البستان؛ وترك في مكانه فراغ.
² في زهر البستان: ((شر))، وفي بغية الرواد: ((شارة))؛ وفي الحالتين ويختل الوزن؛ لذا فقد صوبنا الخلل بكتابة كلمة: [شرارة] بين حاصرتين.
³ في بغية الرواد: ((واستنفرت)).

مستظهرين على البلاد وأهلها
بعظيم جيش مثله لم يعهد
مستضعفين لحرب¹ أنصار الهدى
والله من دون الطغاة بمرصد
فاستخلصت بعض المعامل يا لها
من حسرة سرّت قلوب الحُسدِ
لكنها ضاقت صدور أولي النهى
لمصابها من ترحة وتوجد
ولقد تعلقت المطامع بعدها
بأجل قطر فوق أوج الفرقد
قفل الجزيرة بابها وركابها
لم لا ومنه الفتح لا شك ابتي
هو عدة للمسلمين وملجأ
وملاذ أمنٍ أو مقام تعبُد
فيه الجهادُ تَفَتَّحَتْ أبوابه
والتأح نور الرشد فيه لمن هُدي

¹ في بغية الرواد: ((لحرب))؛ وهو تحريف.

لولاهُ لم يُلق¹ السبيل لوارد
كلاً ولم يسهُل² مرام الوُفدِ²
من مبلغ عنا أيا ساجدا³
بالقبلة الغراء خير مؤيد
أسرى بني زيان من آل الهدى
وأجل من يرجى بخطب منكذ
الكافل المولى أبا⁴ حمو الذي
يحمي الذمار ولا يخيب مجتد
ويجير من خطب الزمان وصرفه
ويكفّ عادية العدو المعتد
الواهب الآلاف تقدأ عندما
يسعى عداه ولا يؤخر للغد
من بلغ أخوان صدقِ دونهم
لُجج البحار نداء داع مرشد

¹ في بغية الرواد: ((لم يُلَفَّ)).

² هذا ما ورد في بغية الرواد؛ بينما بتر الشطر في زهر البستان؛ فكتب منقوصاً هكذا: ((كلا ولم ام الوفد)).
³ هكذا. وثمة خلل بسيط في عروض البيت (تفعيلة الصدر الأخيرة). وهذا البيت؛ زائد الأبيات
الأربعة الموالية؛ كلها سقطت في بغية الرواد؛ بينما وردت في زهر البستان.
⁴ هكذا

مستنصراً لعصابة الإسلام في
أقصى البلاد فهل له من مسعد
إننا بأندلس نعالجُ معضلاً
من داء ذا الخطب¹ المقيم المقعد
يمسي² ونصبح في مقارعة العدى
ونروح في ريب الزمان وتغتدي
ولطالما عودتمونا منكم
صنعاً جميل القصد عذب المورد
طوراً بإمدادٍ وإرفادٍ فكَم
لكمُ على هاذي الجزيرة من يد
81/ أو تارة بإعانة منكم لنا
بالسمهرية والقنا المتقصد³
والآن قد قطع الزمان بجوره
ما بيننا من عهدنا المتأيد⁴

¹ هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب - في الأصل - بزهر البستان: ((والخطب))؛ وهذا يخل بالوزن.

² في بغية الرواد: ((نمسي)).

³ في زهر البستان: ((المقصد))؛ وهذا يخل بالوزن. ويضعف المعنى.

⁴ في بغية الرواد: ((التأكد)).

أسلمتمونا للعادة فكان¹ من
نبد الإخاء يكون غير مُفَنِّدٍ
حاشا وكلاً أن تخيب ظنوننا²
في صدق ودِّكمُ وحسن المقصد
ولتقبلوا بوجوه لحظكمُ على
من ينتمي لكم بصدق³ تودُّدٍ
وتزودونا بالدعاء فإنه
نعم البلاغ حقيقة لمزودٍ
هذا أقلُّ حقوق إخوان الصفا
أمثالكم في غيبة أو مشهد
ولئن نسيتمُ عهدنا وذماننا
وبدا لنا من ذاك⁴ ما لم نعهد
فلنصبرنَّ على الزمان وريبه
بتجلُّد الأحرار⁵ أي تجلُّد

¹ في بغية الرواد: ((أَنْ)).

² نفسه: ((ظنوناً))؛ وهذا يخل بالوزن.

³ هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب في زهر البستان: ((يصدق)) وهذا يخل بالوزن والمعنى معاً.

⁴ في زهر البستان: ((ذلك))؛ وهذا يخل بالوزن.

⁵ هكذا في بغية الرواد؛ وهو أفضل، بينما كتب في زهر البستان: ((الأحزان)).

مولاي يا رب العباد ومن له
تعنوا وجوه الراكعين السُّجِّدِ
بجلال قدر المصطفى خير الورى
هادي الأنام إلى الطريق الأرشد
ذي الفخر والشرف¹ الصميم المنتقى
في ذروة البيت الرفيع السؤدد
شرف الوجود وصفوة الله الذي
ذخرت له دار النعيم السرمدي
أزكى البرية محتداً وأجل مَنْ
ينمى إلى علياء ذاك المحتد
معنى الكمال² وسيد الإرسال في
يوم الحساب ويا له من مشهد
خير الأنام وخير من وطئ الثرى
وشفيح هذا الخلق يوم الموعد
المصطفى والمرتبى والمجتبى
والمستعد لهول يوم المشهد

¹ في بغية الرواد: ((الحسب)).

² نقل صدر البيت هذا عن بغية الرواد؛ لأن هذا الشطر في زهر البستان؛ بتر منه بعض الأحرف في أوله؛ إذ ترك فراغ في أول الشطر؛ وكتب في آخر الفراغ حرفان؛ هما: ((لي)). فجاء الشطر هكذا: ((.... لي الكمال وسيد الإرسال في)).

أنت الذي ترجى لدفع ملامة
عمت بها البلوى وخطب¹ مؤيد
فأشتر على هاذي الجزيرة رحمة
تشفي بها صدر الشجي المكد
واصرف طوارق فتنة عن أهلها
قد سل فيها كل سيف مغمد
وانصرهم النصر العزيز بها ولا
تقطع عوارف فضلك المتعود
وارحم ضراعة من بها من ذي نوى
ألف التغرب بالمكان الأبعد
وأعز دين الحق حتى لا يرى
في أرضها للشرك موضع مسجد
81ظ/وأمد بالتأييد من يحيي حمي
دين النبي فانت خير مؤيد
وأقر للدين الحنيف قراره
رغماً على أنف الشقي المبعد
واشمل جميع المسلمين برحمة
وتجاوز وتلطف وتعمد

¹ هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب في زهر البستان: (وحطت)؛ وهذا يخل بالوزن.

وامدد ظلال الأمان في أرجائهم
ما بين ساحة مُتَّهَمٍ أو مُنْجِد
صل¹ الصلاة على النبي محمد
من لم نكن² لولا هداه لِنَهْتَدِي

ولما أنشدت هذه القصيدة بين يديه؛ رق لها رقة ذي أشجان،
وطرب لسماعها طلب الولهان، وذرفت عيناه بالدموع، ونزع إلى
الإيثار عليهم أي نزوع؛ وقال لمبلغها إليه - بعدما أفضل عليه - لأصلن
حبل الأندلس بجبلي، ولأجعلنهم إن شاء الله من جملة قبيلي وأهلي.
ثم أمر بكتب الأوامر للسواحل، ولمن ببلادها من قائد وعامل؛
بتسريح أسياف الزرع للتجار؛ وأن يشتروه من أيه ما شاء؛ وأمن
البوادي والأمصار؛ وأن يطلق أيديهم على شراء الخيل في بلاد،
واختيارها لغدوة الأندلس على وفق مراده. ثم توعدهم بأن يصلهم من
زرع بلاده بما يحتاجون إليه، وبمعونة سلطانهم إذا جلب العدو عليه؛
ثم لم يزل يعاملهم بعد إنشادها بالجميل، وحملهم على الاعتناء
الجميل؛ ويوالي تجارهم في بلاده أتم الموالاة، وتجرهم على أحسن
الحالات.

¹ في زهر البستان وبغية الرواد: ((وصل)) وهذا يخل بالوزن فيهما معاً. وعليه؛ فقد حذفنا حرف
العطف ((الواو)) لتصويب الوزن.
² هكذا في بغية الرواد؛ وهو أفضل؛ بينما كتب في زهر البستان: ((يكن)).

وفي هذه السنة توفي المولى أبى يعقوب يوسف بن عبد الرحمان ؛
والد مولانا المولى أبى حمو السلطان. خبره مستوفى إلى آخره ، وبعض
ما ظهر من مآثره.

ذكر وفاة المولى أبي يعقوب برت اللخ ضريح. وغسله بماء الرخمة والدوب

قد تقدم ذكر المولى أبي يعقوب، ونزوله حاصراً للجزائر مرتين،
وسدّه عليها حتى بلغ المرغوب. اعلم أن المولى أبا يعقوب لم يزل
بالجزائر؛ من حين استولى عليها، وصرفه المولى أبو حمو - ولده -
إليها؛ في أرغد عيش، وعافية **82** و/ونعمة من الله سبحانه صافية؛ إلى
أن مرض المرض الذي منه.. وكان ما كان؛ من أمر الله سبحانه الذي
لا محيد عنه. كان هذا المولى أبو يعقوب ملكاً صالحاً، وإماماً للرعية
ناصباً؛ يكرم الرعية ويرعيها¹، وينصب في مصالح مسعاها؛ كثير
الكرم، شريف الهمم، وحيد في زمانه على الشرف في سلطانه؛ سجاياه
علم وعفاف، وأحكامه بذل وإنصاف؛ أشاد به أهل الجزائر؛ فأحسن
إليهم، وأفاض الكثير من النعم عليهم؛ أوسع أهلها عدلاً،
وأرضاهم قولاً وفعلاً؛ اتخذهم أهلاً وعشراً؛ فكانوا له عبيداً؛ وكان
هو عليهم ملكاً كبيراً؛ تشرفوا بجلوله جزائرهم، وحسنت بقدمه
بواطنهم وظواهرهم؛ أنساهم سير أسلافه الكرام، وأحثا من يأتي بعده
إلى يوم القيام. أقام بين أظهرهم تسعة أشهر كاملة؛ بلغ فيها كل أمل
أمله. دخلها في أوائل شهر القعدة، وخرج في أوائل شعبان مريضاً في

¹ هكذا. يقصد: ويرعاها.

شدة؛ أصابه المرض في أوائل رجب، وتمادى عليه إلى شهر شعبان؛ فلقي منه النصب. وعندما كتب إلى مولانا السلطان بشدة مرضه؛ أراد أن يكون بتلمسان عنده حتى يبرى من مرضه. ثم كتب إليه أنه على شفا جرف من الدنيا؛ وقل ما سلم من التلف. فتحسر لما أصابه؛ إذ لم يكن لمحضره مرضه؛ ليلبغ من صالح دعائه غرضه. فبعث له من وجوه قبيله شيخين بإتيان به لتلمسان؛ ليتشفى من رؤيته؛ قبل أن يدرج في الأكفان. (وبرد خبر¹ الفراق؛ وأن ينقلاه ومن معه من الدخلة والأولاد؛ وأن لا يتركاه في تلك البلاد. وقال لهما: إن قدر على الركوب فليركب في محارة²؛ وإن لم يقدر على الركوب؛ فيحمل على رقاب الرجال؛ أرفق في السيارة. فصنعت له محارة من الخشب التابوت؛ لا تميل ولا يحس المحمول فيها أليم التعب؛ يحملها عشرون رجلاً؛ لا يذوق فيها نصباً ولا وجلاً. ثم فرشت له بالملف والقطن والحريير؛ فصارت /82ظ/ شبه المهد والسرير؛ وجعل وظيفة حمله على القبائل؛ من قبيل على قبيل؛ كما يفعل الملوك الأمثال. وكان ذلك في زمان الحرّ القوي. فأمرهم أن يسيروا³ به في الأبرد بين الغداة والعشي. ولما كملت آلات حمله أركبوه⁴ من بيته في التابوت؛ على راحلة⁵. وخرج من

¹ ترك في هذا الحيز فراغ؛ بقدر كلمتين؛ قبل عبارة مبتورة.

² المحارة؛ هي محقة تحمل على جمل؛ تغطي بأوشحة من القماش

³ في الأصل: ((فأمرهما أن يسرا))؛ وهو خطأ.

⁴ في الأصل: ((حملة ركياه)). وهو خطأ.

⁵ نسخت هذه الكلمة بشكل رديء؛ فجاءت هكذا: ((راسله)).

الجزائر؛ وبين يديه: الفقهاء والوجوه والكبراء والأمناء وأهل البلد؛
يكون لفراقه، ويلهفون لشدة ما يصيبهم من اشتياقه؛ فحملوه إلى
حنبس من ظاهر الجزائر؛ حيث محلة مضروبة بذلك الظاهر؛ فلما
أجازوه في تابوته بوسط أخيبته؛ اشتد به المرض؛ فبات ليلته في الموضع
المذكور؛ وفي غد أصبح من أهل القبور. فوجد أهل الجزائر لفقدانه
وجدان الثكلى؛ وكانوا أحق بذلك وأولى. كان لأهل الجزائر أباً رحيماً
وظلاً يستظلون إليه بارداً وكرماً؛ لا يسهم في أحوالهم معه حيف، ولا
يقلقهم سل سيف. أعاد أيهم نظيرة الشباب، ومحاسنهم جديدة الثياب.
فأيامه غير محجلة، ومكارمه عطيات معجلة؛ أقام بها العدد المذكور
من السنة؛ فكانت المدة كأنها سنة فيا حسرة الدين والدنيا على المولى
أبي حمو. وباشر ما لقي أهل الجزائر بعده من مفارقه المحبوب بور.
فسبحان من لا يعتربه المنون، ولا يخفى عنه ما تخفي الصدور وتخون
العيون. ولما قضى رحمه الله نجه وصبره؛ لما أراد وأحبه؛ نقل على
تابوت المقابر؛ كما سبق في سابق المقادر؛ فانتفض به تبادراً لتلمسان؛
رهين الخشب والأكفان؛ وتلي عليه من سورة الرحمان أجمل كلام؛
(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ❖ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)¹. ولما
وصل حضرة ولده؛ لقيه بخارج تلمسان على قدميه؛ موقراً له ناكس
الرأس بين يديه؛ كأنه بين يديه في قائم حياته؛ وممثلاً أمره كما كان في

¹ سورة الرحمن؛ الآيتان: 26 - 27.

كل أوقاته ؛ وجعل حرمة ميتاً كحرمة حياً ؛ وطوى أحشائه على
83/ و/نار فقدانه طيلة دفنه بدار أبي عامر؛ وأنجزها مقبرة من المقابر.
ولما أودعه بطن أمه ؛ وجد عليه ؛ وكادت أن تقبض نفسه من غمّه. ولما
أودعه البلقع الذي لا أنيس به إلا العمل، ولا زائر إلا رحمة من عليه
يتوكل ؛ أمر أن يشرع بإزاء روضته مدرسة لقراءة القرآن والعلوم، وأن
ينفق فيها من الحلال المعلوم ؛ فافتتحت مدرسة مليحة البناء، واسعة
الفناء ؛ بنيت بضروب من الصناعات، ووضعت في أبداع الموضوعات ؛
سمكها بالأصبغة ؛ مرقوم، وبساط أرضها بالزليج مرسوم، وجنانها
بالصناعة الحباسية موشاة، وزليج أزهرها من أبداع الشيات، غرس
بإزائها بستنتين¹ تتبعها ؛ ونقل لها أصناف المشمومات التي تروق حضرة
أفئانه. صنع فيها صهريجاً مستطيلاً ؛ وعلى طرفيه من الرخام حصتان
يطردان مسيلاً ؛ فيا لها من بنية ما أبهجها، وأشكلها وأحسنها شكلاً
وأجملها ؛ أقامها في اليسير من الشهور والأيام ؛ لا يقدر عليها غيره في
الكثير من الأعوام ؛ أوقف لها الكثير من الأوقاف، وأجرى للطلبة فيها
المرتب على أصناف ؛ وأتمها الآن لعلی التمام. وسنذكر تمام بنائها في
غير هذا العام. وهذه قصة وفاة المولى أبي يعقوب ؛ آواه الله دار الجنان ؛
إذ هي غاية المطلوب. وأما المولى أبو حمو ؛ فمنذ دفن أباه، وشيد عليه
مبناه ؛ لم يزل يبكي على فراقه ؛ حتى كاد أن يضر ؛ لما فيه من شدة

¹ هكذا.

احتراقه. وفي ذلك يقول راثياً أباه، وناد بأسمائه¹:

صب تذكر عهداً بالحمى سلفاً
فظل يسكب دمعاً هاطلاً وكفا
وبات من شدة الإشراف في قلق
وخامرت عقله الأفكار فانتلفا
وهيجته الصبا يوماً بهم فصبا
وصاح من وهج التبريح وأسفا
وظل يركض في ميدان موته²
ولا درى ناعي الموت قد هتفا
والدهر منقلب والعمر منصرف
والعبد مقترف للذنب زاد جفا
83ظ/بانت شواهد من كل جارحة
والدمع أصفح ما قد كان قبل خفى
وكم حمامة وصل بيننا صدحت
وكم غراب النوى في غصنها وقفنا

¹ نظم أبو حمو قصيدته هذه في بحر البسيط (مستفعلن فاعلن مستفعلن فعْلن)، ويجوز في مستفعلن = مفاعلن، وفي فاعلن = فعْلن. وفي الأعراب: قَعْلن، والأصرب: قَعْلن، وفَعْلن. ولم ترد هذه القصيدة إلا في زهر البستان؛ بينما أورد صاحب بغية الرواد قصيدة أخرى رثا بها أبو حمو والده. مطلعها: ((دنف تذكر حسرة التوديع * وهنيّ وصل بالنوى مقطوع)).
² كتبها حاجيات: ((هَرْتَه))؛ و((لمرّة))؛ معناها: القتل؛ أي قتل الحبل. ومن هنا يبدو أن الأصح هو ما اعتمدها؛ لأنه أقرب إلى ما رسم في المخطوط، وأسلم من حيث المعنى.

لا تأمن الدهر والدنيا وزينتها
إن الزمان ولو يدنيك منصرفا
وكم خليل تخلى عن أخلته
وكم خليل [وفا]¹ في وده وصفا
قد كان لي في الدنا أب² يساعدي
فصار تحت الثرى في لحده اكتنفا
مددت³ في ظل نعماء يدي زمنا
ونلت من رفته في دهره التحفا
رعى جناني وليد غير مضطجر
حتى ترعرعت في ظل له ورفا
وكلما قد رأني صرت يافعة
لها وسرّ وأسدى لي منه عرفا⁴
يا كابد الدهر في الثرى ليكسبني
ويبتني لي في نيل العلا غرفا

¹ محيت الكلمة الموجودة في هذا الحيز، وقد عوضها حاجيات بكلمة ((صفا)) ومعناً لتكرار الكلمة؛ اخترنا كلمة: [وفا].
² في الأصل: ((أبا))؛ وهو خطأ.
³ هكذا استخرجها حاجيات؛ وهو صحيح؛ على عكس ما رسم في المخطوط: ((مدت))؛ وهذا طبعاً يخل بالوزن.
⁴ هذا الشطر غير مستقيم، والسبب هي كلمة: ((لي))؛ التي أخذت بالوزن، بزيادة سبب خفيف (0/) في التفعيلة الثالثة.

يسره إن رأني سرت في ترف
ويستزيد على الأعداء بي صلفا
وإن عراني ما أخشاه من دنف
بكي ورق وأضحى يشتكي لهفا
كأن ذاك الذي قد ذقت من وجل
(أصابه) فهو يشكوا ذلك الدنفا¹
لا غرو أنا رجال لا نفيء بما
للوالدين علينا بالحقوق وفا
مولاي يوسف أفجعت البنين وقد
أضحى وليدك موسى ناحبا نحفا
لو كنت تفدى بمال أو بنفس فتى
فدتك نفسي ومالي كي أفي نصفنا²
لأهملن دموعي ما حييت وإن
أبقاني العمر ترفت الدما ترفا
يا فقد يوسف ما أبقيت لي جلدأ
يا فقد يوسف إن الصبر عنك عفا

¹ هذا الشطر غير مستقيم؛ وتتقصه كلمة؛ حتى يستقيم الوزن. وقد اقترح حاجيات كلمة:
(أصابه)؛ فصوب بذلك الخل.
² هكذا رسم.

ما مثل يوسف مفقود لفاقده
ولا كموسى أخو فقد إذا وصفا
أصبت بالمعضل الأدمى بوالده
كفقد يوسف لكن حتف ذا جحفا
يا قبر يوسف لا [تهجرك]¹ هامية
من الغمام ولا زال الثرى رعفا
يا دار² كم لك في الأحباب تفجعني
وهكذا الدهر ما أوفى ولا نصفا
فرقتنا بعدما كنت تجمعنا
وقد نثرت نظاما إذ وهى الصدفا
أفجعتني يا زمان اليوم في خلّتي³
ما أسرع الموت في الأحباب حين وفا
84/ وصارت مساكنهم تحت التراب وقد
تمزق الدود ما قد كان مؤتلفا
الماء والنار مجموعان في كبدي
فأعجب لضدّين في قلب قد ائتلفا

¹ الكلمة هنا غير واضحة، غير أن حاجيات وضع كلمة زادت الشطر غموضاً؛ هي: ((لا تهدوك)).
أما أنا فأفضل كلمة [لا تهجرك].
² لم يستسغ حاجيات كلمة ((يا دار))؛ ووضع بدلاً منها كلمة ((يا دهر))؛ لاعتقاده أنها لا تتوافق مع سياق البيت، ولعل الذي يقصده الشاعر هنا؛ هو دار الدنيا الزائلة، وبهذا يكون قد أصاب.
³ كتبها حاجيات: ((خلدي)).

نار تشب وأكباد تذوب بها
ويح المعذب بالجنسين يا لهفا
أين الذين بنوا من قبلنا ونأوا
وشيدوا أطمأً واستوطنوا غرفا
وظنهم أن هاذي الدار باقية
ولم يظنوا بأن الدهر ساء صفا
كم من قرين مع لأحباب متهج
أمسى فريداً وأضحى بدره كسفا
وكم غريب بعيد الدار ذي حزن
أضحى من الغرب ييكي اللام والألفا
الموت باب وكل الناس داخله
والعبد يجزى بما أجنى وما اقترفا
والله مطلع فوق العباد وقد
يؤاخذ العبد في الدنيا بما سلفا

- وقال الفقيه الكاتب أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي أحد كتابه
مرتبة وبعزمه¹:

2

كما قال إبراهيم حسبي فعلمهم
فحالي مغنٍ عن سؤالي إليهم
وألهمها فوق السموات³ أحمد
وما زال للتوفيق أحمد يلهم
دنا فتدلى قاب قوسين رفعة
وليس دنوا بالمسافة فاعلم
وعاينه حقا بعين عيانه
وقيل بنور القلب والله أعلم
فناجاه مولاه بأسرار غيبه
وأعلمه ما لم يكن قبل يعلم
وكم معجزات قد أتى قومه بها
ولكنهم عن منهج الحق قد عم

¹ نظم الشاعر قصيدته هذه في البحر الطويل (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن)، ويجوز في فعولن = فعول، وفي مفاعيل = مفاعلن، وفي الأعراب: مفاعلن، والأصرب: مفاعلن، وفعولن.
² ترك - في الأصل - فراغ ربما اتسع لسنة أبيات أو سبعة تقريباً، ولا يعرف إن كان لأبيات سقطت بالفعل من هذه القصيدة.
³ في الأصل: ((السموت))؛ وهذا خطأ، ويخل بالوزن.

ومن يك عن ورد القبول محلا
فبات الهدى عنه مدا الدهر مبهم
/84ظ/ وآيته في الغار إذ مكرت به
قريش ورب العرش يحمي ويعصم
وقد أرسل الله الحمام ببابه
فباضت به من فورها وهي جثم
كما نسجت فيه العناكب حلة
بستر من الرحمن تسدي وتلحم
ولو لا دفاع الله كيدهم بها
فأضعف أسباب الوجودات أحجم
وفي غزوة الأبواء إذ لم يكن بها
من الماء عند القوم ما يتوهم
ولم يجدوا في رحلهم غير قطرة
بعزلاء¹ شحت لا يبيل بها الفم
على يده في جفنة الركب صبها
فبارك فيها فاغتدت وهي حصرم

¹ العزلاء هنا: مصب الماء.

وفاض نمير الماء بين بنانه
 إلى أن ترؤى وهو [جيش]¹ عرمرم
 وحين ارتووا من عند آخرهم به
 لقد كف عنه كفه وهو مفعم
 وقصته في ذي المجاز حقيقة
 شكاهمه جهرا ولا ماء يعلم
 فشق أديم الأرض ركضا² برجله
 ففاض به عين من الماء [دائم]³
 ويوم تبوك والحديبية [كذا]⁴
 سما لهما في ذروة الفخر ميسم⁵
 وكم من جماد قد غدانا طلاقة
 وعجمى بأفصح غدت تتكلم
 كجذع [وحصباء]⁶ وضب وضبية
 وطفل رضيع لم يكن⁷ بعد يفطم

¹ كلمة [جيش] هنا سقطت في الأصل؛ فأضفناها.
² هكذا في الأصل. ولو قال: [كلا] لكان أفضل.
³ الكلمة هنا غير واضحة؛ فعوضناها بكلمة [دائم].
⁴ كتب - في الأصل - ((الذاء))؛ وهذا خطأ نحوي. وبما أن إكمال الكلمة إلى ((الذان))؛ يخل بالوزن؛ فقد عوضناها بكلمة: ((كذا)).
⁵ أي: وسامة.
⁶ في الأصل: ((وحصبا))؛ بدون الهمزة؛ وهذا خطأ ويخل بالوزن.
⁷ هكذا في الأصل؛ والأفضل كلمة: [يكدا].

وعادت إليه الشمس بعد غروبها
وشق له البدر المنير المتمم
وآياته كالشهب نورا وكثرة
لتحصر وتحصى على العد أنجم
وقد أجمعوا منها على ألف معجز
روى بعضهن الترمذي ومسلم
وأعظمها القرآن يزداد جدة
بطول المدى تكراره ليس يسأم
وليس حديثاً حاش لله مفترى
ولكنه وحي من الله محكم
هو النور والبرهان والحجة التي
بها حلل الدين الحنيفي ترقم
تضمن أحكام الوجود بأسرها
وأودع فيه ما يحل ويحرم
فلما تحدى الخلق منه بسورة
أقروا له بالعجر عنه وأحجم
وللمصطفى سبع وعشرون غزوة
يشاد بها الإسلام والكفر يهدم

85/و/وكم آية قبل الولاد وبعده

على فضله دلت لمن يتوسم
فنون الهدى في برده متجسم
ونون¹ الهدى في كفه مبتسم
بشهر ربيع قد بدا علم الهدى
شفيح الورى صلوا عليه وسلم
تساقطت الأصنام عند ظهوره
وعادت بغاة الجن بالشهب ترجم
وأخمدت الأنوار نيران فارس
ومن قبل كانت ألف عام تُضرم
وأشرقت الدنيا بمولد أحمد
فلا خلق مظلوم ولا أفق مظلم
فيا خاتم الرسل الكرام وخير من
به يبدووا الذكر الجميل ويختم
بمولدك السامي الرفيع قد اعتنى
عليك سجايه الندى والتكرم
إمام له بالمكرمات عناية
همام له بالمعلوات تيمم

¹ الأولى ((فنون الهدى))؛ والثانية ((نون))؛ ومعناها السيف.

هو الملك الزابي موسى بن يوسف
له نسب فوق النجوم مخيم
لقد ضم أمر الملك بعد شتاته
كما ضم زند بالسّوار ومعصم
وجدد رسم المجد بعد رسوبه
وأضحى لسبل الدين يعلي ويعلم
فلا مجد إلا بناه فإنه
لتنهدم الدنيا ولا ينهدم
فلا زلت منصور اللواء على العدى
وسيفك ماض في الطغاة محكم
ودونكها حسنا يعذب ذكرها
فيصبوا إليها القلب والسمع والفم
فصاحتها في الشعر تنبيك [أنها]¹
من العرب [العرباء]² والغير أعجم

¹ الكلمة هنا - في الأصل - غير واضحة؛ فعوضناها بكلمة: [أنها].
² كلمة: ((العرباء)) في الأصل بدون همزة؛ وهذا خطأ ويخل بالوزن.

وفي هذا المولد حضر حاجب الأمير عبد الله؛ صاحب بجاية؛
وجهه سلطانه رسولاً؛ يطلب منه النصر والحماية. حضر هذه الليلة،
وأنشد قصيدة بين يديه؛ يعرض فيها بسبب ما جاء إليه¹. وهو الفقيه

البليغ، الكاتب أبو زكرياء يحيى بن محمد بن خلدون التونسي²:

ترأت لها أعلام نجد مياها

نسيم سرى من حاجر ورباها

ولاح لها البرق اليماني فانبرت

تمر حثيث للعذيب خطاها

بها ميه الأشواق عذرتة الهوى

يهيج ترجيع الحداة جواها

85/ظ/تردد من ذكرى الأجير أنه

وتزري دموعا للمشوق عندها³

وتصبوا لنعمان الأراك وعهده

فيا حسن مغرها ويا بعد مرماها

¹ لم يشير يحيى بن خلدون إلى هذه القصيدة - في كتابه بغية الرواد - بل أورد قصيدة أخرى - غير هذه - ذكر أنه ألقاها بهذه المناسبة؛ ومطلعها: ((يا بدر تم بالأوج قد ظهرا * فضاء بالخافقين اشتهرا)).
² نظمت هذه القصيدة في البحر الطويل (فعلون مفاعيلن فعولن مفاعيلن)، ويجوز في فعلون = فعلون، وفي مفاعيل = مفاعلن، وفي الأعراب: مفاعلن، والأصرب: مفاعلن، وفعلون.
³ نسخ هذا الشطر بشكل لا يقرأ؛ فقرأناه هكذا.

خلية سقم بي من الوجد ما بها
وفرط هواي الجاحدي هوائها
بحقك عللها بذكر عهوده
فجل حداها أن يكف بذكراها
أنلها وقوفا في المعاهد ساعة
فقد شفها طول السرى وبراهها
أرحها من التعنيف بالشوق ساقها
وما قد عناها حسبها وكفاها
[ودعها تهيم في سيرها فلن تصل¹]
إلى قبر غير الهاشمي سراها
محمد المبعوث للخلق رحمة
له من مراقي الفخر لا غرو أغناها
رسول أتى والشرك باد ضلاله
فأوضح من سبل الهداية أزكاها
لمولده في الأرض أية أية
بدت ليلة الاثنين ما كان أسناها

¹ هذا الشطر مضطرب المعنى ومختل الوزن؛ ف جاء هكذا: ((ودعها تهيم قاصدها مسفرا فما)). لذا فقد عوض بشطر آخر - لتسهيل مواصلة القراءة - ووضع بين حاصرتين.

تداعى له إيوان كسرى وأخمدت
لفارس [نار]¹ نور أحمد أطفأها
وغاضت مياه من بحيرة ساوة
فبان لها للحين خيبة مسعاها
وكم معجزات للمقال تنزلت
عليه وأخرى للفعائل أبداها
له حن [مأ]² غاب جذع أراكه
وجاءت له تشكو³ الغزالة بلواها
وأشبع آلافاً طعاماً بصاعه
ومن كفه عذبا من الماء رواها
وفي ليلة الإسرى تبين فضله
بها قدمته [الأنبيا]⁴ في مصلاها
نبي كفيل بالشفاعة للورى
له الله في يوم القيامة أعطاها

¹ كتب في الأصل كلمة: ((نور)) وهذا يخل بالوزن والمعنى معاً. وعليه فقد عوضت بكلمة أخرى؛ وردت أعلاه بين حاصرتين.
² كتب في الأصل: ((ما)) وهذا يخل بالوزن والمعنى معاً.
³ في الأصل هكذا: ((تشكوا))؛ بالألف وهو خطأ.
⁴ في الأصل: ((الأنبياء))؛ وهذا يخل بالوزن؛ فحذفنا الهمزة لتصويب الوزن للضرورة.

عليه سلام الله ما درّ شارف
فضوعت الأزهار بالروض [ريحتها]¹
وخص بتأييد الإله خليفة
بسنة خير الخلق قام فأضفاها²
إمام هدى لله أخلص فعله
وأحكامه بالعدل في الخلق أمضاها
به الله أحيا للخلافة رسمها
وجدّد عافيتها وشيّد ذكراها
إذا افتخر الأملاك فالفخر دونه
وإن سمحت موسى بن يوسف مولاها
ملك له في المعلوات منازل
ترفع عن كبواه لا شك أدناها
86/و[فمن ذا³ الذي يرجى لكل ملمة
سواء بجد السيف يكشف ظلماها
ومن غير موسى يستجار بجاهه
فيمنع من جور الليالي وعدواها

¹ كتبت هذه الكلمة في الأصل: ((رباها)) أو ((رياحها))؛ والحالتين يختل الوزن؛ لذا فقد عوضت بكلمة وردت أعلاه بين حاصرتين.
² في الأصل: ((فأطياها))؛ فجعلناها كما ورد أعلاه بين حاصرتين.
³ كتب في الأصل: ((...الذي...))؛ وهذا يخل بوزن الشطر؛ لذا فقد جعلنا العبارة كما ورد أعلاه بين حاصرتين.

همام أبى إلا المفاخر مكسبا
وما غير أثواب المحامد يرضاها
فَلِلْبَأْسِ وَالْإِعْطَاءِ يَسَّرَ نَفْسَهُ
[وللجود والأفضال للناس يعطيها]¹
أيا خير من يرجى شكية مرسلي
فظلم الليالي نحو بابك أنهاها
فإن كنت تبغي الفخري يبقى مخلداً
فذكرك يسر من أمانيه أنضاهها
أعدّه إلى أوطانه عنك نائب
يُشِيدُ مَجْدًا وَالسَّعَادَةَ تَعْطَاهَا
وخذها إليك اليوم بنت قريجة
لقد طال ما بالخطب ذا الدهر أرساها
ودم لاقتناء الحمد والمجد باقيا
متى [أطلعت]² شمس السماء مياها

¹ جاء عجز البيت هنا غير سليم من حيث الوزن؛ وهو هكذا: ((ولليمنى بالأفضال والجود أعراها))، وعليه فقد عوض بشطر آخر؛ ورد أعلاه بين حاصرتين.
² هذا الشطر مختل الوزن - في الأصل - بسبب كلمة: ((طلعت))؛ لذا فقد عوضت بما ورد أعلاه بين حاصرتين.

ولما أنشدها بين يديه ؛ أمر له بجائزة حسنة ، وقبل عليه ، وتوَعَّده
بنصر مولاه ؛ وإن كان أولاه بما أولاه .

وقال الخطيب الكاتب أبو محمد عبد الوهاب بن محمد بن عبد
القادر ؛ أحد كتبة أشغاله ؛ وقد كلفه تكليفاً¹ :

مدح النبي الهاشمي محمد	هو مذهبي هو بغيتي هو مقصدي
فبفضل مولده ربيع قد سمي	وبدت به البشرية لأمة أحمد
طل يا ربيع على الشهور بأسرها	فلقد حببت بكل سعد فاسعد
ولقد علوت جلاله وكرامة	لما أتيت بخير هاد مهتد
بمحمد المختار من خير الوري	هادي البرية للسبيل الأرشد
ذي المعجزات الباهرات دلالة	جاءت بكل هداية للمهتد
من فاض عذب الماء بين بنانه	فغدا كنهر للغليل مبرد
كم للنبي محمد عَلم الهدى	من معجزات فضلها لم يجحد
منهن تسييح الحصى في كفه	والذئب كلمه وصخر الجلمد
والبدر شق له بمكة آية	والجذع حن حنين صبِّ مُكمد
86/ظ/وشكى البعير له بأفصح [منطق] ²	والضَّبُّ كلمه بغير تردد

¹ نظم الشاعر هذه القصيدة في بحر الكامل (متفاعلن متفاعلن متفاعلن)، ويجوز في متفاعلن = مستفعلن. وفي الأعراب: متفاعلن، وقَعْلن. وفي الأضراب: فعلاطن، ومفعولن، وقَعْلن، وقَعْلن.
² في الأصل كتبت كلمة: ((لغة))؛ الأمر الذي أخل بالوزن؛ فوضعنا كلمة [منطق]. لسلامة الوزن.

آياته أربت على عدّ الحصى
بمحمد المحمود أكرم مرسل
وعلى خليفتنا الإمام المرتضى
ملك البسيطة والمعالي والهدى
ملك تملك وُدّ أهل زمانه
فعلاه في العلياء قد حاز المدى
حامي ديار قبيله بحسامه¹
ملك تمسك بالمفاخر والتُّقى
ما في بني الأملاك ملك شبهه
بدرُ الكمال بوجهه متهلل
ملكُ به حَسُنَ الزَّمانُ فلم
فيه بنوزيان زادت رِفْعَةً
وكذا تلمسانُ به تاهت على
ملك سما بنجاره ووقاره
لا زال هذا المُلْكُ دأبا جاريا

قد صح ذلك في الصحيح المسند
هدي الأنام به لأوضح مرشد
موسى بن يوسف ذي العلى والسؤدد
من لم يزل يعنى بمولد أحمد
بمآثر عليا وجدٍ منجد
فاق السماك وحاز نجم الفرقد
أكرم به من باهر ومسدد
بالعروة الوثقى وشرعة أحمد
أنعم به من ماجد وبماهد²
يدرُ النّوال تسح من وسط اليد³
يدعُ في الأرض من باغٍ ولا من معتد
وغدت تجر لذيّل⁴ عز أجد
كل البلاد وأرغمتُ للحسد
ونواله وبيداره للأسعد
في عقب عز فيه [يوم] الموعد⁵

¹ الكلمة الأخيرة في الأصل غير واضحة؛ فاخترنا كلمة ((بحسامه)).
² الكلمة الأخيرة في الأصل غير واضحة؛ وربما كانت: ((وبمايد))؛ وهذا مستبعد؛ لذا فقد اخترنا كلمة: ((وبماهد)).
³ البدرُ؛ في بداية البيت؛ هو القمر المكنم في الليلة الرابعة عشر من كل شهر. أما كلمة: ((بدر))؛ فمفردتها: ((بدرَة))؛ وهي الكمية العظيمة من المال.
⁴ أضفنا حرف: ((لام)) لكلمة ((ذيّل))؛ من أجل استقامة الوزن.
⁵ كتب في الأصل: ((ليوم))؛ وهذا يخل بالوزن؛ فحذفنا اللام؛ فأصحت كما وردت أعلاه بين حاصرتين.

يا أيها الملك الهمام المعتلي في ذروة العليا لمرقى إصعد
عبد أشاد وقد أتاك مقصراً مستمثل الأمر العزيز الأمجد
ما كنت مداحاً بشعري غيركم كلا ولا حكمت القريض لمولد
حتى أمرتم عبدكم بنظامه فأتيت مبتدراً بغير تبلد
وتكاملت بكاملةً من بحرها¹ لكمالك السامي الشريف الماجد
وجلوت من فكري إليك قصيدة بكرأ تجلّت من حلاك بعسجد
خذها إليك عقيلة فكرية [تشدو بمجدك في العلا بتودد]²
والله يبقي سعدكم ويمدكم بالعضد والنصر العزيز السرمد
يا عابد الوهاب نلت فضيلة فافخر بمدحك للإمام الأوسد
فارغب إلى ذي العرش يبقي ملكه في³ عشية حسن وعيش أرغد
وعلى صحابته الكرام تحية أبداً مكرمة تروح وتغند

¹ هذا الشطر مضطرب الوزن؛ جاء هكذا: ((وتكملت كاملة العروض وأما)). وقد عوض بشطر آخر أسلم؛ ورد أعلاه بين حاصرتين.
² عجز البيت هذا؛ مضطرب المعنى، ومختل الوزن؛ فجاء هكذا: ((أهلا بها بشده تبادي أمجد)). وعليه فقد نظمنا شطراً آخر؛ ووضع أعلاه بين حاصرتين؛ لتسهيل موصلة القراءة.
³ في الأصل: ((فو))؛ وهو تحريف يخل بالوزن.

- ولطبيب حضرته الكريمة الحاج محمد بن أبي جمعة التلاسي¹ :

أأصّبو ورأسي بالمشيبِ غدا حالي

وحال لذاك الشيب لما بدا حالي²

وكيف لمثلي بالتصابي بالصبا³

وهل للتصابي أن يمر على بالي

[.....إلى آخر القصيدة]⁴

وعندما كمل أسبوع المولد على ما ذكرناه، وبلغ كل قاصد - من محله الأرفع - ما تمناه؛ أخرج ولده الأمير أبا تاشفين، وقدمه على المحلة لأخذ المراهين؛ فاستوزره بأخي وزيره عثمان بن مسلم، واختصه لتدييره؛ فترحل (إلى له بوسط في البلاد)⁵؛ ونزل بأحواز البطحاء، وائتلفت عليه بنو عبد الواد، ثم ترادفت المحال على المحال، والأبطال على الأبطال؛ وتكاثر الحشد، وتوفر العدد والمدد؛ فأتته العرب

¹ وردت هذه القصيدة - للمرة الثانية - في مخطوط زهر البستان. فجاءت من قبل في ورقات: 62 و، 62 ط، 63 و. بينما أثبتت - في سياق هذا الكتاب بعد قصيدة محمد بن يوسف القيسي مباشرة، ووردت دون تقديم أو تعريف بها. كما أن البيت الأول منها؛ سقط في العينة الأولى؛ بالإضافة إلى تبعثر ترتيب أبياتها؛ فاختلف عما ورد الآن الموضع الثاني من زهر البستان؛ بالإضافة إلى ما ذكر في بغية الرواد، ومنعاً للتكرار هنا؛ سنكتفي بتسجيل بعض الأبيات الأولى؛ ثم نقل هذه القصيدة - المكررة - كملحق في آخر الكتاب؛ منعاً لتقل التكرار من جهة، ومن جهة أخرى؛ يمكن القارئ من الاطلاع عليها، المقارنة بينها وبين ما سبق إثباته في زهر البستان وبغية الرواد معاً.

² سقط هذا البيت في نص القصيدة ذاتها؛ المنسوخ سابقاً.

³ في بغية الرواد ((وبالهُوى)).

⁴ أنظر ذلك في الملحق رقم: (2).

⁵ هكذا، إذ ظهر على هذه العبارة اضطراب؛ بسقوط بعض الكلمات. فقد تكون في أصلها مثلاً هكذا: [إلى ما جهز له بوسط البلاد...].

بالرهائن ؛ وهرعت القبائل من كل الأماكن ؛ فأخذ الرهائن ، وصرفها لتلمسان ، واستوفى الغرض منها ؛ لتمهيد الأوطان. وعندما أخذ الرهائن واستوفاهما ؛ (.....)¹ ؛ بعث إليه المولى أبو حمو ؛ ليصل إليه ؛ لما قضى ما وجب عليه ؛ عاد [إلى]² حضرة أبيه العالية بخير من الله ، ونعمة صافية. فكان قد وجهه في ربيع الأول ؛ شهر البركة والتهاني ؛ وقفلوا له في شهر ربيع الثاني. وفي هذا العام ؛ وصلت إليهم العروسة من المغرب لتلمسان ؛ وهي بنت المولى أبي تاشفين السلطان. هذه العروسة المباركة أصغر أولاد المولى أبي تاشفين ، وأضنها - قدمات رحمه الله - وهي ابنة سنة واحدة من السنين ؛ سارت إلى المغرب بعد هلاك أبيها مع أخوتها ، وجملة أهليها ؛ /88ظ/ فأقامت³ بفاس بكرة عذراء ؛ ومن ذا ينالها من الناس ؟ إلى أن قدرت لسلطان زمانه ، وواحد عترته⁴ وأقرانه ؛ الملك المهاب الباذل الوهاب ؛ فبعث في شأنها لصاحب المغرب ؛ فأسعفه بها إسعاف المولى الأروغ ؛ فبعثها مع يوسف بن علي ؛ عم وزيره عمر بن عبد الله العلي ؛ واستصحبها بهدية من صاحب المغرب سنية ؛ مؤذنة باتصال ، الوداد ، والمهادنة ، والأمنية ؛ أخذت على خيل ومطايا وذخائر مما يليق بالهدايا ؛ فكان لعراستها سر عظيم ، وتنويه جسيم ؛ ركب لركوبها خمسون جارية ، وأقام لها

¹ في هذا الحيز عبارة مطموسة وغير واضحة. ويكن أن تعبر عما معناها: (إلى ما لا نهاية...)

² هذه الكلمة لم ترد في الأصل؛ فأضفناها.

³ في الأصل: فأقام؛ وهو خطأ.

⁴ في الأصل: ((عترته))؛ وهو تحريف.

خمسين عمارية؛ دون ما تبعت من كرائم العبد الواديات، ونساء الخدام الأحرارات الشريفات؛ ثم أمر أن تخرج بالطبول والعلامات، وأن تركب لها الجيوش والساقات؛ فكان الفرسان يلعبون، والناس من ذلك الهيكل يعجبون؛ فكانت ركبة لم تصنع إلاّ لأبناء جنسها؛ وحاشى أن يكون عرس مثل عرسها؛ ذبحت فيه الأبقار، والأغنام؛ وجرى الأسبوع بالشراب والطعام؛ فكانت عراسية شعاع ذكرها في الآفاق، وسرت بذكرها في الأقاليم الرفاق؛ أظهر فيها صيت الملوك الكرام، وأسبغ سوابغ العطايا والأنعام. ولما كمل أسبوع العراسية صرف موصلها - يوسف المذكور - على مرسلته؛ على أكمل الوجوه المرضية؛ مستصحباً بهدية تدل على شرف الملك، وتأثله؛¹ وأنال الموصل قائلاً؛ وأنه سيظفره ببلده ويمده بماله ومدده؛ حتى ينال بغيته، وتظفر أمنيته.

وفي أثناء وصول الأمير أبي عبد الله وصل رسول الأمير أبي إسحاق؛ وهو يحيى بن ومازير؛ من كبار الموحدين الطباقي، وزيره الأكبر، وصاحب تدييره الأشهر. والسبب في وصوله؛ وفود الأمير أبي عبد الله؛ على المولى أبي حمو؛ وقصده إياه؛ وذلك أن الأمير /89و/أبا إسحاق؛ لما تحقق عنده وصول ابن أخيه لتلمسان؛ وأنه تأمن من المولى أبي حمو السلطان؛ خاف ما يتطرق إليه بسبب ذلك، وما

¹ في الأصل: ((وتأثله))؛ وهو تحريف.

ينجر بهذا القصد من المهالك ؛ فبعث وزيره تجسساً على ابن أخيه، ومباشرة لأهواله ومساعيه ؛ فاتفق أن أسعفه المولى أبو حمو بالمصالحة ؛ على شروط شرطها عليه، وأمور خفية أودعها لديه ؛ ثم توعدهما أن يسيرا مع صحبة وزيره، وشرح لهما كل يكون عليه العمل من تدييره. وسأذكر خروجهما مع الوزير المعظم أبو محمد عبد الله ابن مسلم ؛ وسبب خروجه للجهات الشرقية على نحو ما اتفقت الكيفية.

ذكر خروج الوزير المعظم أبو محمد عبد الله بن مسلم

السبب الذي أخرج عبد الله بن مسلم؛ هو خبر محمد بن المولى
أبي سعيد المتقدم؛ وذلك أن محمد هذا ابن المولى أبي سعيد؛ لما جاء
لقتال تلمسان، وخرج إليه الأمير أبو تاشفين بن مولانا السلطان؛
انهزم وفرّ شاردًا؛ ولقيت أعرابه مناكراً؛ فلم يستقر قراره إلا بأحواز
جرجرة؛ معتصماً بتلك الجبال¹ الوعرة²؛ فلم يزل مدة الخريف
والشتاء؛ إلى أن أقبل الربيع، وارتفعت عظام الأنواء؛ هبط محمد
المذكور [من]³ جرجرة إلى بني حسن؛ ورأى ذلك أنه من النظر
الحسن؛ فركن إلى أبي الليل بن موسى؛ شيخ بني يزيد؛ وأخذ معه
العهد، وأوعده التأييد، وأن يغير معه على أطراف البلاد، وأن يوافق
على الفساد؛ فتوافقا على ذلك، وأحكمه بوسط حلفه معونة على
المهالك؛ ثم وجدا أطراف البلاد خالية من الفرسان؛ فمدا أيديهما في
تلك الأوطان؛ واتصلت غاراته بأول أحواز المدينة، واضطربت الفتنة
بالنار الحمية؛ إلى أن اتصل خبره بالمولى أبي حمو السلطان؛ وحصل
على يقين؛ أنه تحرك في تلك الأوطان. /89ظ/ ولما تحقق المولى أبو حمو
أذية ثورانه؛ وأنه يدعو أهل بلاده إلى سلطانه؛ أمر بإخراج المحال،

¹ في الأصل: ((الجمال))؛ وهو تحريف.

² في الأصل: ((الموعرة)).

³ كتبت هذه الكلمة في الهامش.

وأعطاه المرتبات للفرسان والأبطال، وبعث إلى الأحشاد، وزاد في العدد والإمداد؛ فأخرج محلة قوية وافرة، وحصصاً¹ من بني عبد الواد متكاثرة؛ فقدم على المحلة وزيره الأكبر، وحشام دولته الأشهر؛ عبد الله بن مسلم؛ وأمره أن يشرع بالرحيل؛ ولا يتلوم؛ وأن يكون منتهاه من البلاد الشرقية آخر الجبال الجرجرية؛ مما يلي بني حسن، ووادي بجاية؛ ويتوسط تلك البلاد، ويبلغ منها المدينة حتى يحسم تلك المادة الظاهرة وأن يحوا أثرها إلى الآخرة. فكان خروجه عشية يوم الجمعة الثالث لرجب؛ لقطع الأذى، وجلب المنفعة. وبعد خروجه بثلاثة أيام؛ أخرج المولى أبو حمو محلته؛ وعزم على الخروج في أثره غاية الاعتزام؛ وخرج إلى تنيري؛ وسكنها؛ قام بها شهراً؛ وتحول للرملية؛ وسكنها؛ فبنى بها برجاً عظيماً لسكناه؛ أراد به إبراجه²؛ فكان حماه؛ فكان سكناه؛ حاضراً، بادياً، مقيماً، مسافراً. فكان هذا البرج مسكنه؛ إلى أن قضى الحركة وزيره. ولعمري؛ لقد حسن في ذلك رأيه وتدييره. وأما خبر الوزير المذكور الأوحده³ الأشجع، المشهور؛ فمن حين خروجه؛ لم يزل يعمل ركبانه، ويرحل أخبته وقبابه؛ إلى أن نزل بسفح الجبل المذكور؛ وسكن تحته بجيشه الموفور.

¹ في الأصل: ((حصصاً))؛ وهو تحريف.

² برج الشيء: ظهر وارتفع.

³ في الأصل: ((الأوحده))؛ وهو تحريف.

وأما خبر محمد ابن المولى أبى سعيد؛ فإنه وجد السبيل بالغار
 للقريب والبعيد، وكتب الكتب لاستخلاف (وافرا والفضل ووجه
 الجهد سافرا. وفي أثناء وصول هذه العروسة وصل الأمير أبو عبد الله
 صاحب بجاية وشهد على هذه العراسة التي تجاوزت النهاية)¹.
 - وفي ذلك يقول الفقيه النبيل أبو عبد الله محمد بن يوسف
 90/و/القيسي أحد كتبه الأشغال²:

قُمْ فَاجْتَلِ³ زَمَنَ الرَّبِيعِ الْمَقْبَلِ
 تَرَمَا يَسْرُ الْمُجْتَنِي وَالْمُجْتَلِي
 وَأَنْشُقْ نَسِيمَ الرَّوْضِ مُطَوَّلًا وَمَا⁴
 أَهْدَاكَ مِنْ عَرَفٍ وَعَرْفٍ فَاقْبَلِ
 وَأَنْظُرْ إِلَى زَهْرِ الرَّيَاضِ كَأَنَّهُ
 دُرٌّ⁵ عَلَى لَبَّاتِ رَبَّاتِ الْحُلِيِّ

¹ حدث اضطراب وخلط فيما ورد هنا بين قوسين؛ وكل هذا يخرج القارئ عن سياق الخبر الأول. ويبدو أن الناسخ أسقط بعض العبارات المتعلقة بمجيء أبي عبد الله صاحب بجاية إلى تلمسان؛ احتفاء بابنته التي زفت للسلطان أبي حمو. وسيشرح هذا الأمر الكاتب فيما بعد.
² نظم الثغري القيسي هذه القصيدة في بحر الكامل (متفاعلن متفاعلن متفاعلن)، ويجوز في متفاعلن = مستفعلن. وفي الأعراب: قَعْلُن. وفي الأضراب: فعلاتن، ومفعولن، وفعلُن، وقَعْلُن. وهي موجودة في الجزء الأول من بغية الرواد، وزهر البستان في دولة بني زيان، ونفح الطيب، وتاريخ نظمها هو عام 767هـ/1365م؛ بمناسبة زواج أبي حمو من ابنة ابنة أمير بجاية أبي عبد الله الحفصي.
³ في النفح: ((ببصرًا)).
⁴ هكذا في بغية الرواد، ونفح الطيب؛ بينما سقطت كلمة: ((الروض)) في زهر البستان؛ الأمر الذي أحل بالمعنى والوزن معاً.
⁵ في بغية الرواد: ((دُرٌّ)).

والطَّيْرُ تَشْدُ بِاخْتِلَافِ لُغَاتِهَا
 طَرَبًا عَلَى أَعْلَى الْغُصُونِ الْمِيلِ¹
 فِي دَوْلَةٍ فَاضَتْ يَدَاهَا بِاللَّيْ
 وَقَضَتْ بِكُلِّ مَنِّي لِكُلِّ مُؤَمَّلٍ
 بَسَطَتْ بِأَرْجَاءِ الْبَسِيطَةِ عَدْلَهَا²
 وَسَطَتْ بِكُلِّ مُعَانِدٍ لَمْ يَعْدِلِ
 سُلْطَانُهَا الْمَوْلَى أَبُو حَمُو الرُّضَى
 ذُو الْمَنْصِبِ السَّامِيِّ الرَّفِيعِ الْمُعْتَلِي
 تَاهَتْ تِلْمَسَانُ بِدَوْلَتِهِ عَلَى
 كُلِّ الْبِلَادِ بِحُسْنِ مَنَظَرِهَا الْجَلِيِّ³
 هَذَا تِلْمَسَانُ حَمَى مِنْهَا الْحَمَى
 وَفَرَى⁴ الْعِدَى عَنْهَا بِحَدِّ الْمَنْصَلِ⁵
 فَعَدَّتْ تَتِيَهُ بِحُسْنِ دَوْلَتِهِ الَّتِي
 أَرَبَتْ عَلَى حُسْنِ الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

¹ سقط هذا البيت في بغية الرواد ونفح الطيب.

² في الأصل بزهر البستان: ((أصلها))؛ وما ورد في البغية والنفح أفضل.

³ سقط هذا البيت في زهر البستان.

⁴ في زهر البستان: ((وعدا))؛ وما جاء في البغية والنفح أفضل.

⁵ هذا البيت؛ ثم البيتان المواليان مباشرة؛ غير موجودة في نفح الطيب وفي بغية الرواد.

وَزَهَتْ بِدَاخِلِهَا وَخَارِجِهَا عَلَى
 كُلِّ الْبِلَادِ بِحُسْنِ مَنَظَرِهَا الْجَلِ
 رَاقَتْ مَحَاسِنُهَا وَرَقَّ نَسِيمُهَا
 فَحَلَا بِهَا شِعْرِي وَطَابَ تَغْزُلِي
 عَرَّجُ بِمُنْعَرَجَاتِ بَابِ جِيَادِهَا
 وَافْتَحَ بِهِ بَابَ الرَّجَاءِ الْمُقْفَلِ
 وَأَعْدُ¹ إِلَى الْعِبَادِ مِنْهَا غُدُوَّةً
 تُصْبِحُ هُمُومُ النَّفْسِ عَنْكَ بِمَعْزَلِ
 وَضَرِيحُ شَيْخِ² الْعَارِفِينَ شُعَيْبِهَا
 زَرَهُ هُنَالِكَ إِنَّهُ نَعَمَ الْوَلِيِّ³
 فَمَزَارَهُ لِعِبَادَةٍ وَنَزَاهَةٍ
 فِيهِ ذُنُوبُكَ وَكُرُوبُكَ تَنْجَلِي⁴
 وَتَمَشُّ فِي جَنَاتِهَا⁵ وَرِيَاضِهَا
 وَاجْنُحْ إِلَى ذَاكَ الْجَنَاحِ الْمُخْضَلِ

¹ في نفع الطيب: (وَلْيَتَعَدَّ)، وفي زهر البستان: (وَأَعْدُوا)، وما جاء في بغية الرواد أفضل.
² في بغية الرواد ونفع الطيب: (تَلَجَّ).
³ جاء هذا الشطر في بغية والنفع هكذا: (هَذَاكَ وَقَدِّدَا ذَلِكَ الْوَلِيِّ).
⁴ جاء هذا البيت في بغية الرواد ونفع الطيب هكذا:
 مَ (إِرَهُ لِدَيْنِ وَالذُّنْيَا مَعْتَمَدَى ذُنُوبِكَ أَوْ كُرُوبِكَ تَنْجَلِي).
⁵ في بغية الرواد ونفع الطيب: (فِي جَنَابَاتِهَا).

تَبْدُو¹ لَكَ الْأَفْرَاحُ فِيهَا أَنْجُمًا
زُهُرًا وَلَكِنْ لَسْنَا عَنْكَ بِأَفْلٍ²
وَيَكْهَفُهَا الضَّحَاكُ قِفْ مُتَنَزِّهَا
تَسْرَحُ جُفُونُكَ فِي الْجَمَالِ الْأَجْمَلِ³
وَيَرْبُوعَةُ الْعُشَّاقِ سَلْوَةٌ عَاشِقٍ
فَتَنَّتُهُ⁴ أَلْحَاطُ⁴ الْغَزَالِ الْأَكْحَلِ
تُسَلِّيكَ فِي دَوْحَاتِهَا وَتِلَاعِهَا
نَعْمُ الْبَلَابِلِ وَاطَّرَادُ الْجَدِيدِ⁵
يَنَاسِمِ وَيَبَاسِمِ مِنْ زَهْرِهَا
تُهْدِيكَ أَنْفَاسًا كَعَرَفِ الْمُنْدَلِ
فَلَوْ أَمْرُ الْقَيْسِ بْنِ حَجْرٍ رَأَاهَا⁶
قَدَمَا تَسَلَّى عَنْ مَعَاهِدِ مَأْسَلِ⁷

¹ في الأصل: ((تبدوا))؛ بالالف وهو خطأ.

² سقط هذا البيت في بغية الرواد؛ وفي نفع الطيب.

³ ورد هذا البيت؛ في بغية الرواد ونفع الطيب في ترتيب غير هذا.

⁴ في نفع الطيب: ((فتنت وألحاط)).

⁵ ورد هذا البيت في بغية الرواد ونفع الطيب في ترتيب غير هذا.

⁶ سقطت كلمة رأها في زهر البستان؛ فيكون الشطر فيه إذن غير موزون.

⁷ يشير إلى بيت امرئ القيس في معلقته الذي يقول فيه:

كَلِمَاتٍ لِلْحَمْرِ يَرِثُ قَبْلَهَا وَجَارَتِهَا أُمُّ الرَّبَابِ يَمَأْسَلِ.

أَوْ حَامَ حَوْلَ فَنَائِهَا وَظَبَائِهَا
 مَا كَانَ مُحْتَفِلًا بِحَوْمَةٍ حَوْمَلٍ¹
 90/ظ/ كَمْ جَادَلِي فِيهَا الزَّمَانُ بِمَطْلَبِ
 جَادَتُهُ أَخْلَافُ الْغَمَامِ الْمُسْبِلِ
 فَادْكُرْ لَهَا كَلْفِي بِسِقْطِ لَوَائِهَا
 فَهَوَايَ عَنْهَا الدَّهْرُ لَيْسَ بِمُنْسَلٍ²
 وَاعْمُدْ إِلَى الصَّفْصِيفِ يَوْمًا ثَانِيًا
 وَيَهْ تَسَلَّ وَعَنْهُ دَابًّا فَاسْأَلِ
 وَادٍ تَرَاهُ مِنَ الْمَحَاسِنِ بِهَجَةٍ
 خَالَ مِنَ الْأَزْهَارِ غَيْرَ مَعْطَلٍ³
 يَنْسَابُ كَالْأَيْمِ انْسِيَابًا دَائِمًا
 أَوْ كَالْحُسَامِ جَلَاهُ⁴ كَفُّ الصَّيْقَلِ
 فزَلَّاهُ فِي كُلِّ قَلْبٍ⁵ قَدْ حَلَاحَ
 وَجَمَالُهُ فِي كُلِّ عَيْنٍ قَدْ حُلِي⁶

¹ يشير هنا إلى مطلع معلقة امرئ القيس؛ وجاء فيه:
 فَمَا تَبَكَّى مِنْ ((ذِكْرِي حَرِيْبٍ وَمَنْزِلِي بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ قَدْوَمَلٍ)).
² جاء هذا البيت في بغية الرواد ونفح الطيب؛ قبل هذا الترتيب ببيت،
³ جاء هذا البيت في بغية الرواد ونفح الطيب هكذا:
 ((وَادٍ تَرَاهُ مِنَ الْأَزْهَارِ خَالِجَسِينَ بِهِ عَطَلًا وَعَايِرَ مَعْطَلٍ)).
⁴ في الأصل بزهر البستان: ((جلاه))؛ وهو تحريف؛ يخل بالوزن،
⁵ هكذا في نفح الطيب؛ بينما كتب في بغية الرواد، وزهر البستان: ((في كل قَم)). وهذا يخل بالوزن،
⁶ في نفح الطيب: ((فد جلي)).

واسرح لدى تلك المسارح وارثقي
 في كلِّ حُسْنٍ مِنْ تَرَاهَا الْمُقْبِلِ
 لَا تَنْسَ يَوْمًا ثَالِثًا فَوَّارَةً¹
 وَيَعَذِّبُ مَنْهَلَهَا الْمُبَارِكِ فَانْهَلِ
 تَجْرِي عَلَى دُرٍّ لُجَيْنًا سَائِلًا
 أَحْلَى وَأَعَذَّبَ مِنْ رَحِيقِ السَّلْسَلِ²
 وَاشْرَفَ عَلَى الشَّرَفِ الَّذِي يَازِئُهَا
 لِيَتَرَى تَلِمَسَانَ الْعَلِيَّةِ مِنْ عَلِ
 فَكَأَنَّهُ تَاجٌ بِمُفْرَقِهَا بَدَا³
 أَحْسَنُ يَتَاجُ بِالْبِهَاءِ مُكَلَّلِ
 وَإِذَا الْعَشِيَّةُ شَمْسُهَا⁴ مَالَتْ فَمِلْ
 نَحْوَ الْمُصَلَّى مِئَلَةَ الْمُتَمَهِّلِ⁵
 وَيَمْلَعِبُ الْحَيْلِ الْفَسِيحِ مَجَالُهُ
 أَجَلِ النَّوَظِرِ⁶ فِي الْعِتَاقِ الْحُفْلِ

¹ في بغية الرواد ونفح الطويلة: (ذو يومٍ ثالثٍ فَوَّارَةً)).

² في بغية الرواد ونفح الطيب: ((سلسل))؛ بدون الألف واللام.

³ في بغية الرواد ونفح الطيب: ((البحر المحاسن بهجة)).

⁴ في الأصل بزهر البستان: ((سمتها)). وما ورد في البغية والنفح أفضل.

⁵ جاء هذا الشطر في زهر البستان هكذا: ((نحوها على مهلة المتمهل)). وبهذا الشكل يختل الوزن.

⁶ هكذا في البغية الرواد ونفح الطيب؛ وهو أفضل بينما كتب في زهر البستان: ((نرة جفونك)).

فحلبة الأفراس¹ كلَّ عَشِيَّةٍ
 لَعِبُ يَذَاكَ الْمَلْعَبِ الْمُتَسَهِّلِ²
 مِنْ كُلِّ طَرْفٍ كُلِّ طَرْفٍ يَسْتَبِي³
 قَيْدِ النَّوَظِرِ فِتْنَةَ الْمُتَأَمِّلِ
 وَرَدُّ كَأَنَّ⁴ أَدِيمَهُ شَفَقُ الدُّجَى
 أَوْ أَشْهُبُ كَشْهَابِ رَجْمِ مُرْسَلِ
 أَوْ أَحْمَرِ قَانِي الأَيْمِ كَعَسَجِدِ
 أَوْ أَشْقَرِ يَزْهُو⁵ بِذَيْلِ أَشْعَلِ⁶
 أَوْ مِنْ كُمَيْتٍ لَا نَظِيرَ لِحُسْنِهِ
 سَامٍ مُعَمِّ فِي السَّوَائِقِ مُخَوِّلِ⁷
 أَوْ أَدْهَمِ كَاللَّيْلِ إِلاَّ غُرَّةً
 كَالصُّبْحِ، بُورِكَ مِنْ أَعْرٍ مُحَجَّلِ
 جَمَعَ المَحَاسِنَ فِي بَدِيعِ شِيَاتِهِ
 مَهْمَا تَرَقَّ العَيْنُ فِيهِ تَسَهَّلِ

¹ في نفع الطيب: ((فلحلية الأشراف)). وفي بغية الرواد ((فلحلية الأفراس)).

² اختل هذا البيت في زهر البستان؛ فجاء هكذا: ((بحلبة الأفراس كل عشية لعب لذاك اللعب المستهل)).

³ اختل هذا الشطر في زهر البستان؛ بسقوط عبارة: ((ل طرف))، فجاء هكذا: ((من كل طرف يستبي)).

⁴ في زهر البستان: ((كأنه))؛ وبذلك يختل الوزن.

⁵ في بغية الرواد: ((يزهى)).

⁶ في البغية والنفع: ((يعرف أشعل)).

⁷ جاء هذا البيت في البغية والنفع قبل البيت السابق.

فَتَرَى الْمَجَلِّيَّ وَالْمُصَلِّيَّ خَلْفَهُ
 وَكِلَاهُمَا فِي جَرِيهِ لَا يَأْتَلِي¹
 هَذَا يَكْرُ وَذَا يَفِرُّ فَيَنْتَنِي
 عَطْفًا عَلَى الثَّانِي عَنَانَ الْأَوَّلِ
 عُقْبَانُ حَيْلٍ فَوْقَهَا فُرْسَانُهَا
 كَالْأَسَدِ تَنْقُضُ أَنْقِضَاضَ الْأَجْدَلِ²
 فُرْسَانُ عَبْدِ الْوَادِ آسَادُ الْوَعْيِ
 أَهْلُ النَّدَى وَالْبَاسِ وَالشَّرَفِ الْعَلِ³
 91/و/فَاعْجَبْ لِحُسْنِ جَمَالِهِمْ لِمَجَالِهِمْ
 وَيَجَنَّةِ الدُّنْيَا تَلْمَسَانَ ادْخُلِ⁴
 فَإِذَا دَنَتْ شَمْسُ الْأَصِيلِ لِعَرْبِهَا
 فَإِلَى تَلْمَسَانَ الْأَصِيلَةِ فَادْخُلِ⁵
 مِنْ بَابٍ مَلْعَبِهَا لِبَابِ حَدِيدِهَا
 مُتَنَزِّهَا فِي كُلِّ نَادٍ⁶ أَحْفَلِ

¹ هذا البيت؛ والبيت الذي يليه مباشرة؛ وردا في بغية الرواد ونفح الطيب؛ في غير هذا الترتيب.

² الأجدل: الصقر.

³ في بغية الرواد والنفح ((الدِّمَارَ أَوْلُو الْعَخَارِ الْأَطْوَلِ)). والشطر هنا مختل الوزن في التفعيلة الثانية.

⁴ لم يرد هذا البيت إلا في زهر البستان. ويبدو أن عوض؛ واكتفي بالبيت الموالي؛ والذي يبدأ بـ ((فإذا دنت شمس الأصيل...)).

⁵ هذا البيت غير موجود في الأصل بزهر البستان؛ وقد يكون عوض بالذي جاء قبله هنا.

⁶ هكذا في نفح الطيب؛ وفي بغية الرواد: ((حفلي)). بينما شوه ناسخ زهر البستان هذا الشطر؛ فكتبه هكذا: ((متنرها في كل حفل أو أحفل)).

وَتَأَنَّ مِنْ بَعْدِ الدُّخُولِ هُنَيْهَةً
 وَأَعْدِلْ إِلَى قَصْرِ الإِمَامِ الأَعْدَلِ
 فَهُوَ المَأْمَلُ وَالدِّيَارُ كِنَايَةً
 وَالسَّرُّ فِي السُّكَّانِ لَا فِي المَنْزِلِ
 فَإِذَا¹ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ رَأَيْتَهُ
 فَالْتَمِمْ تَرَى ذَاكَ البِسَاطِ وَقَبْلِ
 بَاهِي بِهِ² زَمَنَ الرَّيِّعِ وَقُلْ لَهُ
 بُشْرَى بِأَمْلَحَ مِنْ حُلَاكَ وَأَجْمَلِ³
 يَنْهَلُ مِنْهُ لَنَا الجِدَا وَبِهِ الدُّجَى⁴
 تُجَلَى⁵ بِمُشْرِقِ وَجْهِهِ المُتَهَلِّلِ
 فَالْمَجْدُ لَفْظٌ فِي الحَقِيقَةِ مُجْمَلٌ
 وَحُلَاةٌ تَفْصِيلٌ لِذَاكَ المُجْمَلِ
 مَوْلَايَ بِشِرَاكِمَ فَمَا بِيَدِ الإِلَهِ
 وَبِنَصْرِهِ فِي الحَالِ وَالمُسْتَقْبَلِ
 هُنَيْمٌ بِهِنْيَةِ المَلِكِ الَّتِي
 وَفَدَتْ بِأَقْبَالِ وَسَعَدَ مَقْبَلِ

¹ فِي بَغِيَةِ الرُّوَادِ ((وَإِذَا)).

² فِي بَغِيَةِ الرُّوَادِ، وَنَفْحِ الطَّيِّبِ: ((هَنْئٌ بِهِ)).

³ وَرَدَ هَذَا البَيْتُ فِي بَغِيَةِ الرُّوَادِ وَنَفْحِ الطَّيِّبِ فِي غَيْرِ هَذَا التَّرْتِيبِ.

⁴ فِي الأَصْلِ بَزْهَرِ البِيسْتَانِ: ((الجِدَى)) أَيْضاً؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

⁵ نَفْسُهُ: ((يَجْلِي))؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

حَسْبُ الْمَفَاخِرِ ذَلِكَ الْحَسْبُ الَّذِي
أَضْحَى لَدَيْهِ الْمَجْدُ جِدًّا مُؤْتَلٍ¹
شَمْسُ الْعُلَا حَلَّتْ يَمْنَزِلِ سَعْدِهَا
وَأَوَتْ إِلَى بَدْرِ الْمُلُوكِ الْأَكْمَلِ²
لَأَعْزَهُمْ³ جَارًا وَأَمْنَعُهُمْ حِمِّي
وَأَجَلَّهُمْ مَوْلَى وَأَعْظَمَ مَوْلَى⁴
وَكَفَى لِهَذَا الْمَلِكِ فَخْرًا أَنَّهُ
بِحِمِّي أَبِي حَمُو ثَوَى فِي مَعْقَلِ⁵
بِالْعَادِلِ الْمُسْتَنْصِرِ الْمَنْصُورِ وَالِ
مَأْمُونِ وَالْمَهْدِيِّ وَالْمُتَوَكِّلِ⁶
وَكَفَى الْوَرَى سَعْدًا أَبُو حَمُو الَّذِي⁷
يَحْمِي جِمَاهُمْ بِالْحُسَامِ الْفَيْصَلِ⁸

¹ هذا البيت غير موجود في نفع الطيب، ولا زهر البستان؛ بينما ورد في بغية الرواد.
² جاء هذا البيت في بغية الرواد والنفع في غير هذا الترتيب.
³ في البغية والنفع: ((بأعزهم)).
⁴ جاء هذا البيت في بغية الرواد والنفع في غير هذا الترتيب.
⁵ هذا البيت غير موجود في بغية الرواد ونفع الطيب.
⁶ هكذا في بغية الرواد ونفع الطيب؛ ولكن في غير هذا الترتيب. بينما ورد هذا البيت - هنا - في الأصل بزهر البستان؛ ولكن بشكل مضطرب المعنى مبتور الكلمات مختل الوزن هكذا: ((بالناصر المنتصر النصور * المهدي والمأمون والمتوكل)).
⁷ جاء هذا الصدر في نفع الطيب هكذا: ((كفاهم سعداً أبو حمو الذي)). بينما ورد في زهر البستان البستان مع عجز بيت آخر؛ وبما أنه كان مختل الوزن؛ فقد حذف نهائياً؛ وهو هكذا: ((وأعاد دولتهم ونشير ملكهم)).
⁸ سقط هذا البيت في زهر البستان.

بُشْرَى لِعَبْدِ الْوَادِ بِالْمَلِكِ الَّذِي
خَلَصُوا بِهِ مِنْ كُلِّ خَطْبٍ مُعْضِلٍ
وَبَجْدِهِ فِي أَمْرِهِمْ وَبِحُزْمِهِ¹
وَيَسْعَدِهِ وَيَسْعِيهِ الْمُتَقَبَّلِ
دُو الْهَمَّةِ الْعُلْيَا الَّتِي آثَارُهَا
حَلَّتْ بِهِ فَوْقَ السَّمَاءِ الْأَعْزَلِ
بَحْرُ النَّدَى الْأَحْلَى وَفَخْرُ الْمُتَنَدَى
وَسَنَا الدُّجَى الْأَجْلَى وَزَيْنُ الْمُحْفَلِ
يَرْتَاحُ لِلْأَمْدَاحِ مِنْ كَرَمِ كَمَا
يَرْتَاحُ غِصْنٌ لِلنَّسِيمِ الشَّمَالِ
لَا زَالَ لِلرَّاجِي مَتَى يَسْتَجِدُهُ
يَمَلَأُ نَوَالاً كَفَّهُ [فَيْسِيل]²
لَا زَالَ مَحْرُوسِ الْجَنَابِ مَنِيْعِهِ
وَسَعُودِهِ تَغْنِي عَنَاهُ الْجُحْفَلِ
وَعَلَى عُلَاهُ مِنْ صَنِيعَةٍ فَضْلِهِ
تَرْدَادُ نَافِحَةِ السَّلَامِ الْأَكْمَلِ³

¹ في بغية الرواد ونفح الطيبين ((سَنَ نَيْتَهُ لَهْمٌ وَيَجِدُهُ))
² وضعنا هذه الكلمة بين حاصرتين؛ في مكان أخرى؛ غير سليمة؛ وهي: ((ويول)).
³ ثمة بعض الأبيات الأخرى التي وردت في زهر البستان فقط؛ ولكنها غير واضحة.

91/ ظ/ ذكر
وصول الأمير أبلح عبد اللع صاحب بجاية
يطلب النصره من المولع والحمالغ

هذا المولى أبو حمو؛ خلق في ساعة السعادة، وحكمت له الأحكام الزبانية بنيل الإرادة؛ أقبلت له الأيام خادمة، وانقادت له أبناء الملوك راغمة. جاءه هذا الأمير أبو عبد الله؛ وقد صدر منه ما صدر؛ ولولا القبول عليه لذكرت الخبر. وما أحسن قول القائل في هذا المعنى¹:

فعين² الرضا عن كل عيب كليله

ولكن عين السخط تبدي السماويا

صدر منه ما لا يليق، ولا هو بأبناء الملوك خليق. اعلم أنه لما صرفه السلطان أبو سالم ببجاية بلده؛ أنكره أهلها لسوء رأيه وجلده³؛ لأن هلاكهم كان على يديه، ووقعهم في المحذور؛ وكان منه وإليه سعى في جلائهم عن البلاد؛ وذلك عن عين اختياره والمراد؛ فرق برأيه جمع أهل التوحيد، وأعطى صفقة يده للمنعة؛ من غير إيراق ولا ترعيد. أعطى بجاية لأبى عنان؛ وهو لم يكن له عليها من

¹ هذا البيت للإمام الشافعي
² في نصر: ((وعين)). بالواو.
³ أي وسوء جلده أيضاً.

سلطان. فعندما وافى بجاية؛ أجمع أهلها على قتاله، وعلى توبيخه ونكاله؛ وتبدوا في حقه مصافات أبيه، وآلوا أن لا يقربه أحد، ولا يواليه؛ فترحل عنها طريداً؛ بعدما لقي منهم سباً وتكيداً؛ لا سيما وقد جاءهم يدعوا بدعوة بني مزين، ويظهر أنه يكلمهم من القائمين؛ فانتزوا لذلك حنقاً وتضافروا عليه؛ بعد أن كانوا فرقاً؛ والتبست عليه الأمور، وخانه الجند والظهور.¹ ثم أخذ في محاولتهم²؛ لما لم يقدر على مقاتلتهم؛ فجاهروه أنه غير مأمون من عائلته؛ بعد الإجماع على مقاتلته. ولما عاين الإنكار التام، ووافق الخاص العام؛ أدركه الندم على فرط³؛ وعاين المنية إذ تورط؛ فما لبث أن قصد طائفة من العرب رباح؛⁴ يطلب منهم النصر على بجاية /92و/ للكفاح؛ فأسغفه الصعاليك⁵ والرعاغ؛ ولم يساعده أمير ولا مطاع؛ فأتى بجاية ينازلها بالصعاليك، ويقا تل الأحرار بالمماليك. فكان كمن قضي الدين بالدين وصلّى المغرب ركعتين. ولما عاد الحصار؛ عاد للسباب والعار؛ فجعل أهل بجاية يلعنون مرسله وتابعه، ويذكرون مساءاته ومصانعه؛ فتشبث بالعيش من جبال حوزها، وجلس يريد زلزالها، أو يجد فرصة في قهرها؛ فما أسغفته أيامه؛ إلاّ بجيئة المسعى، ولا أرعته إلاّ في أرحم

¹ هكذا.

² في الأصل: ((محالتهم))؛ وهو تحريف.

³ هكذا.

⁴ هكذا. والصحيح: (من عرب رباح).

⁵ في الأصل: ((فأسغه للصعاليك...))؛ وهو تحريف.

مرعى. ثم أن بني عبد الواد طلبته بثأرها القديم ؛ وهمت بالوثوب عليه بذلك الوادي¹ ؛ على فعله الذميم. فشعرت العرب بطلب بني عبد الواد إليه ؛ ففرت شاردة، ولم تعرج عليه. ولما عين إجماع الأعراب عنه ؛ علم أن آفته قد قربت منه ؛ فترحل على من بقي معه من الأعراب، وترك بجاية وطلب القفر للبيات. فأقام عند العرب في أضيقت عيشة وأرداها ؛ بدم حركته وخيبة مسعاها. ولما اضطره الأمر ؛ الذي لم يجد عنه ميحداً ؛ أخذ في تديير رأي كان عليه سعيداً. أغرته نفسه بقصد المولى أبى حمو سلطان بني عبد الواد ؛ ليأمنه في نفسه، ويعينه على تلك البلاد ؛ وذلك من لبابة أهل التوحيد² ودهائهم واقتحامهم ؛ فيما يتوصلون به لنيل أهوائهم. فوجه رسوله يحيى بن خلدون حاجبه ؛ يستأذنه في القدوم عليه، ويطلب ما رأيه. وقد قدمنا ذكر الرسول ؛ أنه منشد القصيدة في مولد النبي عليه الصلاة والسلام ؛ المثاب عليها بموجب الإسعاف والإكرام. ولما عاد رسوله إليه ؛ أشار عليه بالوفود³ عليه. فاستعمل الرحلة من أعراب رياح ؛ إلى باب المكارم والسماح ؛ ولم يرح راحلته إلا⁴ بناديه الرحب ؛ ولا أروى ظمأها إلا من مورده العذب. فكان وصوله تلمسان ؛ في ثامن جمادى الأخرى ؛ وحلولة بخير مكان ؛ /92ظ/فبايعه بمشوره، ولقي منه ما رجاه ؛ من الأمن ؛ بعد

¹ في الأصل: ((الواد)).

² وهم الموحدون؛ وإليهم ينتسب الحفصيون.

³ في الأصل: ((بالوجود))؛ وهو تحريف.

⁴ في الأصل: ((إلى))؛ وهو خطأ.

التخويف. فأنزله بدار الكرامة ، وتوعده بالموالاة في الظعن والإقامة ببني
عبد الواد.

ولأهل الجبال¹؛ يأمرهم بالأحشاد، وأقواد البلاد التي يليه ؛ ويعد
كل ما يرو يمينه. وقد قاتل من يليه ؛ وهم بالتمادي على علمه ؛ وظن
أنه نازل غاية أمله ؛ إلى أن سمع بإتيان الوزير عبد الله بن مسلم. تقهقر
من حينه وتوقف ؛ ولم يتقدم. فما ترحل² الوزير مرحلة لإقامة ؛ حتى
يتأخر هو اثنتان³؛³ خوفاً من حسامه. فما لبث أن اعتصم بالجبل ؛ ورأى
ذلك من أحسن العمل وخمدت ناره بعد استعارها⁴؛ وكفى تطاير
شرارها. وعندما نزل الوزير تحت الجبل حاصراً له ؛ أشعل الخوف
مآله، وسقط في يده، واشرب⁵ في جلده. و لم يزل يحاوله الوزير،
وينظر في أمره بأحسن التدبير؛ إلى أن دس له من يقتله من قبيله ؛
وضمن له ما يوفيه (...)⁶ عند تجديله. فسار إليه كأنه هارب ؛ وهو
[في]⁷ الحقيقة على حفته طالبا. فرضه بضربة في وسط المركب ؛ فلم
يصبه ؛ وضربه هو فقتله ؛ ولم يخبه. ولما رأى أنه مطلوب في نفسه ؛ لا
يقدر على ظهر رأسه ؛ سلم بالكلية في البلاد، وقصد الزاب ؛ في حالة

¹ يبدو أن بعض الجمل سقطت هنا؛ إذ تحول الكلام - في هذه الفقرة - من موضوع أبي عبد الله؛
إلى ما يجري من وقائع في نواحي بجاية؛ وما يقوم به الوزير عبد الله ابن مسلم ضد الأمير أبي زيان.

² في الأصل: ((ترجل))؛ وهو تحريف.

³ في الأصل: ((اثنان))؛ وهو خطأ نحوي.

⁴ في الأصل: ((اسعارها)).

⁵ في الأصل: ((اشرب))؛ وهو تحريف.

⁶ ترك هنا فراغ صغير.

⁷ أضفنا هذه الكلمة الموضوعية بين حاصرتين.

الإنفراد. ولما حفل محمد المذكور هارباً، وأصبح في مسعاه خائباً؛ أقام الوزير بتلك¹ البلاد؛ يمهّد أرجائها؛ وسكّن أهل تلك الجبال؛ التي تشعبت أرائها؛ إلى أن استقرت البلاد من الإرجاف، وأمنت على يديه من الخلاف.

أخذ في شأن الأمير أبي عبد الله وصرفه؛ وكذلك ابن ومازير؛ بكفاية لطفه؛ فسار أبو² عبد الله لرياح، وابن ومازير لبجاية على الإصطلاح. وعندما انقضى هذا الأرب المهم، وانكشف ظلام هذا الليل المدلهم؛ استعمل الرجوع لحضرة مولاي؛ وقد ظفرت يده بما تمناه. فكان إياه لتلمسان في شوال ظافراً/93و/ بما فتح من الآمال.

وفي هذا العام كانت جزئيات يجب ذكرها؛ ويعتبر تبينها، وذكرها. منها وصول الفقيه الخطيب أبي عبد الله بن مرزوق؛ الأستاذ النجيب؛ وذلك في الثاني والعشرين لرجب من العام المذكور؛ وخطب بالمولى أبي حموا بالعباد المبارك المشهور؛ وخطب خطبة بليغة بارعة؛ أطنب فيها عليه، وذكر صنائعه؛ فكساه كسوة سنية، وأعطاه عطية مولوية؛ ولم يزل يتعاهد بساكنه الكريم، ويواليه بالرهف والتكلم؛ إلى أن سار لبيت الله الحرام، ولزيارة النبي عليه السلام. وفي آخر شعبان؛ قتل خالد بن عامر أباه شعيب بن عامر العامري؛ نعوذ بالله من

¹ في الأصل: ((تلك)).
² في الأصل: ((بن))؛ وهو تحريف.

الفتن، والجبن. وكان قتله أباه على الشياخة، وطلب المرتبة (.....)¹ قتله والبلاد قد اضطربت بالإرجاف؛ من شأن محمد ابن المولى أبى سعيد؛ حين أظهر الخلاف. وكان الوزير عبد الله بن مسلم بالبلاد الشرقية كما تقدم؛ فلم تزل السعادة الموسوية تحاول الجانيين؛ إلى أن كذبت ظنيهما الخائبين؛ فحاول خالد بن عامر؛ حتى أتاه² لتلمسان؛ وخدمت نار محمد ابن المولى أبى سعيد عثمان. وسيأتي خبر خالد بن عامر عند ذكر قصيدته، والجواب عليها؛ على (.....)³ إنقاد وكان وصول خالد المذكور؛ في أواخر القعدة؛ بعد المحاولة عليه، والمواثق؛ وذلك من الكفاية والشدة. وفي الرابع والعشرين شوال؛ وصل ابن عم الفنش - من بلنسية - ومعه عشرون فارساً من الصليب المظفية برسم خدمته العلية؛ وسعاها بما سمعه من المآثر السنية؛ فأكرم نزله، وبلغه فيما يريد أمله؛ قدمه على كافة المفشييين، ومكنه أتم تمكين؛ أجرى له من المرتب ثلاثين ديناراً من الذهب العين؛ في كل شهر يسار⁴. وفي ثالث ذي الحجة؛ سافر بن مرزوق المذكور، وأبو البركات الفرموني خطيب الجامع الأعظم المشهور؛ كلاهما لحج بيت الله الحرام، ولزيارة قبر نبيه محمد عليه أفضل السلام. وعند وداعهما للمولى أبى حمو السلطان؛ أعطاهما من المواد والجمال؛ ما يوصلهما إلى تلك

¹ الكلمة هنا غير واضحة؛ فجاءت هكذا: ((البراعة)).

² كتب في الهامش أيضاً كلمة: ((أخاه)). ويبدو أن الناسخ أضافها خطأ.

³ كلمة هنا غير مفهومة.

⁴ هكذا.

الأوطان ؛ وكتب لصاحب بجاية في شأنهما، ولصاحب تونس لبيالغ في إكرامهما؛ وأن يأخذ معهما في شأن سفرهما؛ وكتب لمن يليه في حفظهما وبرهما. وفي ثمانية عشر من الشهر المذكور؛ خرج الأمير أبو تاشفين بن المولى أبي حمو السلطان المنصور؛ يرسم السكنى بالجزائر؛ ليتربى بها كما فعل قبله بأبناء الملوك المشاهير. فكان دخوله إليها أوليات شهر المحرم من عام خمسة وستين [وسبعمائة¹]؛ الثاني للعام الفارط المتقدم وهنا.

انتهى السفر الثاني من زهر البستان في دولة بني زيان؛ يتلوه السفر الثالث - بحول الله وقوته - على يد أفقر الورى لربه، العبد المذنب الراج عفو مولاه؛ الحبيب بن يخلف بن جلول بن العيد الفرادي نسباً، ثم الغريسي مولداً وداراً؛ غفر الله له ولوالديه ولأشياخه ولجميع المسلمين؛ أمين أمين أمين؛ والحمد لله رب العالمين.

وكان الفراغ منه صبيحة يوم الجمعة؛ الخامس عشر؛ الذي هو من الشهر المحرم؛ وفتح السنة؛ عام 1235.² كتبه للسيد مسلم بن عبد القادر خوجة، ثم لمن شاء الله بعده؛ هبة أو شراء. اللهم أمنعنا وإياه من فتنة الدارين؛ بجاه سيد الأولين والآخرين. أمين أمين أمين.

¹ 1363م.
² كتبها في الأصل بأرقام هندية مشرقية.

ملحق (1)

ذكر بيعت عبد الرحمن بن معاوية
على وجل التشبيل وما اتفق له فإي زمان الصلح
لرسبها ألكيل.¹

قال الرازي: روى بدر² مولى عبد الرحمن بن معاوية؛ قال: لما أصابت مولاي المحن الناكية،³ والمهلكات الفاشية في زمان ظهور المسودة⁴ على بني أمية؛ وأصابوا منهم ما أمّلوه؛ بالقتل، والجلاء، والآفات المردية؛ وطلبوهم بالثارات الحسينية؛⁵ وجعلوا السيف جزاءهم، والسلامة /3و/جلاءهم؛ وقد استأصلوا شيعهم بالقتل الدريع، وأوقعوا بهم - بعد الأمان - أشد التوقيع. فتنفرق آل مروان⁶ في

¹ ورد هذا الفصل - ضمن المخطوط - في بداية الكتاب؛ وبالفصل الأول منه بالتحديد؛ بدءاً بالورقة: 2/ظ؛ وقد تمت الإشارة إليه في الصفة: 21 من هذا الكتاب المحقق. وذلك في تعليق بالهامش؛ يحيل القارئ إلى هذا الملحق رق: 1؛ بآخر الكتاب.

² وهو رومي الأصل؛ يكنى أبا النصر. كان له الفضل الأكبر على عبد الرحمن الداخل؛ إذ مكنته من التربع على عرش الأندلس؛ ولكنه كافأه بما لا يستحقه؛ إذ سلط عليه سخطه وقهره وغضبه. قال ابن الخطيب في بدر³ شاعراً داهية، حازماً فاضلاً، مصمماً نقياً، علماً من أعلام الوفاء، لازم مولاة في أعقاب النكية، وصحبه إلى المغرب الأقصى؛ مختصاً به، ذاباً عنه، مشتتلاً عليه. وخطب له الأمر بالأندلس...)). الإحاطة في أخبار غرناطة، ج: 1، ص: 444. ومما قاله المقري في بدر: ((وأول ناصر لعبد الرحمن؛ سائر معه في الخمول والاستخفاء؛ مولاة المتقمم الذكر. سعى شرقاً وغرباً، وبراً وبحراً؛ فلما كمل له الأمر؛ سلبه من كل نعمة، وسجنه، وأقصاه إلى أقصى الثغر؛ حتى مات؛ وحالُه أسوأ حال)). نفع الطيب، ج: 3، ص: 44.

³ تكى يَكِّي يَكَاية العدو؛ قهره وقتله.

⁴ المسودة: هم بنو العباس؛ الذين اتخذوا السواد شعاراً لهم؛ على خلاف الأمويين الذين رفعوا البياض شعاراً لدولتهم.

⁵ نسبة للحسين بن علي رضي الله عنهما.

⁶ نسبة إلى مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية.

الكُور¹، وذهبوا بين سمع الأرض والبصر. ففرّ مولاي عبد الرحمن بأهله وولده؛ وأنا معه - يقول بدر - في جملة عدده. وكان فراراً من ذات الزيتون؛ قرية كانت لنا في زمن ملكنا؛ والزبون يأتينا فلسطين من الشام؛ فأقمنا بها الشهور والكثير من الأيام؛ نتجسس من الأيام، فرط المخافة، وسوء الانتقام. وكنا أعطينا الأمان؛ ثم خفر بعهدنا؛ فلقينا الهوان؛ فقتلنا ثانية، واستبيحت دماؤنا، وعمل السيف فينا، واشتد عناؤنا، وكانت الوقعة بنا بنهر أبي فطرس فاطعة²، وخفضتنا الأيام؛ بعد أن كانت لنا رافعة. واتخذ مولاي منزلاً في قريته، وكمش على نفسه، ونبذ الناس، وتوارى على لبسه؛ وهو - مع ذلك - يتحدث بالمغرب والأندلس؛³ لِمَا سمع من جدّه؛ أن بقيامه بها؛ تخرج المروانية من النحس.

يقول بدر: قال لي مولاي عبد الرحمن - فيما يخبرني به؛ حين ذهب من الامتحان، وعادت الدولة لبني مروان: "وجدني جدي غير متشمر؛ أي غير متزين على الثياب"⁴؛ فأبعدني عنه إبعاد المتنكر؛ فأخذني جدي هشام، وضممني إلى صدره؛ وقال: يا أمير المؤمنين؛ لا تهنه؛ فإنه جامع المروانية بأمره بعد شتاتها في عصره؛ ثم لم يزل يذكر

الكُور مفرداً كُورَة المكان الذي يجمع المساكن والقرى.

² أي فظيعة.

³ هكذا كتبت.

⁴ في الأصل: ((عالثياب))؛ وهو تحريف.

مقامي بالأندلوس،¹ وبذهاب الأيام النكس². ثم أمرني أن أطلق ضفيريّين من شعري؛ كما أخبر عن صحيح خبري. وكان جدي هشام عالم بوقوع هذا الحدثان؛ أخذه عن أخيه الوليد؛ وأخوه عن بعض الرهبان. فبينما أنا جالس يوماً في بيتي؛ لرمد اعتراني؛ وولدي يلعب بين يدي بمكاني؛ وكان بكر أولادي، وقطعة من أفلاذي؛ إذ خرج يلعب بخارج الدار؛ وإذا به قد رجع مذهولاً؛ إذ صار كأنه فُوقَ من نومه، /3ظ/ أو وخرّ في يومه. فقلت له ما يقال للفازع، واستعدته بالله من الشيطان الرجيم؛ شر الطارق والنازع؛ وجعل يتشبث بشيبي؛ وأنا - لرمدي - أدفعه عن جنابي. فخرجت أنظر ما دهاه؛ والسيف نجاتي من أوصابي.³ فإذا الرايات السود منحنة، وأخ لي حديث السن يتستر؛ في حالة مضغطة. وإذا به يقول لي: النجاة يا أخي النجاة؛ هذه الرايات السود قد أحاطت بنا من كل الجهات. قال: فأخذت دنانير تناولتها؛ ونجيت⁴ بنفسي؛ وتركت الأهل والولد؛ خوفاً على رأسي؛ ثم أعلمتهم بتوجهي للمغرب؛ وأمرتهم بإطراق غلامي؛ لأتوصل به للمطلوب. فأتيت قرية أخرى؛ فجلست بها مستخفياً؛ أنظر ما يكون؛ ثم أسير في البلاد متعدياً. ولما أحاطوا في طلبي بالقربة التي كنت فيها، وبحثوا على مخافيتها؛ فلم يجدوا لي أثراً، ولا عرفوا خبراً؛ وعندما

¹ هكذا.

² أي أيام السقوط والضعف والذل.

³ أوصابي: مرضي وأوجاعي.

⁴ جَوّت.

انصرفوا لشأنهم؛ أتيت رجلاً من معارفي؛ وكلفته بشراء دواب؛
لاستقلال¹ أهلي ووضايعي²؛ فوشى بي غلامه للعامل على القرية؛
فأقبل - في جلبه خيله - بغير مرية³. فخرجت مع أخي؛ نشدت وعلى
أرجلنا. وكادت الخيل أن تلم⁴ بنا في منزلنا؛ فدخلنا في جنة⁵ الفرات؛
والفرسان تنظر إلينا، وتشتد جرياً؛ وتصيح علينا. فبادرت الفرات
بالعوم؛ وأخي كذلك؛ وسبحنا خوفاً من القوم؛ توسطنا الفرات؛
التفت إلى أخي أشده بالكلام؛ وأقول له: لا تخف؛ لئلا يسرف⁶ جلده
جلده بالأوهام؛ والفرسان - مع ذلك - يقولون لنا: ارجعا؛ ولكما منا
الأمان التام؛ لا خوف عليكم؛ قد أمتما من الانتقام. فالتفت إلى
أخي؛ فوجدته قد اغتر بأقوالهم، ورجع خوفاً من الغرق؛ واغتر
بالحلم. فقلت: لا ترجع إليهم لئلا يقتلوك؛ والفرات حائلاً بينك
وبينهم؛ فلن يصلوك. فصار إليهم؛ فأخرجوه، وضربوا⁴ عنقه؛
وأنا أنظر إليهم؛ وأنجزع حرقة. وقد عزم أحد الفرسان على أن يسبح
في إثري؛ فمنعه آخر؛ لسبب نجاتي وستري. ثم لجأت إلى غيضة⁷
مشتبكة؛ بعد أن كدت أكون من الهلكة. ثم انقطع علي الطلب؛

¹ استقل الشيء: حمله ورفع، واستقل القوم: ارتحلوا.

² الوضيعة؛ جمع وضائع؛ الوديعة؛ ما يأخذ الملك من العشور والخراج.

³ أي بغير جدل، أو تراخي.

⁴ لم بالشيء؛ قرب منه ونزل به.

⁵ الجنة؛ السترة، والجنة؛ البساتين ذات الأشجار الكثيفة؛ الساترة، والحاجة لمن بداخلها.

⁶ السرف والإسراف؛ مجاوزة القصد والغفلة.

⁷ في الأصل: غيطة، ويبدو أنه يقصد غيضة؛ جمع غياض وهي: مجتمع الشجر في مغيض الماء، أي في مجتمع الماء ومداخله في الأرض.

فأيقنت أن لا ملجأ إلا المغرب ؛ فخرجت - على الأثر - هارباً إلى بلاد المغرب طالباً ؛ حتى أتيت القيروان. ولحقني غلامي بدر ؛ وكان ما كان. قال بدر: ولما حللنا بحوز القيروان ؛ نكبتنا عنها ؛ قاصدين لبعض بني مروان ؛ جماعة من بني مغيث ؛ أصدقاء في القديم والحديث. فلما حللنا بهم ؛ استخفينا، ولجأنا للراحة وأوينا. وكان على القيروان ابن حبيب ؛ عاملاً، وعلى المروانيين باحثاً وسائلاً. فاتفق - يقول بدر - أن كان بالقرية يهودي ؛ عالماً بعلم الحدثان ؛ كان يخدم لهاشم جدي ؛ في مدة آل مروان ؛ فنظر إليّ ؛ متفرساً في صفتي ؛ وأخذ يتحدث بعلمه في شيتي. واستمالي ؛ حتى أطلعت على ظفرتي شعري ؛ بعد أن أخذت عليه العهد ؛ أن لا يشي بخبري ؛ فتركني في القرية ؛ وسار لابن حبيب للقيروان ؛ وأخبره بشأني، وبمستقري بذلك المكان. فبينما أنا في القرية ؛ إذ أنا بابن حبيب - بمن معه من الفرسان - وقد أحاط بالقرية ؛ من غير توان. وعندما دخلوا القرية على حين غفلة ؛ بادرت¹ امرأة من نساء القرية - من غير مهلة - ودخلت مستخفياً تحت ثيابها ؛ فنشرت للحين شعرها، وانتقبت بنقابها ؛ وجعلت تمشط شعرها، وتصيح ببعلها ليصرها ؛ ثم جعلت تقول تكتشفون على العيالات، وتنتهكون حرم الكرايم ؛ فيأسركم مولانا في الموالات ؛ فيقول لها الحشم ؛ على رسلك ؛ ليس الطلب عليك، ولا على بعلك. وجعلت تنكمش كالحية، وتدافع

¹ في الأصل: ((تبادت))؛ وهو تحريف.

عني مدافعة الحمية ؛ إلى أن يسوا¹ من الطلب. حملوا بدرأ؛ وكاد يلحق بالعطب؛ فأقبل به ابن حبيب إلى القيروان؛ فسجنه، وهدده بالسيف، وامتنحه. وقال له: /4ظ/ أين صاحبك الذي جاء معك؟ قال: عابر طريق؛ رأى ما أهاله فخاف فشرد. ثم إن بني مغيث نقلوني² إلى موضع آخر من القرية، واستشفعوا في بدر؛ فطلق بعد المشقة؛ بغير فدية. ثم جمعت لي بني مغيث مالاً لصالح شأني؛ فأخذته وتوجهت لتقاء المغرب؛ وبدر لي ثاني؛ إلى أن أتيت مغيلا³. فنزلت عند شيخها؛ فأكرم مثنوي، ونلت من وفائه غاية مثنوي. ومن هنالك؛ بعثت بدرأ بكتبي؛ فما عاد إلا بغاية مطلبي؛ فطلعت البحر - من هنالك - إلى ساحل البيرة؛ وذلك لما أراد الله من الجيرة.

وكمال القصة في مقتبس بن حيان؛ مع دخوله الأندلس⁴، وما كان بينه وبين يوسف بن عبد الرحمان؛ حسبما سطر في ذلك الديوان. وإنما أتيت هذا الطرف؛ على وجه التشبيه؛ إذ كان أخرى وأولى لموافقة المثال والشبية. فهؤلاء بنو عبد الواد؛ أصابهم ما أصاب بني أمية؛ ولقوا من الامتحان أعظم بلية. وهذا إمامنا؛ المولى أبو حمو السلطان. لقي - في زمانه - ما لقي الأمير ابن معاوية؛ عبد الرحمان. ولقد سأل

¹ في الأصل: ((أبأسوا))؛ وهو تحيف.

² في الأصل: ((تلقوني))؛ وهو تحريف.

³ تكتب أيضاً "مغيلة". وهي قبيلة أمازيغية بترية تسكن المغرب الوسط.

⁴ في الأصل ((الأندلس)).

أبو جعفر العباسي¹ عن صقر قريش؛ فأجابوه: فلان وفلان؛ قال:
لا؛ إنما صقر قريش الأمير عبد الرحمان.

وكذلك؛ إن قيل: من صقر بني عبد الواد الأعيان؛ فيقال:
موسى بن يوسف بن عبد الرحمان. خرج طريداً شريداً؛ فعاد ملكاً
صنديداً؛ وأحرز ملكاً عتيداً. لقي بلاده خالية من الأنيس؛ وفقيدة من
الملك؛ والرئيس؛ فحلى جيدها العاطل بخلافته؛ وجدد رسمها الماحل²
بلطافته، ونوه سموها بأناقته؛ نشرتها الصيت المذاع؛ وجعل كلمتها
تقرع الأسماع. مهد بلاده بعد الترجيف، وأعز أهلها بعد الذلة
والتغيب. دَوَّنَ بها الدواوين؛ ورفع الأواوين، وأعاد العطايا، وأنفذ
القضايا، ورفع الأولوية³، وعمر - بعد الخراب - الأندية، وأجرى الخلافة
على قواعدها، وشيد /5/ معالمها ومشاهدها على عوايدها. عرفتة
الملوك حين عرفها بنفسه، وهرع إليه الحرّ والمملوك، وقهر أبناء جنسه؛
ذل الصعاب بعزائمهم، وأظهر العجب في عالمه؛ مارس دفعة ما مارسه
الملوك أعواماً، وحاول ملكاً لا يحاوله إلا من كان مقداماً، خاطر بنفسه
للشرف فأدركه، وطلب ملك أسلافه فملكه؛ تطوح في البلاد الشاسعة
طالباً للفخار، ورمى بنفسه في المفاوز؛ ينتهز فرصة في الثأر؛ جمع أهله
بعد الشتات، وأحیی رسمهم بعد أن كانت كالفأة؛ لئن بالسياسة

¹ هو عبد الله بن محمد؛ الخليفة العباسي الثاني يكنى بأبي جعفر، ويلقب بالمنصور، حكم من
136هـ/754 إلى 158هـ/775م.
² أي المجدب.
³ في الأصل: ((الأولوية))؛ وهو تحريف.

الجلامد، واستمال بقدرته الحاسد، وسكن - بعد النفار - الشارد؛ قاد
الأعراب على عتوها، واستخدمها وسكنها من علوّها؛ فهو إن مدح لا
يبعد مادحه، وإن لاح طائره الميمون فلا يكذب سايحه ولا بارحه.

ملحق (2)

- ولطبيب حضرته الكريمة الحاج محمد بن أبي جمعة التلاسي¹:

أأصّبو ورأسي بالمشيبِ غدا حالي

وحال لذاك الشيب لما بدا حالي²

وكيف لمثلي بالتصابي بالصبا³

وهل للتصابي أن يمر على بالي

وعني شبابي قد تولّى وقد مضى

فقلبي منه لا هنيءٌ ولا سالي

علا مفرقي جيش المشيب مهلاً

جديد شبابي منذ ألمّ به⁴ بالي

ونادى لسان الحال شمر إلى متى

تُرى غير ناس للتصابي ولا قالي⁵

¹ وردت هذه القصيدة - للمرة الثانية - في مخطوط زهر البستان، فجاءت من قبل في ورقات: 62 و، 62 ظ، 63 و، بينما سبق أن أثبت مطلعها - في سياق هذا الكتاب ضمن صفحة: 390، وقد أثبتناها كاملة هنا.

² سقط هذا البيت في نص القصيدة ذاتها؛ المنسوخ سابقاً.

³ في بغية الرواد ((وبالهُوى)).

⁴ ترك في الأصل بزهر البستان هنا فراغ يقدر كلمة؛ بينما كتبت كلمة ((به)) في بغية الرواد؛ كما هو واضح أعلاه.

⁵ جاء هذا البيت في بغية الرواد بعد البيت الموالي.

نفائس أنفاس الشباب قد انقضت
وما لك¹ من بعد الشبيبة من مالٍ
[فهذا أنا أبكي على ما اقترفته]²
وتضيع أيامي ولهوي وإغفالي³
وحرمت⁴ سلواني وحزني أبحته
وقلت أيا نفسي⁵ قد دنا عنك ترحالي
فجدّي بحزم في نجاتك وانظري
بحزم⁶ لما فيه الصلاح لأحوالي
ألا فارحلي قصدا لطيبة وانزلي
بها قبل أن أقضى وترفع أعمالي
تقدم أقوام لتقبيل تربها
وأصبحت تسعى في هلاكي⁷ وتضلال
أمن بعد أنس كان لي بجوارها
فأبلست يا ويحي لسبيّ أفعالي

¹ في بغية الرواد: ((وما لي)).
² هذا الشطر مختل الوزن؛ إذ نسخ هكذا: ((فها أنا أبكي من ذنوب تقدمت))؛ وعليه فقد عدل كما ورد أعلاه بين حاصرتين.
³ هذا البيت غير وارد في العينة الأولى من القصيدة فيما سبق، ولا في القصيدة نفسها المنشورة في بغية الرواد.
⁴ في بغية الرواد: ((فحرمت)).
⁵ نفسه: ((وقلت لنفسي)).
⁶ نفسه: ((يعزم)).
⁷ نفسه: ((عناء)).

ترفق خليلي إن إنسا فقدته
 جدير بأن أبكي عليه ويبكي لي¹
 أشيّع ركبا بعد ركب لطيفة
 ويقعدني غيّي وكثرة آمالي
 بقبر رسول الله طاب ترابها
 وأضحى لها جيد بأنواره حالي
 87/ظ/نبي كريم شرف الله قدره
 وفضله في القبل والبعد والحال
 نبيُّ به سُدْنَا على كل أمة²
 فلا أمة إلا لنا تحت إذلال
 سرى³ لآله العرش واللَّيْلُ أَلِيلُ
 من المسجد الأقصى إلى المرتقى العالي
 لمولده نور على الأرض ساطع⁴
 غدا دونه بدر الدجى بعد⁵ إكمال

¹ في الأصل بزهر البستان: ((ويبال)). وهذا يخل بالوزن.
² هكذا في بغية الرواد؛ بينما نسخ الشطر في زهر البستان بشكل ردي؛ تعذرت معه القراءة.
³ في بغية الرواد: ((سما))؛ وهو تحريف.
⁴ نفسه: ((على الأرض قد بدا)).
⁵ نفسه: ((دون)).

نجونا¹ به من كل خطب يروعا
وأنقذنا من كل خوف وأوجال
حليم رحيم مؤثر متفضل
رؤوف عطوف مانح دون تسأل
فهل² من شفيح غيره يرتجى إذا
غدا الناس سكرى من عذاب وأهوال³
إذا كان في يوم القيامة شافع
فلا خوف من نيل السعادة في الحال⁴
هو المصطفى ساد الأنام وقدره
على كل مخلوق نطقت به عالي
فمن رام أن يحصي فضائل أحمد
فذلك شئ لا يمر على بالي
وهيهات هل تحصي فضائله التي
تفاخر عنها كل صاحب أشغال
بأمداحه يا نفس لوذي فإنه
شفائي من وعك الذنوب وإبلالي

¹ في الأصل بزهر البستان: ((نجينا)).

² في بغية الرواة: ((وهل)).

³ نفسه: ((عرى الناس سكر من عذاب وأهوال)).

⁴ كتب هذا الشطر - في الأصل - هكذا: ((فما أنا من نيل السعادة بالخال)). وهذا يخل بالوزن. لذا فقد ونظمتنا شطرا¹ بديلا، ووضعناه أعلاه بين حاصرتين.

عليه صلاة تملأ الأرض والسما
يحط بها وزري تخفف أثقالي¹
وبعد الرضى عنه وعن آل بيته
وأصحابه أهل الفضائل والآل
أقوم وأدعو للخليفة إنه
لخير إمام في ذرى شرف عال
على الله في أحواله متوكل
وما إن له إلا التوكل من حال
يشيد أمر الملك طول نهاره
وإن جنّه الليل البهيم يُرى تال
فكل امرئ يأتيه يطلب نائلاً
يعود غنياً مثيراً بعد إقلال
وصارمُهُ أسدُ الكفاح تخافه
فها هو قتال به كل قتال
فمغن إذا أعطى وغم إذا سطا
ومسد إذا حاجاك في القيل والقال

¹ هكذا في بغية الرواد. بينما شوه ناسخ زهر البستان هذا الشطر؛ فكتبه هكذا: ((فحظه بها في تحفها أثقالي)).

أنارت معاليه وأشرق فضله
كشمس نهار في مساء وإهلال¹
وأوجد عبد الواد بعد دثورها
وأظهر رسماً دارساً بعد إحمال
88و/تلمساننا أضحت به ويمنه
تتية على فاس الجديدة والبالى²
فنحن به في طيب عيش وغبطة
وتجديد أفراح وفسحة آمال
قبائل عبد الواد سعدكم بدا
ودولتكم عادت إلى أشرف الحال³
ولست أراها تنقضي عنكم ولا
تزالون⁴ فيها في نعيم وأفضال
وموسى أمير المؤمنين مؤيد
بنصر وتمكين ويمن وإقبال

¹ في بغية الرواد ((كيدر تبدي للورى بعد إهلال))؛ وهذا يختل بالوزن في التفعيلة الأخيرة.
² كتب في الأصل هنا: ((مع البالى))؛ وهذا يخل بالوزن))؛ فاعتمدنا على ما ورد في بغية الرواد، كما أن ورد هذا الشطر في القصيدة المماثلة لهذه؛ والواردة فيما سبق؛ هكذا: ((تتية على كل البلاد بإدلال)).
³ هكذا في بغية الرواد؛ بينما سقط حرف الفاء في الأصل بزهر البستان؛ فجاءت الكلمة هكذا: ((أشرو))؛ وهذا تحريف يخل بالمعنى والوزن.
⁴ هكذا في بغية الرواد؛ بينما طمست وشوهت هذه الكلمة في زهر البستان هنا؛ بحيث تعذرت قراءتها.

فإن نالني منه قليل عناية¹
فما هذه الدنيا وحقك إلا لي²



¹ هكذا في بغية الرواد؛ بينما رسم ناسخ زهر البستان هذه الكلمة الأخيرة بشكل مشوه؛ ((فكتب ((عنا)))؛ وبذلك أسقط حرفي: ((ية))؛ ثم كتب كلمة ((فما))؛ وهي في الحقيقة تابعة لعجز البيت،
² هكذا في بغية الرواد؛ أما في زهر البستان؛ ف جاء الشطر هكذا: ((فما هذه الدنيا وحقك إلا ولي))؛ إذ يختل الوزن في التفعيلة الأخيرة؛ بسبب الواو.

فهرس أوائل القصائد الشعرية

5	وَعَطُرَ الْجُدُودِ بِهِ فَانْدَلَّتْ	- فَهَذَا كِتَابٌ يَفُوحُ بِرَشْرِ
28	ودنا الرحيل فكنت فيه لؤلؤ	- حان الفراق فكنت منه بمنزل
40	لما شحطتها من هبوب الرواكن	- جرت أدمعي بين الرسوم الطواسم
64	أنال العالمين ذوي الأمانى	- أشهر بالأمالي والأمانى
69	هو عدتي لقيامتي وكفاني	- مدح النبي المصطفى العدناني
74	لقبيح كان من العمل	- دمع يَنْهَلُ من المقل
85	فما تحيد عن العليا ولا تحل	- شمس الخلافة حلت منزل الدمل
90	لأنك فيك الجود للخلق والنصح	- أمولاي نصر الله جاءك والفتح
92	والسعد أقبل يا مولاي متصلا	- وافى السرور بحمد الله محتفلا
94	وبالجد لا بالجبر تم لك النصر	- بزهدك لا بالعزم كان لك الظفر
103	كفى حسودك ما يلقي من الكمد	- أطلق عنانك لا تنظر إلى أحد
125	وسمت فأخضت الهلال الأزهرا	- ظَهَرَتْ فَأَظْهَرَتْ السُّرُورَ الأَبْكَرَا
128	أهلا به من زائر [متفقد]	- شهر ربيع زارنا يا حبذا
131	لقد كان الفؤاد إليك حاد	- أشهر ربيع أنت ربيع قلبي
133	أعني من الصبابة ما تعنا	- وصب بالهوى كلف مَعْنَى
159	وقف بذروته العليا على قدم	- حَدَّثَ عَنِ العَلَامِ إلاّ علا عمل
177	وتأسست للدين فيه ربوع	- حاز المكانة في الشهر ربيع
180	عصى الشباب ولاح الشيب والتهبا	- جاءت سعاد بوصل بعدما ذهب
205	وباسمك الغالبان النصر والظفر	- بسعدك الجاريان الدهر والقدر
214	هنيئا مريئاً حل ما [أوجب] النصر	- هنيئا لك الفتح الذي شرح الصدر
221	وظلال سهادي واستطال سقامي	- تطول دائي فاستفز منامي
223	ومقد ماضي في عهد هذا المتقدم	- تَذَكَّرْتُ أطلال لربوع الطواسم
232	وزاد شوقي على قيس وغيلان	- كنت حبي ودمعي باح كئمانى
244	شوقاً وصلى بسره كئمانه	- لكجَمَى فَتَضَاعَفَتْ أَشْجَانُهُ
252	ومكرمة خير الزمان بها حالي	- لشهر ربيع في الشهور فضيلة
259	فاشمخ الآن إنن واقتخر	- فقت يا شهر جميع الأشهر
264	تزهوا مطالعه بسعد الأسعد	- لك يا ربيع قدوم أشرف مولد
276	واستوقف العيس في أطلال نديها	- عرج على الدار من سلمى تُدَيِّبُهَا
288	وحوى بشعر في الفؤاد سراره	- شوق ثري بين الضلوع أواره
293	فجرت سحائب دمعي المتقاد	- يرى تالِق في سماء فؤادي

299	واسأل الربيع أين تلك الغوازي	عج بتلك الرُّبَى وتلك المغاني
316	والنصر قد عمّت الدنيا بشائره	- بشراك بالسعد قد وافت عساكره
322	أم من مجير للغريب المفرد	- هل من مجيب دعوة المستنجد
337	فظل يسكب دمعاً هاطلاً وكفا	- صب تذكر عهداً بالحمى سلفا
342	فحللي مغنٍ عن سؤالي إليهم	- كما قال إبراهيم حسبي فعلمهم
348	نسيم سرى من حاجر ورباها	- تراءت لها أعلام نجد محياها
353	هو مذهبي هو بغيتي هو مقصدي	- مدح النبي الهاشمي محمد
388 - 356	وحال لذك الشيب لما بدا حالي	- أأصبو ورأسي بالمشيب غدا حالي
362	ترّما يسرُّ المُجتني والمُجْتلي	- قُمْ فَاجْتَلِ زمن الربيع المقبل
373	ولكن عين السخط تبدي السماويا	- فعين الرضا عن كل عيب كليله

فهرس فصول الكتاب

5إهداء وتقريظ من المحقق
7مقدمة التحقيق
12ذكر رجوع الخلافة الزيانية بعد دثورها
18ذكر خروجه [خروج أبي حمو] من البلاد منفرداً مثل سلفه وإتيانه بعد طوافه في البلاد
80ذكر خروج المولى أبي حمو للمحلة وما كان من حسن رأيه في هذه الفعلة
99ذكر وصول المولى أبي يعقوب من المغرب لتلمسان مع حفيده الأمير أبي تاشفين
108ذكر هزيمة يحيى بن علي بن عبد الرزاق وما أحدث من الهرج والنفاق
112ذكر أخذ لمدينة على الأمان وإتيانهم بعد الهرج إلى الإذعان
114ذكر وصول عبد الله بن مسلم من وادي درعة وأحوال سجلماسة وما أبدى من الشهامة والرياسة
118ذكر أخذ مليانة والقبض على يحيى بن علي وفارح وبني مرين الذين معهما وكل من كان يتبعهما
122ذكر حصر الجزائر على ابن ودرار وقتل يحيى بن علي وابن أخيه وما لقي من البوار
137ذكر النزول على الجزائر وحصارها وما كان من الطعن والضرب ومآل أخبارها
140ذكر خروج المولى أبي حمو للصحراء في المرة الثانية وما كان له من الفتوحات السامية
149ذكر قيام حفيد المولى أبي تاشفين على يد أبي سالم سلطان بني مرين
157ذكر حصار تنس ودخولها عنوة على أهلها وما لقوا من العنوة والغلبة وذلكها
189ذكر مقتل منصور بن خلوف وكيف سقي كأس الحتوف
193ذكر سفر الأمير أبي تاشفين في شأن المصالحة إلى سلطان بني مرين

201	- ذكر خروج المولى أبي حمو لحصار وهران وأخذها عنوة بالضراب والطعان.....
211	- ذكر أخذ الجزائر صلحاً بعد قتالها وحصارها مرتين فتحت له منحاً.....
217	- ذكر وصول علي بن عمر بن عثمان لتلمسان بإشارة المولى أبي حمو السلطان.....
240	- عاد الحديث إلى حلي بن عمر بن عثمان؛ وما آلت حاله إليه؛ بعد أن فارق مولانا أبا حمو السلطان.....
306	- ذكر خدمة أهل تدلس ورجوعهم عن بيعة الموحدين وخدمتهم المولى أبي حمو أمير المسلمين.....
309	- ذكر خروج الوزير المكرم عبد الله بن مسلم للبلاد الشرقية واتصاله بالأحواز البجائية.....
312	- السبب في هروب محمد ابن المولى أبي سعيد المذكور وخروجه من فاس على أعين الجمهور.....
333	- ذكر وفاة المولى أبي يعقوب برّدّ الله ضريحه وغسله بماء الرحمة والحب.....
360	- ذكر خروج الوزير المعظم أبو محمد عبد الله ابن مسلم.....
373	- ذكر وصول الأمير أبي عبد الله صاحب بجاية يطلب النصر من المولى والحماية.....
380	- ملحق (1).....
388	- ملحق (2).....
395	- فهرس أوائل القصائد الشعرية.....
397	- فهرس فصول الكتاب.....